

حواء الجديدة

وكتب أخرى

حلمي مراد

٨ كتب
٨ قروش

حـواء الجديـدة

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) الناشر « **كتب للجميع** »
اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومأساته) الناشر « **البـــلاغ** »
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر « **روايات الهلال** »
انا كارنينا لتولستوى الناشر « **روايات الهلال** »
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر « **روايات الهلال** »
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز الناشر « **روايات الهلال** »
أوجينى جرانديه لبلزاك الناشر « **روايات الهلال** »
« **كتابى** » الاول : « **خطايا الحب** » وكتب اخرى مارس سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الثانى : « **قلب عـذراء** » وكتب اخرى ابريل سنة ١٩٥٢
« **كتابى** » الثالث : «**الهاربة من الجنة**» وكتب اخرى مايو سنة ١٩٥٢

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف : الهلال ، المصور ، الاثنين ، الكواكب ، مسامرات الجيب ، البلاغ ، الكتلة ، الرسالة ، الثقافة ، الراديو المصرى ، الحديث (دمشـــق)

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة ـــ **ت ٦٥٦٠٨**

الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان: ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الرابع : يونيو ١٩٥٢

رمز الكتاب : مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

عزيزى القارئ ..

أريد فى حديثى اليك اليوم أن أجيبك على الاقتراحات والاستفسارات التى تجمعت لدى من رسائلك الكريمة المتنوعة بشأن « كتابى » .. الذى أرجو أن تعتبره على الدوام « كتابك » :

باب جديد ..

◆ وأبدأ بالرد على اقتراحك ، الذى تكرر فى عشرات من الرسائل ، بشأن انشاء أبواب جديدة فيه (بالاضافة الى أبوابه الحالية وأبوابه الاخرى المقبلة التى أعلنت عنها فى العدد الماضى وفى الصفحة التالية من هذا العدد) .. ولما كانت الابواب المقترحة تختلف وتتشعب بقدر اختلاف ميول مقترحيها ونزعاتهم .. ولما كان ادخالها جميعها فى كل عدد أمرا متعذرا - بل مستحيلا - والا لتضاعفت أبواب الكتاب ، ونقصت صفحات كل باب ، الى حد يفقده طابعه الخاص الذى أحببته من أجله .. لذلك رأيت أن أوفق بين رغباتك جميعا - جهد الطاقة - فأنشىء لك بابا جديدا عاما ، متغيرا - أو ما يطلق عليه بالانجليزية (Miscellaneous) يقدم لك فى كل عدد كتابا فى موضوع مخالف للموضوع الذى تقرؤه فى نفس الباب فى العدد الذى يليه ، وهكذا .. بحيث يدخل فى نطاق الباب المذكور أى كتاب ، من أى لون ، يتعذر أن ينطبق عليه عنوان أى باب من الابواب السبعة الاخرى ، المحددة الهدف والاتجاه .. وبذلك يغنى الباب المذكور عن عشرات الابواب .. والى أن تتم لى وسائل استكمال برنامج هذا الباب الجديد ، كى أطالعك به ، أستطيع أن أعدك فى صدده بشىء واحد ، وأقيد نفسى بشأنه بقيد واحد : هو أن يكون القاسم « المشترك » الوحيد الذى يربط بين كتب ذلك الباب : أن يكون كل كتاب منها شائقا ممتعا .. لكل قارىء !

اعادة طبع العدد الاول !

◆ وقد أوضحت لك فى العدد الماضى ، فى احدى اجاباتى الخاصة على « بريد كتابى » ، أن نسخ العدد الاول منه قد نفدت جميعها ، لا من أيدى الباعة والاكشاك والمكتبات فقط ، بل من يدى أنا أيضا !.. وزدت على ذلك انى قد أعدت ثمن العدد بالبريد لكل من أرسله الى .. لعجزى عن اجابته الى طلبه !

حلمى مراد

(البقية على صفحة ١٧٠)

اقرأ فى «كتابى» .. قريبا

الابواب الجديدة التالية :

مآسى التاريخ الكبرى

سبايا «بيزنطة» الفاتنات ، ابن نابليون ، «جوانا» ملكة أسبانيا التى جنت من الحب والغيرة ، لغز الجلاد ، مأساة « تيبريوس » حاكم روما المتوحش ، لعنة « جلنكو » ، غلطة مفجعة لامير غسقونى (من قصص العصور الوسطى) ، امبراطورية «أتيلا» ، مأساة «جنيفر» ، الحانة ذات الفراش القاتل ، لغز مصرع سير ادموند جودفرى .. الخ

لكل رسالة قصة

أشهر الرسائل المتبادلة بين العظماء وقصة الظروف التى احاطت بكل منها : رسائل لنابليون ، جوته ، ليدى هاملتـــون ، مدام دى سيفينيه ، مدام دى بومبادور ، الامبراطورة كاترين ، عشيقة جان جاك روسو ، لورد بيرون ، بلزاك ، هاينى ، بودلير ، بسمارك ، ميكيافيللى ، جورج صاند ، دانتى ، تشيكوف ، كبلنج ، لورنس بلاد العرب .. الخ

شهيرات النساء

باقة عطرة من سير نساء خلدت اسماؤهن وتفوقن على الرجال : كليوباترة ، تيودورا ، جان دارك ، مارى ملكة اسكتلندة ، كريستينا ، مدام دى مانتنون ، شارلوت برونتى ، نل جوين ، «جورج» اليوت ، اليزابيث باريت براوننج ، فلورنس نايتنجيل ، سارة برنار ، ايزادورا دنكان ، مدام شيانج كاى تشيك ، هيلين كيلر .. الخ

اعظم الخطب

خطب شائقة لاعظم خطباء العالم القديم والحـــديث ، فى كل موضوع : فى السياسة والوطنية ، السلم والحرب ، الادب ، والفن ، والعلم ، والاختراع ، والدين ، والفلسفة ، وتأبين العظماء ، والدفاع عن النفس لنفى تهم ظالمة ، وخطب العظماء المحكوم عليهم بالاعدام ، على أثر صدور الحكم.. الخ .. الخ

اقرأ فيه خطبا لهؤلاء : بركليس ، سقراط ، ديموستين ، كاتو ، هانيبال ، شيشرون ، يوليوس قيصر ، مارك انطونى ، كرومويل ، فردريك الاكبر ، كامى ديمولان ، ميرابو ، دانتون ، مارا ، روبسبيير ، لنكولن ، رابندرانات تاغور ، غاندى ، هتلر .. ومن عظماء مصر : محمد فريد ، مصطفى كامل ، سعد زغلول .. الخ .. الخ

آخر قطار .. إلى السعادة !

قصة مصرية : للمحرر



- ١ -

◆ أحس ، وهو يحزم أمتعته للسفر ، بانشراح غريب ٠٠ وانتابته فرحة التلميذ البليد حين يستقبل اليوم الاول من عطلة الصيف ! ٠٠ فانبعث من فمه صفير مرح ، لا عهد له به ، ومضى «يدندن» دون وعى باحدى الاغانى الجديدة الشائعة ٠٠

ثم تنبه لنفسه ٠٠ فتلفت حوله خجلا ٠٠ واذا خادمه النوبى المسن فى أقصى الغرفة ، يبتسم ! ٠٠ فاحمر وجهه ، وقد ألم به شىء من الارتباك حاول تداركه بأن نادى الخادم وكلفه بحمل الحقائب الى السيارة ٠٠!

وعجب من أمره !٠٠ كيف خانه وقاره الى هذا الحد ، فأنساه نفسه ، وأسلمه الى هذا « النزق » ؟ ٠٠ وهل يليق برجل فى مكانته ، وسنه ، أن يفقد اتزانه على هذا النحو ؟

وفرغ من اعداد حقيبته الاخيرة فسلمها للخادم وتناول طربوشه ، ثم مضى الى الباب ٠٠ وبعد أن أغلقه خلفه أعاد قراءة لافتة صغيرة من الورق كان « التمورجى » قد ألصقها عليه :

عيادة الدكتور
رأفت بك سامى
مغلقة خلال شهر يونيو بسبب
تغيب الطبيب فى المصيف

ثم مضى يهبط السلم ٠٠ وكم كانت دهشته حين فاجأ نفسه متلبسا بحماقة اخرى : انه يهبطه فى خفة ورشاقة ابن العشرين !٠٠ **بل انه ليحس بحماسة الشباب تعاوده ، وحرارته تسرى من جديد فى عروقه ٠٠ فماذا دهاه ؟٠٠ ما سر هذا المرح الشاذ الذى يستخفه ٠٠؟ ألأنه قد سمح لنفسه بأول اجازة طويلة منذ أعوام ؟ ٠٠ أم ٠٠ ؟**

◆ وتهلل وجهه بشرا وهو يذكر الاعتبار الآخر !٠٠ وكان قد بلغ الشارع ، فمرق الى سيارته ٠٠ واذا كلبه المدلل «هانى» قابع فى داخلها على المقعد المجاور ينتظره ، بادى الاكتئاب٠٠ فربت بيده على رأسه معتذرا فى لهجة عطف رقيقة : « عفوا يا هانى ٠٠ كدت أنساك ! »

ينساه ؟ ٠٠ انها أول مرة يحدث فيها ذلك لهانى !٠٠ فما خطب سيده ؟

وانطلقت بهما السيارة تنهب الطريق الصحراوى ٠٠ الى الاسكندرية

- ٢ -

◆ وقبيل الغروب كان رأفت يجلس فى ركن منعزل من كازينو « جليم » ، وحيدا ٠٠ لا يفسد وحدته انسان ، ولا حيوان ! ٠٠ حتى كلبه المدلل تركه فى الفندق ولم يحضره معه ٠٠ فقد أراد أن يخلو بنفسه ، ويفكر فى أمره ٠٠ فى حياته التى تنصرم أعوامها سراعا ، لا تلوى على شىء ! ٠٠ منذ متى لم تتح له فرصة كهذه للتفكير الهادىء ، والتأمل

الطويل ٠٠ الذى لا يقطعه طرق على الباب ٠٠ ولا جرس تليفون ٠٠ ولا دعوة من مريض ٠٠ ولا زيارة من صديق !؟ ٠٠ حقا ، ماأقسى أن يكون المرء جراحا مشهورا فى مدينة كالقاهرة ، تجود كل يوم بالجرحى والمصابين فى سخاء عجيب !

ولكن ، ترى هل هو قد جاء حقا ليخلو بنفسه ؟ ٠٠ أم ليخلو بالبحر ، ويقدم له حسابا عن الاعــوام الطـويلة التى قضاها بعيدا عنه ؟ ٠٠ لقد انقضى دهر على آخر مرة حضر فيها الى الاسكندرية ! ٠٠ كان يومئذ شابا ينضح فتوة ، ويتطلع الى مستقبله المرموق بعين المشفق ! ٠٠ أما الآن فقد وصل ، لكنه قد بدأ يدفع الثمن : هذه الشعيرات البيض التى دب دبيبها فى رأسه ، قبل الاوان ! ٠٠ أهكذا مصير كل حى أن يهـرم ؟ اذا فلماذا لا يهرم البحر ، هذا الحى الملئ بالحياة والاحياء ؟ ٠٠ حدثه أيها البحر عن سر شبابك المتوثب الخالد ٠٠ !

وأرهف سمعه للبحر ٠٠ لكن البحر لم يسعف فضوله ، بغير ذلك الهدير المتصل ، وتلك الغمغمة الغامضــة ٠٠ التى تسمع فى سكون الليل كأنها همسات مختلطة تتبادلها مئـات الارواح الخفية ، بلغة غير مفهومة !

وهبت على وجهه نسمات لينة حلوة ، خيل له أنها لمسات يد سحرية تمسح على جبينه فتملأه انتعاشا وانشراحا ، وتمتص من جسمه ونفسه تعب واجهاد أعوام ! ٠٠ يا الله ! أفى الدنيا كل هذه الراحة ، والمتعة ، والهدوء ٠٠ وهو غافل عنها ؟

وأحس بحسرة مفاجئة تلدغ قلبه ٠٠ حسرة على أعـوام شبابه الذهبى التى أضاعها فى الجد ، والكدح ، والعمــل المتواصل ! ٠٠ بل حسرة على حياته القاتمة التى ينفقها فى طلب

الشهرة ، وجمع المال : هذين السرابين الزائفين اللذين كلما بلغ منهما ازداد اليهما شوقه ! ٠٠ وكلما اغترف منهما تضاعف اليهما ظمأه !٠٠ كم من أعوام ، ومتع ، ومسرات أضاعها فى « سوق المجد » هذه ، كى يشتريه ٠٠ فما اشتراه فى النهاية الا بدمه ، ودمعه ، وشبابه ٠٠ بأبهظ ثمن !؟

◆ فماذا أفاده كل ذلك ، وقد ذبلت زهرة عمره وذوت أينع أعوامه ، وهو غافل عنها ، ماض فى حماقته يسابق أقرانه ويلهث ٠٠ كالجواد الغبى الذى يلهب راكبه ظهره بالسياط كى يربح السباق ٠٠ لغيره ! ٠٠ أو كالثور المعصوب الذى يدير الساقية ليروى غلة سادته القساة المستغلين ؟

٠٠ والا فلمن جمع هذا المال وكدسه ، وهو الاعزب الذى لا زوج له ولا ولد ؟٠٠ لمن الا لحفنة الغرباء الذين لا يمتون اليه بصلة ، والذين سخرته الاوضاع أداة بلهاء تكد وتكدح لملء جيوبهم بعرق جبينه : لصاحب البيت ، وبائع السيارة ، وخائط الثياب، وتاجر الكماليات ، وغيرهم ممن ينتفعون من ماله برغمه، أو ينثره هو عليهم بنفسه ؟

ياحماقته !٠٠ أهكذا شاء لنفسه أن يكون ذلك المخدوع الكبير الذى يقتات من خيره الجميع ، دون أن يشاركه مجده أحد ، أو واحدة ؟ ٠٠ انه الآن طبيب مشهور ، وثرى كبير ٠٠ لكن قلبه يعانى من الوحشة ما لا يعانيه أى مغمور فقير !٠٠ وان نفسه لتذوب حسرات كلما تذكر انه قد جاوز الاربعين ، وبدأت شمس حياته فى المغيب ، وهو ٠٠ لم يتزوج بعد !

ولكن ٠٠ لماذا يلوم نفسه ، أو تلومه نفسه ؟٠٠ وهل كان هو المسئول عن هذا المصير ؟ ٠٠ أم كان ضحية تعسة لعبث

المقادير ؟ ٠٠ انه لا يستطيع أن ينسى أنه كاد يغدو زوجا ورب أسرة ، منذ دهر طويل ، لولا ٠٠ ؟

◆ وتملكه حنين قوى الى أن يبعث ماضيه من مرقده، ويعيشه من جديد ! ٠٠ فامتدت يده فى اجفال الى جيبه ، تتحسس شيئا فيه ، ثم خرجت منه بـ ٠٠ بصورة ٠٠ لم تكد تسقط عليها أضواء المصباح الازرق حتى أضاءت معالمها، ودبت فيها الحياة! ٠٠ فدبت فى أوصاله رعشة قوية ، وألقى بصره الى البحر المعتم ٠٠ وقد غامت عيناه !

حدثيه أيتها الامواج عن سره ، وقصى عليه ما كان من أمره !

٠٠ وتلاطمت أمامه الذكريات ٠٠ فألقى بنفسه فيها، وراح يسبح ٠٠ نحو ذلك الشاطىء البعيد الذى بدأ منه قلبه رحلته الطويلة ، آنا يطفو ، وآونة يغوص ٠٠ تارة يبلله الندى ، وتارة يبلله الدمع ٠٠ ولكنه دائما يسبح نحو الشاطىء المرموق ٠٠ شاطىء الاحلام !

- ٣ -

◆ جى المنيرة ٠٠ فى شتاء سنة ١٩٢٧ !

كان رأفت فى عامه الاخير بكلية الطب ، أحرص ما يكون على النجاح فى الدبلوم فى الشتاء التالى ٠٠ وجمعت شهور « الحشر » العصيبة تلك بينه وبين اثنين من زملائه : « خيرى » و « منير » ٠٠ فاتفقوا ثلاثتهم على الاستعانة على السهر بالاستذكار سويا ، كل ليلة فى منزل واحد منهم ، بالتناوب ٠٠



لكن شرط «التناوب» ذاك لم يلبث ان اهمل من الاتفـاق ٠٠ لم يكد منير يعرض عـلى زميليه ـ ايثارا للراحـة ـ ان تنحصر سهراتهم الدراسية فى بيته هـو ٠٠ حتى رحب رأفت بالفكرة فورا ، واقنـع خيرى بقبول تلك التضحية عن «طيب خاطر» ، حرصـا على ارضاء منير ، فى الظاهر ٠٠ وانسياقا فى الواقع وراء عامل آخـر ، هو سحر عينى « عايدة » ٠٠ اخت منير !

وظلت عينا عايدة «البوصلة» التى ترشد رأفت الى طريق بيتها كل مساء ، فيسير على هديها مسلوب الارادة موزع الفكر ! ٠٠ ورغم انه لم يكن يراها طوال ساعات الدرس الا لحظات ـ حين تقبل على الغرفة حاملة زاد «الثلاثة النجباء» من الشاى والقهوة والبسكويت، ثم تلقى اليهم بضع كلمات تنطوى على التشجيع والحث على الاجتهاد ، وتخرج ! ـ فان تلك اللحظات كانت تفعل فى الفتى فعل السحر ، وتمـده بنشـاط خارق وحماسة مضاعفة للدرس والتحصيل ٠٠ فلما انتهى العـام الدراسى كان ترتيبه « الاول » بين الناجحين ! ٠٠ لكن فرحته بالاولوية تضاءلت أمام لذة ظفره بعبارة تهنئة عذبة من شفتى عايدة ، ونظرة اعجاب بنبوغه ٠٠ من عينيها !

◆ ثم سافر الزملاء الثلاثة الى الاسكندرية ، للتزود منها

بفترة استجمام قبل استئناف دراستهم استعدادا لامتحان الدبلوم الاخير الذى يعقد فى الشتاء التالى ٠٠٠ وفى المصيف نما اختلاط رأفت بأسرة منير ، وبعايدة على الخصوص ! ٠٠ فتأصلت جذور حبها فى قلبه ، وجعل يداعب خياله أمل واحد باسم : أن يبادر بمفاتحتها فى أمر زواجهما ٠٠ بمجرد تخرجه!

ولم تكن بينه وبين « الجنة » غير ستة شهور !

ولكن ٠٠

- ٤ -

أتذكر يا رأفت ٠٠ تلك الليلة المقمرة الرائعة ، حينما مر بك خيرى بعد العشاء ، فخرجتما للتريض سويا على شاطىء « جليمونوبولو » ـ حيث أنت الآن ؟

٠٠ كانت الرمال الساجية ثملة بخمرة الليل والحب ، تكشف صدرها لقبلات القمر ! ٠٠ والبحر الغيور يعربد هائجا صاخبا ، ويرغى ويزبد ٠٠ والمساكن الخشبية المتناثرة نائمة بين ذراعى الليل ، تحتضن حسان الثغر وضيفاته الفاتنات ٠٠ والهواء يرف على الوجوه ناعما نديا ٠٠ والوجود كله يؤذن للهوى والشباب والطرب ٠٠ !

٠٠ فسرى اليكما سحر الكون النشوان، وجركما الحديث الى ٠٠ الحب ! ٠٠ وفيما أنت شبه شارد عن خيرى ، تراود ترددك بين مصارحته بقصة حبك أو كتمانها عنه٠٠لحظت عليه بدوره أعراض شرود ـ وتردد ! ـ فسألته مازحا عما به ؟ ٠٠

◆ وكان سؤالك بمثابة اللمسة التى أشالت كفة تردده!٠٠

فاذا هو ينهى اليك ان عنده لك بشرى لا شك سوف تفرحك ، كصديق قديم مخلص ٠٠ لكنه حريص - قبل أن يزفها اليك - على الاعتذار لك عن كتمان أمرها عنك حتى الآن ، فانها ما تزال « سرا » لا يليق أن يذاع قبل أوانه : انه و «عايدة» متحابان ، ومتفاهمان على اتمام زواجهما عقب نجاحه فى الدبلوم مباشرة !

وانقض عليك النبأ المفجع بلا رحمة ! ٠٠ فألم بك ارتباك اليم ، لم تدر معه أتضحك أم تبكى ؟٠٠ أتفرح له ؟٠٠ أم تحزن على نفسك ؟٠٠ أتهنئه ، أم تسأله أن يعزيك ؟

◆ وأمدتك الصدمة فى البداية بجمود كأنه الشجاعة ، أعانك على اخفاء تأثرك وقمع مشاعرك ٠٠ فسايرته فى الحديث حتى تغيرت دفته ٠٠ وعندئذ أطلقت لعاطفتك العنان ٠٠ خيل اليك برهة ان تناشده بحق صداقتكما أن يستل خنجره الذى أغمده فى قلبك ، ويقول انه انما كان يمزح ! ٠٠ لكن قلبك أكد لك أنه جاد ، فابتلعت حماقتك وهى بعد جنين فى فكرك ٠٠ ودخلت فى حساب عسير مع نفسك : لمتها على جمودها الذى أوحى اليها أن تقنع ، فى القرن العشرين ، بحب « من طرف واحد » ، مطوى بين الجوانح !٠٠ وقرنت لومك بحجة وجيهة : لو انك فاتحت عايدة منذ البداية فلربما كنت سبقت خيرى الى قلبها ، أو فى القليل طلقت هواك الخاسر قبل أن يستفحل فيستعصى عليك استئصاله ٠٠ !

لكن نفسك ردت التهمة اليك صائحة : «من منا الغبى ؟٠٠ لقد جعلت همك الى الدراسة والنجاح والتفوق، فى الوقت الذى كان فيه خيرى يزحف الى قلب العذراء زحفا حثيثا ! ٠٠ فظفرت أنت بالاولوية فى العلم ، وظفر هو بالاولوية في الحب !٠٠

فمن منكما بربك الظافر ؟ »

◆ ولم تجب ، فان كل خالجة فى قلبك وعقلك كانت تنطق بالحسرة وتصيح فى وجهك : « لقـــد فاتك أول قطار ٠٠ الى السعادة ! »

- ٥ -

٠٠ وكما فاتك القطار الاول ، فاتتك قطارات كثـــيرة تالية ! ٠٠ فقد تبلد قلبك من أثر الصدمة ، ولم تعد تعنيك امرأة بعينها ، فلم تر داعيا الى العجلة !٠٠ والانسان اذا فاتــه زواج الحب فى شبابه لم يبق أمامه غير زواج «المصلحة» !٠٠ والحب لا يعرف المنطق ، بل يفرض ارادته الصارمة ويوصد باب التردد والاختيار ٠٠ أما المصلحة فلها منطق مطاط يقبل الجدل والنقاش ، ويعتمـــد على الروية ٠٠ والمفاضـــلة ٠٠ والتسويف ! ٠٠

◆ وهكذا وجدت نفسك تسوف ، وتستجيب للنداء الرجعى المألوف الذى يزعم أن الزواج المبكر يعرقل مستقبل الرجـل الطموح ، فآثرت أن تبنى مجدك أولا ، حتى اذا ما دانت لك الشهرة والمال ، دانت لك دولة النساء ٠٠ وانفتح أمامك مجال فسيح للاختيار !

لكن تلك كانت طامتك الكبرى ، التى قادتك الى الموازنة والطمع ، والطمع قادك الى التردد ، والتردد قادك الى الارجاء٠٠ حتى جاوزت الاربعين وأنت ما تزال ٠٠ أعزب !

أفلست نادما ؟

- ٦ -

وأى نادم ؟!

ان السنوات العشرين التى قضاها قلبه يعانى وحشة كئيبة ، كآبة هذا البحر الاسود المخيف الذى أمامه ، كانت سنوات مفعمة بالهناء البيتىوالزوجية السعيدة والابوة القريرة، بالنسبة ‥ لخيرى ! انه لم يبلغ مرتبة أطباء الطليعة ذوى الاسماء اللامعة ـ مثله هو ! ـ لكنه عاش دائما ناعم البال ، قانعا بدخله المحدود وأسرته الصغيرة المحبوبة ، التى يحوطها برعايته وتحوطه بقلوبها ‥ انه الآن أب لثلاثة : «صفية» التى أتمت دراستها أخيرا ، « وماجد » و «عادل» اللذين يصغرانها‥ أما عايدة فكانت له على الدوام نعم الزوجة ، ولهم نعم الام ‥

وأما هو ـ رأفت ـ فكان للاسرة دائما نعم الصديق الوفى، للخمسة ، يزورهم كل حين فيقضى فى عشهم الهانىء أوقاتا عذبة ، ويريق عليهم حبه النبيل وصداقته الخالصة ‥

الخالصة ‥ الى ما قبل شهرين ، حين طرأ على تلك الصداقة عنصر جديد ، لم يكن يخطر له على بال !

فلقدأصيبت صفية بما استدعىاجراء جراحة كبيرة لها ، فنقلها رأفت الى مستشفاه ، حيث أجرى لها العملية بنجاح‥ ثم ظل يتعهدها بعنايته الفائقة ويجرى لها « الغيار » كل حين بنفسه، ويقضى معها وقتا كل ليلة يسرى عنها بأحاديثه ونكاته‥

◆ وذات ليلة ‥‥

أصيبت الفتاة بنوبة ألم وضيق عصبى فى التنفس ، لم تفلح عقاقيره فى ازالته ، فخطر له أن يجرب معها علاجا سيكلوجيا‥

جلس على حافة الفراش فى مواجهتها وتناول يدها فوق يده فجعل يمسح عليها براحة يده الاخرى فى رفق وهو يمنيها هامسا بقرب زوال آلامها ‥ واقتضاه ذلك الوضع أن ينحنى بجذعه نحوها ، ويقترب بوجهه من وجهها ‥ فسكنت نفسها تدريجا ، ثم أغمضت عينيها . ولم تلبث أن أخلدت لنعاس مريح ‥

وخشى رأفت ان يسحب يده من يدها فتستيقظ ‥ فاضطر أن يبقى على وضعه ذاك بعض الوقت، يتأمل محياها الوضىء . لكأنه محيا أمها «عايدة» فى شبابها : نفس الجبين ، وانسراحة الشعر ، وقسمات الوجه ! وتملكه شعور قوى بأنه أمام « عايدة » العذراء ، وراوده ميل ملح الى أن يطفىء جذوة غرامه القديم للام بقبلة طاهرة يطبعها على جبين الابنة!‥ فمال نحوه ، وبكل رقة العاشق العذرى لثمه كما يلثم العابد صنمه المعبود ‥ وأحس للفور بارتياح عذب ، وسكينة رائعة ! ‥

‥ وانه ليستمرىء لذة ذلك الشعور ، تحركت شفتاها بتمتمة خافتة ‥ فأجفل ! خشى أن تكون قد استيقظت وأحست قبلته ! ‥ لكن روعه أفرخ حين أيقن انها نائمة ‥ تحلم ! وتكررت تمتمتها فاستبانت مقاطعها : « رأفت ‥ حبيبى رأفت ‥ لكم أحبك !‥ أذكر هذا دائما ولا تبال بالعقبات‥!»

◆ رباه ! ‥ أهذا معقول ؟ كذب رأفت فى البداية سمعه ‥لكن سمعه أكد العبارة، وأضاف اليها كلمات أرق وأعذب!‥ لم يبق مجال للشك. اذن فهى تكن له كل هذا الحب ، وهو لا يدرى ؟ ‥ ولكن ، حقا ، كيف لم يلحظ ذلك من قبل : من ترحيبها بزيارته للبيت ‥ وميلها الى صحبته ، والجلوس

اليه ، والنقاش معه ؟ ٠٠ ثم من نظراتها ٠٠ وضحكاتها ٠٠ ومزاحها ؟ ٠٠ لقد طالما فسر كل ذلك برفع الكلفة الطبيعى الذى توجبه نظرتها اليه كشبه «عم» لها ٠٠ أما ان تحبه على هذا النحو ، فذلك ما لم يخطر له يوما على بال ، وما يحتاج منه الى زمن كى يوطن نفسه عليه ، ويهضمه ! ٠٠ ولكن ، لم لا ؟ أهى أول من أحبت رجلا يكبرها بعشرين عاما ٠٠ أو هو أول رجل فى الاربعين يتزوج من فتاة فى الثامنة عشرة ؟ ٠٠ أبدا ، فان ذهنه ملء بالامثلة التى من هذا النوع ، والتى تتوالى كل يوم٠٠ فيالكرم الاقدار التى شاءت أن تسخر قلب الابنة كى يرد اليه جميل عاطفته نحو أمها !

- ٧ -

٠٠ وتغيرت منذ ذلك اليوم نظرته لصفية ، وطريقته فى معاملتها ، وعاطفته نحوها ٠٠ واستيقظ فى قلبه بغتة هواه القديم لامها ، مضاعفا ، مضافة اليه «فوائد» عشرين عاما ٠٠ وكأنه كان يدخره فى قلبه بالربا الفاحش !!٠٠ فأحب العذراء كالغريق ، بكل انفعال وتشبث العاشق فى سن الاربعين ٠٠ وجعل يتحين الفرص لمكاشفتها بالامر : بحبه هو بدوره لها ، ووقوفه على حبها !

◆ وفى غضون ذلك توالت عليه الشواهد معززة تفانى الفتاة فى حبه : كانت تتناول القلم أحيانا لتكتب نمرة تليفون « سينما » ، أو عنوان « خياطة » ، فلا تفرغ من ذلك حتى تروح تزركشي الورقة دون وعي بكافة مشتقات اسم « رأفت » ، في

عشرات الاوضاع والرسوم « الهندسية » ! ٠٠ أو كانت تنادى أخويها ، أو تجيب على التليفون ، فينزلق لسانها بالمقطع الاول من « رأفت » ثم تتدارك الامر فى آخر لحظة ، فلا يلحظه أحد ٠٠ سواه !

وضاق صدره بالكتمان، وأضنته لهفته، كالطفل المفطوم ٠٠ فلما جاء موعد سفر خيرى وأسرته الى الاسكندرية ، أدرك رأفت أن فرصته قد حانت أخيرا ٠٠ فأزمع فى نفسه أمرا : أن يلحق بصفيه هناك ، ويزف اليها بشرى استجابة قلبه لعاطفتها ٠٠ فى أول خلوة يتيحها لهما البحر أو الشاطىء ٠

- ٨ -

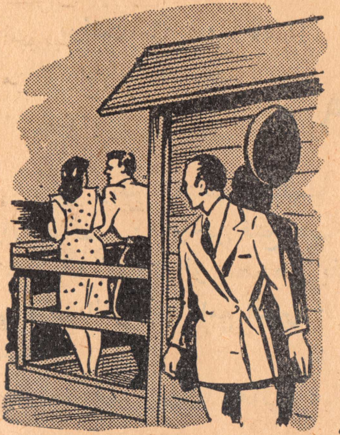
٠٠ وهذا هو قد حضر أخيرا الى الاسكندرية، التى شهدت مصرع غرامه الاول ، والتى سوف تبارك غرامه الاخير ! ٠٠ وهذا هو يجلس فى كازينو «جليم» يستعيد ذكريات هـــواه الكظيم ، ويعد الدقائق فى انتظار لقائه لفتاته !

٠٠ كان قد خف الى بيتها ساعة الاصيل فلم يجد أحدا ، وقيل له ان الاسرة قد خرجت الى زيارة بعض الاصدقاء ، أما الفتاة فذهبت الى السينما ، ولن تعود قبل التاسعة ٠٠

فكم بقى على التاسعة ؟ عشرون دقيقة ؟ اذن فقد آن له ان ينهض ، ويسرع الى فندقه كى يصلح من هيئته قبـــل أن يلقاها !

وأرسل قبلة نشوى الى البحر ، ثم مضى ٠٠

◆ وأشرف أخيرا على البيت ٠ انه لا يكاد يصدق نفسه ٠٠



أحقا اوشك قطار السعادة ان يقله اليها ، وان يأخذمكانه فيه بين المحظوظين ؟

وكان يسير فوق الرمل المبلل المتماسك ، بمحاذاة الماء ، حتى بلغ البقعة المواجهة للبيت فعرج الى يمينه ، وشرع يخوض الرمال الجافة ميمما شطره ٠٠ وانه لينتزع قدميه انتزاعا ، **واذا همس صوت مألوف يصافح سمعه منبعثا من شرفة الكابينة الملحقة بالبيت ٠٠ انها صفية ! وخفق قلبه ٠٠ فهم ان يدور حول الكابينة فى اتجاه بابها ، لكن صوتا آخر صك أذنيه فجأة ، صوت رجل ! فتسمر فى مكانه ، والتصق بالجدار ينصت برغمه لما يدور خلفه :**

ـ لو تعلمين كم أحبك ياصفية ٠٠ لكن حبى هذا هو الذى يجردنى من الانانية ، ويجعلنى أشفق عليك من انتظار قد يدوم عامين ، أو ثلاثة !

ـ لا تخف يا حبيبى ٠٠ سأنتظرك عامين وثلاثة وأكثر ، حتى تنال الدبلوم وتعين ٠٠ وحتى لو عينوك فى مستشفيات الارياف أو الواحات فسوف أذهب معك وأنتقل فى ركابك ، وأسهر على راحتك ٠٠ ان حبنا الذى تخطى أعقد عوائق الماضى لن تقهره عقبة كهذه ، ولن يتململ من الانتظار ٠ أواه ، لكم أحبك يا «رأفت» !!

«رأفت» ؟؟ ٠٠ رباه !!

- ٩ -

◆ وبلغ الفندق محطما ، خائر النفس والجسم والاعصاب ! ٠٠ وحين فتح باب غرفته ودخل ، لم يتحرك كلبه لاستقباله كعادته أو يبصبص بذنبه مرحبا ٠٠ بل ظل قابعا فى ركن الغرفة ، دامع العين ٠ انه ما يزال متأثرا من جحود سيده !

- أهذا أنت يا «هانى» ؟

- ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

- ألا تصفح عنى ؟ هاقد عدت اليك !

- حين هجرتك حواء ، وعدت وحيدا كما كنت ؟ ! دعنى أتشفى فيك يا جاحد ٠٠ !!

- حتى أنت ؟

- أرأيت ان المحظوظ «رأفت» آخر ، يا «دكتور» رأفت؟٠٠ أيها التعس ، كيف غاب هذا الاحتمال عن ذكائك الخارق ؟ ألى هذا الحد ختم الغرور على بصيرتك فلم يخطر ببالك ان فى الدنيا رأفت آخر تحبه النساء غيرك ؟ ٠٠ وبأى عقل توهمت ان زهرة نضرة كصفية يمكن أن تحب «كهلا» مثلك فى سن أبيها ؟ بل كيف سولت لك أنانيتك أن تقبل اقتراف «جريمة» كهذه ، حتى لو قبلتها هى ، وأقدمت طائعة على الانتحار ؟

- هاني ٠٠ كفى ! ألا تفهم ؟ حسبتها تحبني !

ـ تحبك؟٠٠ أنت ؟ يامن شاخ قلبه ، وبليت عواطفه ، ومات وجدانه صريع عبوديته الذليلة للشهرة ، والمال ، وأحلام المجد ؟ ٠٠ انك « حطام » رجل ، فماذا تحب الفتـــاة فيك : جاهك، ثراءك، نبوغك ؟ انها كلها تخر صاغرة أمام فتوة غريمك وشبابه ٠٠ وفقره !٠٠ وأنت بها كلها لا تملك أن تشترى قلب عذراء ! ٠٠ فاحذر أن تعترض طريق «صفية» بعد الآن ، أو تقف فى وجه حبها!٠٠ أغرب عنها بوجهك الكالح وشعرك الاشيب٠٠ أيها العجوز المتصابى !

ـ رفقا بى !

ـ وهل ترفقت انت بنفسك ؟٠٠ايها الغبى٠٠ماذايجدى الانسان لو ربح ملك سليمان ، وخسر سعادته ؟ فليرد اليك مجدك لحظة واحدة من لحظات سعادتك الضائعة، ان استطاع!٠٠ أتبكى ؟٠٠ يا مسكين ، انى أرثى لك ، فان آخــر قطار الى السعادة ٠٠ قد فاتك !!

عندما يرتفع الستار..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى... والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى العـــدد الاول من « كتابى » مسرحية من لون « الدراما » هى «خطايا الحب» لاوسكار وايلد ... وفى العدد الثانى قدمت لك مسرحية من لون آخر ـ هو لون « التراجيدى » ـ وأعنى بها مسرحيـــة « الحب الآثم » لتولستوى .. وفى العدد الماضى انتقلت بك الى لون الكوميديا فقدمت لك تحفة « جوجول » الخالدة (نزاهة الحكم) ..

وفى الاعداد القادمة ستقرأ فى هذا الباب بمشيئة الله المسرحيات الخـالدة التالية :

برناردشو : (بيجماليون) أوسكار وايلد: (الزوج المثالى) مكسيم جوركى: (الصعاليك ، الام ، الاعداء ، البرابرة) أنطون تشيكوف : (بستان الكرز ، الشقيقات الثلاث ، العم فانيا ، العيد السنوى ، الزفاف) دانونـزيو : (الجيوكوندا) بيرانديللو : (الحيـاة نفاق) جوته : (فاوست) ابسن (أعمدة المجتمع ، مهزلة الحب، عصبة الشباب) فيكتور هوجو : (هـرنانى ، ماريون ديلورم) موليير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل ، طرطوف ، طبيب برغم أنفه) فولتير : (زايير) شكسبير : (ترويض النمرة ، هملت ، عطيل ، ماكبث ، روميو وجولييت ، تاجر البنـدقية ، حلم ليلة صيف ، الليلة الثانيـة عشرة ، قيصر وكليوباترة ، العاصفة) سوفوكل : (أوديب الملك .. الخ

سلاح المرأة!

كوميديا كبرى

للكاتب اليوناني القديم

"أريستوفان"



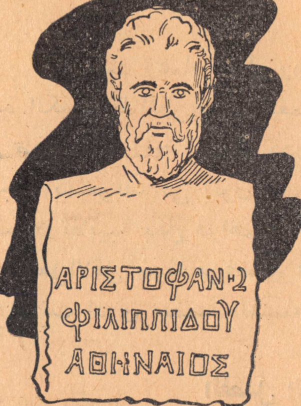
شخصيات الرواية

ليسستراتا : حسناء من حسان أثينا	Lysistrata
امرأة من نساء « أثينا »	Athenian Woman
الحاكم	Magistrate
جوقة (كورس) من الرجال	Male chorus
جوقة من النساء	Female chorus
جوقة مشتركة من الجنسين	Joint chorus
امرأة من نساء اسبرطة	Spartan Woman

زمان الرواية : **حوالى عام ٤٠٠ قبل الميلاد .**

مكان الرواية : **أثينا عاصمة بلاد اليونان .**

المؤلف



.. هو شاعر الاغريق المرح وعميد كتاب الكوميديا القديمة «أريستوفان» .. عاش بين عامى (٤٤٨ – ٣٨٥) قبل الميلاد ، فى فترة من أحرج الفترات التى مرت بدولة أثينا الديمقراطية العريقة ، فترة حربها الضروس مع مملكة « أسبرطة » الاوتوقراطية العاتية .. وقد أوحت له أهوال تلك الحرب المروعة بفكرة المسرحية الهزلية الساخرة التى أقدمها لك فيما يلى ، والتى تمتاز بعمق المغزى وطرافة القالب والسياق فى آن معا .. كما سترى .

كان اريستوفان – على حد تعبير «فولتير» – يضحك ، كى يمنع نفسه من الانتحار .. وقد حول مأساة الحياة الى مزحة وفكاهة ، وقلب جدها هزلا وتهريجا .. وبذلك مكن مواطنيه من ان ينسوا متاعبهم .. لكنه اجبرهم فى الوقت نفسه على أن يفكروا ويمعنوا الفكر ! .. فهو لم يكن مجرد كاتب كوميدى ، بقدر ما كان ساخرا .. احب الحكمة فى عصر حفل بالحماقة ، وأولع بالسلم فى عصر كان يمجد الحرب ! .. وكره خداع الساسة ، وخبث تجار الموت ، واستهتار زعماء الدهماء ! .. كان سلميا ، محافظا ، وانت تلمس منه هاتين النزعتين فى اكثر المسرحيات الاحدى عشر التى « بقيت » للانسانية من تراثه – أما التسع والعشرين مسرحية الاخرى التى كتبها فقد فقدت! – وفى هذه الكوميديات الاحدى عشر بحث اريستوفان – بصراحة رائعة – أغلب المشكلات السياسية والاجتماعية التى ما يزال يضطرب بها العالم المتمدين حتى يومنا هذا : مشكلات الحرية ، والمساواة ، والاخوة ، والاشتراكية ، والفوضوية .. وحقوق المرأة ، واساليب التربية « الحديثة » ، والسلم ، والحرب ، والدين .. الخ

ويمتاز حوار أريستوفان باثارته للتفكير وشحذه للاذهان ، أذهان قراء ونظارة اليوم ، مثل شحذه لاذهان اسلافهم منذ الفى واربعمائة عام ، سواء بسواء ! .. وكم من كوميديا عصرية تدين بنجاحها « وروحها » الفكهة لصدى فكاهات اريستوفان الخالدة على مر الزمان .. !

٠٠ ليت زعماء العالم ورؤساء الدول جميعا يقرأون هذه الكوميديا الطريفة - العميقة المغزى - بل يحفظونها عن ظهر قلب !٠٠ اذن لترددوا وأطالوا التفكير قبل ان يزجوا بشعوبهم فى اتون الحرب ، ولامسكوا بأذيال السلم وتلابيبه بكل قواهم ٠٠ ان لم يكن حبا فيه ، وايمانا به ، فعلى الاقل خوفا من غضبة النساء ، وثورة الزوجات !

٠٠ وانت ادرى بغضبة النساء وثورة الزوجات ٠٠!

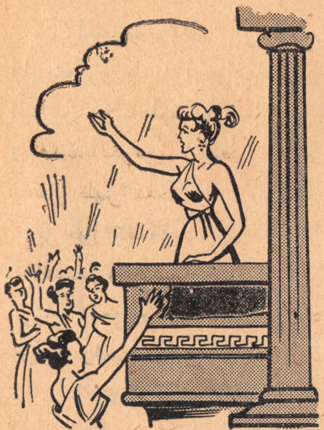
الفصل الاول

نحن فى أثينا القديمة ، وقد ضجت نساؤها من طول أمد الحرب المحتدمة بين بلادهن وبين مملكة «اسبرطة» ، وهى الحرب التى انقضى على نشوبها أكثر من ثمانية عشر عاما ! ٠٠ فصحت عزيمة فريق منهن على التماس سلاح يجبر الرجال ذوى النزعة العسكرية ، ولا سيما قادة البلاد وحاكميها ، على وضع حد للحرب الطاحنة التى تفتك بالالوف من أشبال اليونان وشبابهم ٠٠

فماذا يفعلن ٠٠ ؟

قامت حسناء منهن - تدعى ليسستراتا - بدعوة الزوجات الثائرات الى اجتماع يتبادلن فيه الاراء ويقلبن الامر على شتى وجوهه ، لعلهن يهتدين الى حل للموقف ٠٠

والتأم شمل المجتمعات ٠٠ وطال النقاش والجدل ،



والاخذ والرد ٠٠ وفجأة يتفتق ذهن الحسناء ليسستراتا عن فكرة يتمثل فيها مكر الانوثة ودهاؤها : انها تدعو زميلاتها الزوجات الى تنظيم اضراب «جنسى» ضد أزواجهن ، حتى يقلعوا عن حروبهم المرذولة ويستجيبوا لنداء السلام !٠٠ « فلكى نرغم أزواجنا على عقد الصلح ، ليس أمامنا غير سبيل واحد : ان نحرمهم من مباهج الحب !»

لكن المجتمعات يترددن فى البداية فى الانضمام الى هذا « الاضراب » ٠٠ ويبدأن فى اثارة شتى الاعتراضات عليه ، واحدة منهن فى أثر الاخرى :

زوجة من الحاضرات : اذا نحن عاقبنا ازواجنا بهذه الطريقة نكون قد عاقبنا انفسنا أيضا ٠٠ شأن من يعض انفه ليشوه وجهه ، فتؤلمه العضة ٠٠!

ليسستراتا : ياالجبنكن !٠٠ لاعجب اذا تنافس الكتاب فى وصف ضعفنا ووهننا ٠٠ اننا فى الواقع نقضى حياتنا كلها بين الارجوحة والفراش !

زوجة أخرى : حسنا ، فلنفرض اننا وافقنا على فكرة مقاطعة أزواجنا ــ ولو ان السماء تحرم ذلك ــ فهل تعتقدين اننا بذلك نكون قد اقتربنا خطوة من السلام ؟

ليسستراتا : بل نكون اقتربنا منه خطوات !٠٠ كل ما يتعين علينا أن نفعله هو أن نتأنق فى لباسنا ونفرط فى التزين والتعطر حتى نصبح على نصيب من الجاذبية لا يقاوم٠٠ وعندئذ ، حين يتهيأ رجالنا للرضوخ ٠٠ نصدهم ! ٠٠ ويوم يحدث ذلك ، أؤكد لكن انهم سوف يتلهفون على عقد الصلح ٠

زوجة ثالثة : ولكن ماذا لو أمعن ازواجنا فى العناد فهجرونا تماما واستغنوا عنا ؟

ليسستراتا : عندئذ نستطيع ان نجد تسليات اخرى نزجى بها أوقات فراغنا !

الزوجات ، فى صوت واحد : حسنا جدا ، فلنجرب الفكرة اذن ٠٠٠ فمن يدرى ، لعلها تنجح ! ؟

ليسستراتا : أنا موقنة انها سوف تنجح !

الفصل الثانى

٠٠ فاذا كان الفصل التالى رأينا الزوجات الثائرات يتخذن خطوتهن الاولى فى حربهن ضد « الحرب » ! ٠٠ فيهاجمن مقر خزانة الدولة التى أودعت فيها سندات المالية العامة ٠٠ وتدور بينهن وبين الرجال المدافعين عن الخزانة معركة عنيفة يستخدم الاولون فيها المواد المحرقة ، كى يهلكوا طابور النساء المهاجمات ٠٠ وتستخدم هؤلاء جرار وبراميل الماء ، كى يغرقن خصومهن ! ٠٠

وفى وسط المعركة ٠٠ يندفع حاكم أثينا الى المكان وفى ركابه ثلة من رجال الشرطة :

الحاكم (مشيرا الى ليسستراتا) : اقبضوا على الخائنة !

◆ **ويحدث هرج ومرج بين رجال الشرطة والنساء ٠٠ ثم تنجلى المعركة عن انتصار النساء ! ٠٠ واذعان الرجال المقهورين للامر الواقع :**

الحاكم : سيداتى ، لا مفر من الاعتراف بأننا قد هزمنا ٠٠ ولكن ، فلنتفاهم : ما الباعث على كل هذا العراك ؟ لماذا هاجمتن الخزانة العامة ؟

ليسستراتا : كى ننقذ أموال الشعب المودعة هنا ، حتى لا تشنوا من أجلها حروبا أخرى !

الحاكم : ماذا ؟ أو تحسبين ياسيدتى العزيزة اننا قد اشتبكنا فى هذه الحرب من أجل المال ؟

ليسستراتا : بلا شك ، كل حرب انما تنشب من أجل المال ٠٠ لماذا تحسبون الساسة يشنون الحروب ؟ ٠٠ انهم لا يشنونها الا ليجدوا فرصة ليسرقوا ! ٠٠ لكنهم منذ الآن لن يجدوا مالا ينفقونه على حروبهم ، فاننا نحن اللواتى سنتولى التصرف فى مالية البلاد ٠٠!

الحاكم : أنتن ؟

ليسستراتا : بالتأكيد ! أو لسنا خبيرات بالتصرف فى مالية البيوت ، وموازنة ميزانياتها ؟

الحاكم : أوه ، ولكن هذا أمر جد مختلف ٠٠

ليسستراتا : وما الذى يجعله مختلفا ؟

الحاكم : الاموال العامة لازمة للقتال ياسيدتى العزيزة

ليسستراتا : لكن القتال ذاته ليس لازما ياسيدى !

◆ **ويتهيأ الحاكم لمواصلة النقاش والجدل ٠٠ لكن النسوة**

الثائرات يمسكن بتلابيبه فيجردنه من ثيابه ويلبسنه ثياب امرأة ! ٠٠ انهن الآن قد اتخذن عدتهن للاستيلاء على مقاليد الامور ، كي ينقذن البلاد من الكارثة التى اوقعتها فيها حماقة الرجال !٠٠ سوف يعالجن « عقد » السياسة والحرب بنفس الطريقة التى يعالجن بها خيوط « شلة » معقدة من صوف « التريكو » ! ٠٠ سوف « يلضمن » الشعوب جميعا فى « خيط واحد » من الصداقة الطيبة ٠٠ !

ويسقط فى يد الحاكم ٠٠ لكنه لم يقتنع بعد بجدارة النساء بتصريف سياسة البلاد ٠٠ « فمهما يكن من شىء ، فالحرب أمر يخص الرجال ! »

لكن ليسستراتا تقاطعه محتجة : « أوه ، كلا ٠٠ بل انها أمر يخص النساء ! ٠٠ النساء هن اللواتى يقاسين أشد الآلام والكوارث نتيجة للحروب التى تشنونها أنتم ! ٠٠ والا فأين أبناؤنا الذين أرسلناهم الى ميادين قتالكم ؟ وما خطب أزواجنا الذين لا يعودون قط من الميدان ؟

ويحاول الحاكم المضى فى جدله السقيم ٠٠ لكن ليسستراتا تقاطعه هاتفة : « لقد آن لك أن تموت ! » ٠٠ ثم تتبع قولها بالفعل فتمسك بتلابيب الرجل مرة أخرى وتتعاون مع زميلاتها على الباسه « كفنا » من أكفان الموتى ! ٠٠ فينطلق يعدو وهو ينشج بالبكاء مستغيثا ٠٠ بينما تواصل الزوجات اضرابهن ! !

الفصل الثالث

٠٠ فاذا كان الفصل الثالث فقد أحرز الاضراب نجاحا كاملا ، ليس فقط في أثينا ، وبل وفي بلد الاعداء أنفسهم :

«اسبرطة» ٠٠ حيث نظم النساء اضرابا مماثلا ضد أزواجهن ٠٠ !

ويرضخ الازواج فى البلدين لارادة زوجاتهم آخر الامر ٠٠ فيقبلون انهاء الحرب بين بلديهم ، مقابل استرداد حبهن ، و « وصالهن » ! ٠٠ وتسمع أصوات مختلطة :

جوقة من الرجال : كم كان حكيما الفيلسوف الذى أطلق على النساء : «الجنس المخالف» ؟! ٠٠ فنحن لا نستطيع العيش معهن ٠٠ ولانستطيع العيش بغيرهن !!

جوقة من النساء : فلتقولوا ما تشاؤون ٠٠ ولتفعلوا ما يروق لكم ٠٠ فالكلمة الاخيرة تكون دائما لنا نحن النساء ٠٠ لان منطقنا هو المنطق العقيم ٠٠ الذى لا يمكن التعقيب عليه !!

جوقة مختلطة من الجنسين : كفانا مشادات لا طائل وراءها ٠٠ فلنحزم أمرنا ونعقد الصلح !

الفصل الرابع

٠٠ فاذا كان الفصل الاخير فقد التقى مبعوثو أثينا ومبعوثو اسبرطة كى يعدوا التدابير اللازمة لانهاء الحرب ٠٠ وهم قد اختاروا الحسناء « ليسستراتا » كوسيطة بينهم !

ليسستراتا : أنا امرأة ، هذا صحيح ، لكنى لست مجردة من العقل ،فيما أرجو ٠٠ واذن فلتصغوا الى ياأصدقائى الاثينيون والاسبرطيون ، فأنا أريد أن أؤنبكم وألومكم مجتمعين ! ٠٠ انتم كلكم من سلالة دم واحد، ولغة واحدة، وتعبدون نفس الآلهة ٠٠ وقد طالما تآخيتم وعاونتم احدكم الآخر فى الماضى، فلماذا تذبحون الان بعضكم البعض؟ ٠٠ لماذا لاتصلون الى تفاهم وتتفقون على شروط

الصلح ؟ لماذا ؟٠٠ قديكونضروريا لاصناف الحيوان ان تقاتل ، لكنالمؤكد ان القتال ليس ضروريا بالنسبة للكائنات البشرية٠٠ بل انه لامر يدعو الى العار ان يقتل الاغريق بعضهم البعض ، بينما البرابرة المتوحشون ينظرون ويتفرجون ٠٠ !

مبعوث من اسبرطة : نحن على استعداد لعقد الصلح ، اذا نلنا مطالبنا ٠٠

مبعوث من أثينا : ان مطالبكم ومطالبنا تنحصر الآن فى استرداد زوجاتنا من جديد !

ليسستراتا : حسنا جدا ، سوف تستردوننا ٠٠ والآن فلتمضوا جميعا الى مأدبة الصلح ، وبعدئذ ، حين تزيلون العطب الذى اصاب صداقتكم الجريحة ٠٠ يصبح فى وسع كل رجل أن يأخذ زوجته معه الى بيته !

اسبرطى : هيا بنا أيها الاثينيون ، فلنشرب الخمر حتى نثمل !

أثينى : مرحى ، مرحى ، يا أصدقائىالاسبرطيون ٠٠ ان الانسان يكون عادة أكثر فظاظة ومشاكسة حين يكون فى كامل وعيه ٠٠ فلو أفرط الدبلوماسيون فى الشراب واقتصدوا فى مشاداتهم الشفوية لقضى على الحروب نهائيا ! ٠٠ انهم عندئذ يغرقون خلافاتهم فى الخمر، ويتبادلون العناق ، أو يغنون أغنية مرحة سويا ٠٠ ثم ينتهون الى أن العدو يمكن فى الواقع أن يكون رجلا طيبا مثل سائر الناس !

ويمضى اهل اثينا واهل اسبرطة الى الوليمة ، ثم يعودون وقد صفوا الخلافات بينهم وصفت نفوسهم تماما !

ليسستراتا : والآن ، كلشىء قدأمكن تدبيره اخيرا ٠٠

فتعالوا أيها الاخوان ، تأبطوا أذرع نسائكم ·· ولنشارك جميعا في « رقصة السلام » !

جوقة : « أوه ، فلنصل اليوم الى الآلهة ..
« كيما يأتى كل حقل بأطيب المحاصيل وأوفر الثمرات··
« بينما نأكل نحن طعامنا فى سلام ، وخبزنا ولحمنا ··!
« أواه يافينوس ، يامن تختالين فى ثوب الحب ··
« أعيدى لنا الآمال والمباهج التى فقدناها فى الحرب !
« ولننس السيف .. ننساه الى الابد !

الخالدون



عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى العددين الاول والثانى من «كتابى» قصصت عليك سيرة اثنين من أنبياء الوطنية الذين بلغوا أرفع مراتب العظمة فى السياسة ...

وفى العدد الماضى انتقلت بك من سير أنبياء الوطنية الى سير العظماء فى شتى الميادين الاخرى ، غير السياسية ، فرويت لك قصة حياة « لويس باستير » وكفاحه الشاق الجبار ضد المرض والجهل ..

واليوم أقدم لك عظيما آخر ، اختارت له الاقدار ميدانا آخر من ميادين العظمة والخلود، غير ميدان العلم .. هو « اميل زولا » ، كاتب فرنسا الكبير الذى تقرأ فى الصفحات التالية قصة حياته وكفاحه الشاق من أجل الادب .. والعدالة !

وفى الاعداد التالية أعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : برناردشو .. دانتى ، ملتون ، بيرون ، شيللى ، براوننج . مايكلانجلو، رافاييل، ليوناردو دىفنشى.. بيتهوفن، شوبرت، شوبان، فردى، تشايكوفسكى، سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة .. بوذا ، كونفوشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، ماركونى ، روكفيلر، اديسون ، فورد.. بلزاك، والترسكوت، ديماس ، ديكنز ، دوستويفسكى ، موباسان .. كولمبوس، الاسكندرالاكبر، ماركوبولو .. وغيرهم !



إميل زولا

"مؤلف "نانا" ... وبطل قضية "دريفوس" !

سهرات بوهيمية ..

◆ فى احدى ليالى مايو سنة ١٨٧٤ اجتمع أربعة من أدباء باريس فى «كافيه ريش» كى يتناولوا العشاء ، ويتناقشوا فى شئون الادب والحياة !.. كان أولئك الاربعة هم : اميل زولا ، وجوستاف فلوبير ، وألفونس دوديه .. ثم زميلهم الروائى الروسى ايفان ترجنيف .

وكانوا جميعا نهمين ، شغوفين بالطعام شغفهم بكتابة القصة .. وفى هذا يقول زولا : « اماعن نفسى فقد كنت فى أمس الحاجة الى ان أكون نهما ، كى املأ معدة عاشت على الكفاف اعواما طوالا !»

وامتعهم ذلك الاجتماع .. وجدوا فيه جميعا تلك المتعة المزدوجة - الحسية والذهنية - التى تتيحها رواية القصص على موائد الطعام : قصص الحياة وقصص الخيال !.. فكرروا جلستهم تلك ، جعلوا منها تقليدا أوفرضا شهريا ، يلتقون فيه كل مرة حول المائدة فى الساعة السابعة .. ولا يبرحون المكان الا عند منتصف الليل !.. ولكن لاليعودوا الى بيوتهم .. وانما ليتسكعوا فى طرقات باريس حتى الثانية ، اوالثالثة ، اوالرابعة صباحا .. وهم يسمرون ، ويتبادلون رواية افكار قصصهم المقبلة ، ويهدمون الدنيا ثم يعيدون بناءها وفق هواهم الخاص ..!

◆ وكان «ترجنيف» عادة هو اول من ينسحب منهم عائدا الى منزله ، ثم يتبعه دوديه .. وعندئذ يرافق زولا «بابافلوبير»

ـ كما كان يدعوه ـ الى منزل الاخير فى شارع « موريللو» ٠٠ وعند الباب يقبل فلوبير زميله زولا فى وجنتيه ، ثم يفترقان على قول المعلم فلوبير لتلميذه زولا : «كل القصص والاحساسات قد رويت وصورت قبلنا يا ابنى ٠٠ فلم يبق لنا غير ان نقول ونصور نفس الاشياء ، ولكن بأسلوب اروع ، والفاظ اجمل!»

وقد عاش زولا ، لاليروى القصص القديمة فقط فى أسلوب اجمل ٠٠ وانما ليبتكرقصصا جديدة ويرويها بأسلوب ردد العالم كله صداه !

طفولة بائسة ٠٠

◆ ولفظ «زولا» ـ وهولقب الاب ـ يعنى «ربيب الارض» ٠٠ وقد عاش «اميل» مخلصا للقب ابيه ، شغوفا « بأمه الارض » وبكل مخلوق أنجبته وعاش على ظهرها ٠٠ محبا للانسانية جمعاء !

وكان دمه ـ أو نسبه ـ مختلطا ، فيه قطرات من دم كل بلد عريق ٠٠ فكانت جدته يونانية ، وامه فرنسية ٠٠ وأبوه ايطالى !

وكان الاب « فرانشسكو زولا » مهندسا معماريا صائب الرأى دائما ، لكنه كان منكوبا ببطانته والمنفذين لتصميماته ، فقد كانوا دائما يمسخون ويشوهون ابتكاراته !٠٠ وحانت فرصته الكبرى لتسنم قمة النجاح حين عهدت اليه بلدية مدينة « اكس » بتشييد قناة تجلب الماء من الجبال الى المدينة ٠٠ لكن نحسه لازمه ، فمات (سنة ١٨٤٧) قبل ان يبدأ العمل فى انشاء القناة !٠٠ وخلف وراءه ارملته مدام

زولا وابنها «اميل» المشرف على السابعة .. بلا عون ولا سند غير ذكرى أحلام الرجل الضائعة !

◆ وهكذا قضى «المتشرد الصغير» أعوامه الخمسة التاليـة فى دراسة متقطعة ، تتخللها رحلات مغامرة الى شـواطىء « الطورس » .. حتى أتيح له اخيرا ان يتلقى دراسة صحيحة حين ألحقته امه بمدرسة «اكس» ..

لكن مدة اقامته فى المدرسـة كانت فترة عذاب ومرارة طويلين بالنسبة له .. فقد كان متحفظا ، لايحسـن الاختلاط بزملائه ، فعجز عن ان يتخذ لنفسه منهم صديقا واحـدا .. فضلا عن اللثغة المضحكة التى كان يشكو منها ، والتى كانت تجعله ينطق اسمه محـرفا فيقول «تولا» بدلا من «زولا» .. فصارت كلمة «تولا » كناية عن الفتى الحساس المنطوى عـلى نفسه ..!

صديق العمر ..

◆ لكنه كان «محاربا» بطبعه ، فأبى ان يستكين ويستسلم لضعفه وظروفه السيئة ، فلم يلبث ان وطـن نفسه عـلى ان يجابه المجتمع الذى يسخر منه ، ولو وحيدا ، فيرد الصـفعة بصفعة مثلها والكيل كيلين !.. وذات يوم ، بعـد ان هاجمته وتكأكأت عليه زمرة من زملائه الاشرار ، أبى ان يبرح مكانه .. بل ظل واقفا مبهور الانفاس محطم النفس ، لايكاد يقـوى على حبس الدموع فى عينيه .. فتقـدم منه طالب «محايد » يواسيه قائلا : «انى آسف لماحدث »

فأجابه الفتى زولا : « أوه ، لم يحـدث شيء .. انى

استطيع حماية نفسى !»

لكن الزميل مد يده اليه فى تأثر قائلا : « أود ان اكون صديقا لك منذ الآن »

فقال زولا وهو يصافح اليدالممدودة شاكرا : «وأنا أحس بمثل احساسك ٠٠ وبهذه المناسبة ، ما اسمك ؟»

– «سيزان ٠٠ بول سيزان »

وكانت تلك بداية الصداقة الخالصة التى دامت بعد ذلك مدى الحياة ، بين متمردين قررا ان يواجها عدوهما المشترك – المجتمع – أعزلين من السلاح ، فى غير وجل !

الفشل فى الدراسة !

◆ وفى مدرسة «اكس» أثبت زولا براعته فى الكتابة ٠ ٠ فقد ألف فى سن الثالثة عشرة قصة طويلة ، ومسرحية ذات ثلاثة فصول !٠٠ لكنه أثبت ايضا شيئا آخر ، هو فشله التام فى الدراسة !٠٠ وحين ترك مدرسة «اكس» ليلتحق بكلية «النورمال» فى باريس ، لم يصر أحسن حالا ٠٠ **كان ينادى كى يتلو المحفوظات المقررة عليه ، فلاينطق حرفا !٠٠ اذ كان كل همه وجل وقته موزعين بين كتابة الشعر وقراءة « هوجو» و «موسيه » و «رابليه » و «مونتين» ٠٠ وعندما حان وقت الامتحان النهائى كانت درجته فى «الادب» ٠٠ صفرا !**

◆ وكان فشله صدمة قاسية لأمه ، التى قضت شهورا تغسل البلاط والثياب بالاجر كى تدفع له نفقات تعليمه !٠٠ كانت تريده ان يصير مهندسا ، كأبيه ٠٠ ولكن هاهى آمالها قد تحطمت وذرتها الرياح !٠٠ ولم يعد هناك مايعصم فلذة

كبدها من ان يدفن مواهبه ويقضى حياته فى وظيفة آلية تافهة ، او ـ لاسمح الله ـ يحترف الكتابة !

ولم يكن اميل نفسه اقل يأسا من أمه ٠٠ فقد كتب على اثر رسوبه فى الامتحان خطابا الى احد أصدقائه يقول فيه : « لقد دهمتنى فى الاسبوع الماضى كارثة كبيرة ٠٠ وها أنت ترانى الآن ، فى سن العشرين ، بلامهنة !٠٠ اننى كنت أحلم حتى الآن ، وأسير فوق رمال متحركة غدارة ٠٠ فمن يدرى متى اسقط ، فتبتلعنى ؟»

فقر وخيلاء !

◆ لكنه لم يسقط !٠٠ كان من حسن حظه ان قيض الله له منقذا فى شخص صديق قديم لابيه يدعى مسيو «لابو» ، وجد له عملا «ككاتب حسابات» ٠٠ وكان مرتبه لايكاد يكفى مطالب جسده ، فما البال بمطالب عقله وغذاء روحه !؟

وفى تلك الفترة كتب يقول : « ان هذا العمل يزهق روحى ٠٠٠ منذ شهر وأنا أعيش فى شبه «اسطبل» ٠٠٠ حتى لأحس ظهرى وساقى وجميع اطرافى تتقزز اشمئزازا ٠٠ ولا مفر من ان انجو بنفسى من هذا الجحيم فى أول فرصة !»

وقد نجا منه فعلا ٠٠ ركل عمله بقدميه بعد اشهر معدودة ، كى يقضى بعد ذلك عامين فى جحيم أبشع : جحيم الفاقة ، والجوع ، والحرمان ، والاسمال البالية ، واليأس القاتل ٠٠ والاحلام !

نعم ٠٠ فان بعض النفوس لاتعدم أحلاما وهى فى أتعس الظروف !٠٠ وقد كان الشاب العاطل يحلم ببعث جديد

للانسانية ‏‏٠٠ «بانجيل» ادبى جديد يقرب السماء من الارض ! آه لو أمكنه فقط ان يجد فى نفسه القوة على خلق ذلك الانجيل الجديد ؟‏٠٠ لو أمكنه فقط ان يسكت الم الجوع الذى يمزق معدته !؟

◆ وكان صديقه «سيزان» قد تبعه الى باريس ، فصارا يقطنان غرفة واحدة ‏‏٠٠ يحلمان فيها سويا ، ويجوعان سويا !‏‏٠٠ كان العالم لاه عن هذا الرب الجديد للقلم ، فى عصر لم يعد فيه أحد يعبأ بالارباب !

‏‏٠٠ وكما تجاهلت باريس زولا رب القلم تجاهلت رفيقه سيزان رب الريشة !‏‏٠٠ كان زولا يكتب اشعارا ، وسيزان يرسم لوحات ‏‏٠٠ لكن أحدا منهما لم يجد جمهورا يعيره التفاتا !‏‏٠٠ أو ان أردت الدقة فقل ان احدا منهما لم يكن قد استحق بعد أن يجد جمهورا يلتفت الى موهبته ، فان وقود بؤسهما لم يكن قد ألهب بعد شعلة الالهام فيهما ـ وان يكن زولا لم يكف يوما عن ان يقول لرفيقه الساخر : «‏‏٠٠ لكننى سوف أكتب مؤلفى العظيم يوما ‏‏٠٠ وسترى !»

‏‏٠٠ كل ذلك والفقر لايفتأ يشتد بالتعس ‏‏٠٠ والمرارة واليأس والجوع لاتنى تلاحقه فى قسوة !‏‏٠٠ حتى بلغ منه الجوع مبلغه فى شتاء ‏١٨٦١ ـ ‏١٨٦٢ ، فصار ينصب المصيدة للعصافير فوق سطح الغرفة المتواضعة التى يعيش فيها ‏‏٠٠ فاذا التقطت المصيدة عصفورا راح يشوى «الصيد الدسم» على لهب شمعة !‏‏٠٠ وكانت تصادفه اوقات عصيبة يغمى عليه فيها من شدة الجوع ‏‏٠٠!

◆ وأخيرا ‏‏٠٠ جاءه الفرج على يد صديق آخر من اصدقاء

أبيه . وكانت « الوظيفة » الجديدة فى هذه المرة وظيفة لف الكتب بالورق فى دار «هاشيت» للنشر، وتسليمها للمشترين!.. وهكذا قضى زولا شهورا يحزم المطبوعات المبيعة بالورق والخيط .. كان ذلك هو الميدان الوحيد لاستغلال مواهبه الادبية !.. لكن عزاءه ـ على الاقل ـ كان فى شعوره بأن جو المكتبة ذاته جو حبيب الى نفسه .. وهل احب اليه من أن يغرق حتى اذنيه وسط أكوام الكتب والورق والمطبوعات التى يأمل يوما أن تحل الى جوارها مؤلفاته .. هو !؟

بداية الطريق ..!

◆ وصار الفتى يقضى وقت فراغه فى تقليب الكتب وكتابة تعليقات عليها ، لارضاء هوايته الشخصية .. وذات يوم « ضبطه » رئيسه وهو منهمك فى تلك «التسلية البليدة » ، فقرأ تعليقه .. وقال له : « زولا .. قد تكون بائع كتب كسولا .. لكنك لست كسولا فى الكتابة . فلنجربك فى وظيفة أخرى تناسب موهبتك .. » ونقله الرجل الى قسم تحرير «الاعلانات» .. وكانت تلك «الترقية» بمثابة النجدة لزولا ، فقد وجد أخيرا الفرصة لان يكسب عيشه بواسطة «قلمه » .. ولو بكتابة الاعلانات !

أما وقد ألف الكتابة ، و «سن» قلمه فى النهاية ، فقد راح يرهقه ليل نهار ! كان يعود بعد انتهاء عمله الى حيث يقطن ـ وكان فى تلك الفترة يقطن مع أمه ـ فيتناولا عشاءهما .. ثم يجلس الى كتاباته الخاصة «الحرة » ، البعيدة عن مجال الاعلانات !

وبدأ بكتابة الشعر ·· ثم تحول عنه الى كتابة القصة : « فان قصائدى كانت تجارة بائرة ·· فلأكن منذ الآن راوية » ·· وصار يرسل أقاصيصه القصيرة الى صحف الاقاليم ، فينشر بعضها ، ويهمل أكثرها !·· وحين اكتمل له منها عدد لابأس به حملها ومضى بها الى احدى دور النشر - دار « هنزيل ، ولاكروا » للطبع والنشر - وكان ذلك فى ربيع ١٨٦٤ ، فرفع مسيو « لاكروا » عينيه عن الاوراق التى فوق مكتبه الى الفتى الواقف امامه ، ذى الشعر المجعد والانف الاقنى ·· واذذاك ابتدره زولا : « هل تتكرم ياسيدى بقراءة هذه الاقاصيص ، ولو واحدة منها فقط ؟·· أى واحدة ؟!·· أنا واثق انك سترى من فورك ان لدى موهبة ·· »

ولذ للناشر أن يرى بنفسه مصداق اوتكذيب ثقة ذلك المؤلف الناشىء بنفسه ، وان يكن الفتى قد نطق عبارته فى لهجة خجل جديد لاتنم عن اى اعتداد بالنفس ! - فوعده بأن يقرأ اقاصيصه ···

◆ وبعد انتظار عدة اسابيع ، بدت للمؤلف الملهوف كأنها سنوات ، قبل الناشر مجموعة قصص زولا ، وكان عنوانها « اقاصيص الى نينون » ··!

«وعندئذ» - يقول زولا فى مذكراته - « أحسست اننى قد ربحت المعركة ، وغدوت على عتبة ان اصبح شخصا مذكورا ·· فلم يبق على الا أن أمضى فى طريقى الى الامام ··· وسأمضى قدما !»

امرأة ··· وحب !

◆ أما وقد وآتته بعض الشهرة ، فقد آن أن تواتيه المرأة !

وكان زولا قد اتخذ الآن مسكنا فى شـــارع قريب من كلية الطب ، على الضفة اليسرى لنهر السين ٠٠ فصـادف فى الطريق يوما ابنة صاحب البيت ـ وتدعى «ألكسندرين ميزلى»ـ وكانت سمراء طويلة القامة ذات عينين « كعينى طفل فى احدى لوحات الفن الاسبانى القديمة !»٠٠

وكانت الفتـــاة تبكى وتحاول تجنبه ، لكنه اعترض طريقها وسألها عن أمرها !٠٠ وبعد محاولات ، وملاطفـــة ، ووعد بالكتمان ٠٠ أفضت اليه التعسة بقصتها : لقـد وهبت نفسها وجسمها لحبيبها ، وهـــو طالب طب قادم من الاقاليم ، فلما أكمل دراسته سافر الى موطنه وهجرها ٠٠!

وانتهت الفتاة من سرد قصتها ، فأقنعها زولا أن تصحبه الى مسكنه ، وتغدو خليلته ٠٠ وبعـد حين احتلت فراغ قلبـه فاتخذها زوجة له ٠٠!

◆ وكان زواجهما متكافئا من حيث العاطفة ، رغم الفـارق الشاسع بينهما جسمانيا ، فقـــد كان زولا «قبيح الخلقـــة كالكابوس ، بينما كانت (الكسندرين) رائعة الحســـن كالحلم الجميل » ٠٠ فأحب زولافيها جمال جسمها،وعبدت الكسندرين فيه جمال روحه ٠٠!

لكن روحها بدورها لم تكن أقل جمالا من جسمها ، ومن روحه هو ٠٠ كماسنرى ٠

سيل من القصص ٠٠

◆ لم يكد زولا يستقر فى بيته الجديد حتى عكف عـــلى الكتابة المتواصلة ٠ وكان قد بدأ يتجه فى ادبه وقصصـــه

نحو مذهب أستاذه «فلوبير» فى قصته (مدام بوفارى) ، ومذهب جونكور فى مسرحيته « هنرييت ماريشال » ، أى مذهب الادب الواقعى ٠٠ وأغرم بدراسة النواحى الفسيولوجية والجسمانية للحب، التى تنفذ الى أعماق أسرار الحياة.. فأراد ان يصبح العين التى ينفذ منها الناس الى تفهم الحياة ، والتى تستعرض امراض المجتمع ونقائصه تمهيدا لاصلاحه وشفائه منها ٠٠

وفى ضوء هذه النظرة مضى يكتب رواياته الطويلة ، الواحدة فى اثر الاخرى ، وطاب له ان يسمى مذهبه « المذهب الطبيعى » بدل «الواقعى» ٠٠ **وطارت شهرة زولا فى أنحاء فرنسا ، وتخاطف الناس رواياته ٠٠ لكن سمعته ساءت فى البيئات المحافظة والمحترمة نتيجة مغالاته فىالادب المكشوف ، وتصويره ابطال قصصه فى صورة الوحوش البشرية التى لاتعبأ بالشرف والمبادىء الخلقية فى سبيل ارضاء شهواتها البهيمية ٠٠٠ وأدرك زولا ما أصاب سمعته من أذى فقال : «لقد هبطت الى الهاوية فى نظر الطبقات المحترمة والشرفاء !»**

◆ ولكن بقدر ماظل الجمهور ينتقده ويهجوه ، بقدر ماظل يقبل على رواياته ٠٠ ويسكب المال اكداسا فى جيوبه !٠٠ وصار يشبه فى صالونات الماجنين والمستهترات بالاسد ، أوالدب ٠٠ وساعد على الصاق ذلك التشبيه به انه كان فى هيئته ذا وجه غزير الشعر ، وفى حركاته ذا مسلك غيرمهذب !

الحلم القديم ٠٠!

◆ لكنه لم يعبأ بكل ذلك ٠٠ وانما وضع كل همه فى شىء

واحد : تحقيق مشروعه القديم الذى طالما داعب خياله : «انجيله » الادبى الذى أعد العدة له فى ذهنه منذ سنوات طويلة . اراد أن يكتب سلسلة روايات تكون صورة كاملة وصادقة ـ غير مهذبة ـ للانسانية كما تبدو فى حياة الاجيال المتعاقبة من افراد اسرة واحدة ـ تدعى أسرة «روجون ماكار » (Rougon Macquart) ـ باذلا اقصى مافى طاقته من الدقة فى كتابة تلك السلسلة ، التى بلغت عشرة مجلدات !.. وقد جعل من نفسه فيها ـ فى آن واحد ـ تلميذا ، وناقدا ، ومعلما لاخوانه الرجال .. فكان يعمد قبل الشروع فى كتابة كل رواية منها الى دراسة مسارح حوادثها وشخصياتها ، والآمال والمخاوف التى تضطرب بها نفوس تلك «الذرات من الانسانية» التى تزمع ان تكون جسم روايته ..!

وكان يقرأ الكثير من الكتب والمؤلفات فى الموضوع الذى تدور حوله القصة ، ويزور الاماكن التى تجرى فيها حوادثها ، ويتحدث الى افراد من مختلف الطبقات والبيئات التى يعيش فيها ابطالها ، ويرقب حركاتهم ولهجاتهم وعقلياتهم .. ثم يسجل كل ذلك فى كراسات كاملة كبيرة خاصة بكل قصة من تلك القصص .. فاذا ما انتهى من مهمته عكف على دراسة كل مادونه وقراءته المرة بعد المرة ، ثم غربلته واستخلاص فكرة القصة وتفصيلاتها على أساسه ، فى بطء وروية وامعان ، على نهج علمى .. وأخيرا ، بعد مجهود شهور طويلة ، وآحيانا سنوات ، تخرج روايته الجديدة الى عالم الواقع الملموس ، وتولد بعد طول مخاض !

قصة الطبقات الفقيرة ٠٠

◆ ولنلق نظرة تحليلية عـلى واحدة من سلسـلة تلك القصص ـ وهى قصته المسماة «الحانة» (L'Assommoir) التى استخلصها من مشاهدات واختبـارات طويلة ، فكانت «اشبه باللهب الذى انبعث من وسط كومة ضخمة من الوقود المتراكم » ـ كما وصفها حين سردالمراحل المختلفة لتأليفها ٠٠

والقصة التى نحن بصددها هى صـورة لآلام الفقراء ، ويقول عنها زولا فى مذكراته : « انها صـورة لتلك الآلام ، وصورة مخيفة ٠٠ تحمل فى طياتهاعبرتها الكبرى » ٠٠ وبطلة القصة تدعى «جيرفيز ماكار» ٠٠ وهى امرأة منطبقة الشعب ، «من النتاج التعس لامنا الارض !» ، هربت من قسوة والديها وهى فى الثالثة عشرة، فلم تجد لها مأوى غير احضـان رجل يدعى « لانتييه» فطلبت حمايته !٠٠ ومنحها هو تلك الحماية ، التى كانت ثمرتها طفلين غير شرعيين هما (كلود) و (اتيين) ٠٠ **لكن «لانتييه» لايظل على عطفه ورعايته لها ، بل يبـدأ فى اهمالها ٠٠ وتطول سهراته فى الخارج تدريجيا ، حتى ينتهى به الامر الى ان يعود الى البيت قبيل الصباح مخمورا ، لايكاد يقوى على الوقوف على قدميه ٠ وتعلم المسكينة انه قضى الليلة فى احضان امرأة اخرى تدعى «أوبل» !**

وتبلغ الخديعة منتهاها ذات صباح ، حين يهرع طفـلاها اليها وهى تغسل ثياب الاسرة فى مغسل عمومى ليقولا لها ان أباهما قد فر مع «أوبل» ٠٠ وانه اخذمعه كلمنقولات «جرفيز» وممتلكاتها !٠٠ ويضاعف من الم المرأة المهجورة ان شـقيقة

غريمتها أوبل ـ وتدعى فرجينى ـ تلحق بهـــا فى المغســل كى تستمتع بمرأى وقع الخبر عليها ! ٠٠ ورغم ضعف بنيــة جرفيز بالقياس الى فرجينى فان الحقد والغيظ يمدانها بقـوة هائلة فتنهال على فرجينى ركلا وضربا وعضا ، حتى تصرخ هذه مستغيثة ٠٠ لكنها لاتكاد تنجو من «مخالب» فيرجيز حتى تصر على أسنانها كمدا وتلوح بيدها مهددة وهى تبتعد : « سـوف ترين اننى لن انسى هذا الذى فعلته بى قط !»

السماء لاتنسى المنبوذات !

◆ اما المرأة المهجورة فتشتغل بغسل الثياب بالاجـرة كى تكسب قوتها وقوت طفليها ٠٠٠ وفى غضون ذلك تتعـــرف بحداد شاب يدعى «كوبو» كان يعرف قصة رجلهـــا الغـادر وبؤسها بسببه ٠٠ ويسألها كوبو ان تغـــدو خليلته ، لكنها ترفض المرة بعد المرة ٠٠ وأخيرا يتقدم اليها طالبـــا الزواج ، فتقبله زوجا ٠٠!

ويخلد الاثنان لحياة مشتركة سعيدة ، يستعينان فيهـا ببراعته فى عمله وبراعتها فى غسل الثياب كى يؤسسا بيتـا لائقا للطفلين ، ثم للطفلة الثالثة التى انجباها بعد أربع سنوات من الزواج ، وسمياها « نانا » ٠٠ وتعود جرفيز لعملها بعـد أن تنهض من ولادة نانا ، وليس فى خيالها غير أمل واحـــد ، أن تنشىء مغسلا لحسابها الخاص تديره وتربح منه المال الوفير ٠

لكن املها ذاك يصاب بصدمة قاسية حين يهوى زوجهـا من فوق سطح بيت كان يصلحه ٠٠ وترفض هى ارســاله الى المستشفى ، مؤثرة ان تعنى بتمريضه بنفسها فى البيت ٠٠

الامر الذى يستغرق زمنا طويلا ويستنفد مالهما المدخر ·· ثم يزيد الطينة بلة ان كوبو ينهض من مرضه الطويل وقدصار رجلا آخر ·· ان الاصابة لم تحطم جسمه فقط ، بل حطمت نفسه ايضا ، ففقد طموحه وآماله واحلامه ·· ولم يعد له غير هم واحد : معاقرة الخمر !

◆ لكن القدر لايثبت على حال ·· فهو لايكاد يسد منافذ الرزق فى وجه الاسرة حتى يعود فيفتح فيها من جديد كوة ·· فان شخصا كان يحب الزوجة جرفيز فى قرارة نفسه ، وهو عامل يدعى «جوجيه» ، يعرض عليها قرضا بمبلغ خمسمائة فرنك كى تؤسس به المغسل الذى طالما حلمت بانشائه ··!

وهنا يتدخل القدر مرة اخرى فيرسل الفتاة فيرجينى - شقيقة أوبل - كى تقطن بجوار اسرة كوبو ·· ولم تكن الفتاة قد نسيت الاعتداء القاسى الذى وقع من جرفيز عليها يوم أنبأتها - فى شماتة - بفرار زوجها مع اختها !·· فجاءتها الآن تتقرب منها تحت رداء الصداقة ، قائلة ان الهارب «لانتييه» قد عاد الى الحى بعد ان هجر «أوبل» التى فر معها ·· وانه مايزال يحبها هى ، جيرفيز !

لكن «لانتييه» لايسعى اليها وانما يسعى بدلا من ذلك الى زوجها «كوبو» فيتصادقان ·· ويصيران رفيقين دائمين فى حانة الخمر المجاورة ·· وينتهى الامر بالاول «لانتييه » الى أن يدعو نفسه الى الاقامة مع الزوجين فى معيشة واحدة !

◆ وتحت تأثير انهيار الرجلين ، وادمانهما الخمر، وتجردهما من أى طموح أورغبة فى العمل ، يسرى سم الانحلال والانهيار العصبى الى جيرفيز ·· فلاتقوى طويلا على العمل المرهق فى

سبيل اعالة زوجها وطفليها و «ضيفهما» !٠٠ وهكذا يثقل عليها حملها اخيرا فتخور وتتشاجر مع زوجها ٠٠ ثم تهمل عملها ٠٠ وتنشد السلوان بين ذراعى عشيقها الاول «لانتييه» !

وذات يوم ، تقع الضربة القاضية ٠٠ تفقد التعسة كلا من لانتييه والمغسل الذى تملكه ٠٠ تستحوذ عليهما كليهما غريمتها فرجينى ، بالتآمر مع لانتييه ، الذى يفر معها هذه المرة ، بعد أن فر من قبل مع اختها «أوبل» !

وهكذا تثقل على الزوجة وطأة آلامها ، فتلحق بزوجها « كوبو» فى الحانة المجاورة ٠٠ وتدمن الخمر مثله ٠٠ ويتدهور الحال بالزوج حتى يموت مخمورا ذات يوم !٠٠ اما ابنته « نانا » ـ التى صارت فتاة مكتملة الانوثة ـ فتخرج الى الطرقات ، تراود المارة عن نفسها !٠٠ وتحاول امها «جرفيز» ان تحذو حذوها ، لكن احدا لايعبأ بجمالها الذابل ، فتتعاون الخمر والجوع واليأس عليها ٠٠ وتقودها الى الهاوية حثيثا !٠٠ ويبذل محبها النبيل « جوجيه» محاولة اخيرة كى ينتشلها ٠٠ ولكن الاوان يكون قد فات ٠٠ فتبتلعها دوامة الفقر والبؤس ٠٠ التى تسقى الفقراء كأس الاحزان ، حتى الثمالة !

يخون زوجته ٠٠ لانها عاقر !

◆ ولنعد الى زولا ٠٠ لنجد ان رواياته عن الفقر والفقراء قد اتخمته ـ لسخرية القدر ـ بالمال والثراء !٠٠ واتخمت جسمه بالشحم والبدانة ٠٠ واتخمت عقله بالاوهام والمخاوف ٠٠ فاذا هو يستسلم لها ، فيتوهم فى جسمه جميع الامراض التى تحت الشمس ! ـ فى حين انه كان مكتمل الصحة ، وفى



قوة الثور! .. على ان الذى اشقاه حقيقة لم يكن ضعف صحته ، بل عقم زوجتـه وحرمانه من النسل .. الامر الذى اشعره كأنه ناقص الرجولة ، واسخطه على القـدر الذى اعطاه زوجة عاجزة عن ان تؤدى وظيفتها التى اعدتها الطبيعة لها ..!

وهنا امتحنته الحيـاة بتجـربة لم يصـمد لهـا ، بل ضـعف امام اغرائها .. فأقدم على اكبر حماقة يقـدم عليهـا زوج !.. كانت فى بيتـه وامام عينيه امرأة اخـرى ناضرة الشـباب فارعة الطول، مكتملة القوة والصحة ، داكنة العينين، بارعة الحسن.. وبالاختصار يجتمع فيها كل مايؤهلها لان تنجب له اطفـالا أصحاء .. تلك هى «جين روزيرو» خادمته الخاصـة !.. وماذا فى هذا ؟ ولم لا ؟.. هكذا قال لنفسه ، أوقالت له نفسه !

◆ وكانت الخادم لاتتجاوز العشرين ، بينما هو قـد بلغ الخمسين ، وصاربدينا كالعجل ، اشيب الشعر كأنه ابوها !.. فماذا يفعل كى يروق فى عينيها ؟ ادرك ان فى وسعه باتبـاع نظام صارم فى الطعام ان يختزل من وزنه ثلاثين رطـلا ، ومن عمره ثلاثين عاما .. فلا يبقى من «عيوبه» غير شـعره الاغبر . لكن المشيب فى ذاته ليس عيبا ، فهو انمـا يزيده وقارا ورجولة فى عينيها ..!

وهكذا اقدم مدفوعا بذلك الحافز على انقاص كمية طعامه وتحريم الاطعمة الدسمة والماء الكثير ٠٠ وظل يتبع ذلك «الريجيم» القاسى شهورا ، حتى عاد «البروفيسور » البدين شابا فى رشاقة «فاوست» ٠٠ فاتخذ للخادم مسكنا خاصا ٠٠ وكم كانت سعادته حين انجبت له المحظوظة طفلا ، ثم آخر ٠٠!

◆ ولكن بقدر نصيبه من السعادة والفرح كان نصيب زوجته المسكينة «الكسندرين» من التعاسة والانكسار ٠٠ فغضبت ، وتوعدت، وهددت بهجره !٠٠ لكنهاعادت فاستكانت ورضيت بمكانتها الجديدة : مكانة المرأة الاولى فى بيته ، ولكن الثانية فى قلبه ٠٠!

بل انها ذهبت الى أبعد من ذلك ـ ملتزمة المثل الفرنسى القائل « ان النبل يقتضى ٠٠ » (Noblesse Oblige !) **فاتصلت بغريمتها ، أم اطفال زوجها ، ومكنتها من اثبات صحة نسب الطفلين الى ابيهما !٠٠ ثم صارت ترعى شئونهما اصدق الرعاية وانبلها ، وظلت على عهدها ذاك بقية عمرها ٠٠!**

وكان مسلك الزوجة الكسيرة وكرم خلقها ، أكثر مما توقع زولا ٠٠ فلما وضع كتابه التالى « الدكتور باسكال » أهداه الى زوجته بعبارة شكر وتقدير قال فيها : « الى زوجتى العزيزة اهدى هذا الكتاب الذى هو خلاصة وزبدة جميع دراساتى ، وخاتمتها » ٠٠ لكنه فى نسخة خاصة من الكتاب خط لعشيقته اهداء خاصا قال فيه : « الى حبيبتى جين ، التى وهبتنى تاج شبابها الغالى ، واهدتنى طفلى العزيزين « جاك » و « أونيس» اللذين من اجلهما وضعت هذا الكتاب ، كى يعلما مقدار الحب الذى اكنه لامهما !»

وحتى نهاية حياته ظل زولا محتفظا بعلاقته المزدوجة : تقديره وحبه لألكسندرين «زوجتى العزيزة » ، وجين «حبيبتى الغالية » ..!

قضية دريفوس ..

◆ عندما اتم زولا الحلقة العاشرة من سلسلة قصصه ذات النزعة الانسانية ، وهى الحلقة التى اسماها «كفاح فى سبيل الحق » ، لم يبق امامه سوى ان يخلد للراحة وينعم بما نال من شهرة وكسب من مال ..

لكن القدر كان يعده لمهمة اكبر واسمى من كل ما أدى من مهمات .. ففى تلك الفترة بالذات بدأ جهاده الاكبر وكفاحه الشاق ، حين برزت الى الوجود قضية الكابتن «ألفريد دريفوس » !

ولعل من الغريب ان زولا لم يول المحاكمة فى بدايتها عناية خاصة .. ولكن لم تكد المحاكمة تتطور حتى بدأ يحس بأن فى جوها شيئا غير عادى !.. واعانته قوة ملاحظته التى شحذها اعداد رواياته ، على ان يلمح وراء التهم التى كانت تكال لدريفوس اثناء المحاكمة .. خيوط خطة تدبر لالصاق التهمة برجل برىء ..!

◆ ومن ثم بدأ يدرس القضية بدقة وامعان .. فأيدت الدراسة ظنونه ، واحالت شكه يقينا بأن ظلما فادحا يرتكب فى وطنه بصفة «رسمية» دون ماتورع !.. فرأى من واجبه كمواطن متحمس ومخلص لوطنه ان يكشف الستارعن المؤامرة ويرفع الظلم عن المظلوم . لم يكن الذى يحاكم فى رأيه هو

الضابط دريفوس ، بل كانت فرنسا بأسرها تحاكم وتدان بواسطة الضمير العالمى الحر فى كافة الاقطار ..!

وهكذا القى زولا بنفسه قلبا وقالبا فى المعمعة ، وآلى على نفسه ان يبرىء ويطهر دريفوس ، كى يبرىء ويطهر سمعة فرنسا ، وطنه الحبيب !

وكان دريفوس يصيح من سجنه فى « جزيرة الشيطان» الرهيبة صيحاته اليائسة « انى برىء .. انى برىء » .. حاسبا ان احدا لم يسمع صيحاته المتكررة ، غير الريح والموج ..!

لكن زولا سمع الصيحة الباكية واجبر العالم بأسره على ان يسمعها معه .. فقد كتب ونشر نشرة بعنوان : « انى اتهم» حلل فيها القضية على ضوء معلوماته الصادقة ورأيه المنزه من شوائب الغرض .. ولم يكتف فى نشرته تلك باثبات برآءة دريفوس ، بل مد اصبع الاتهام ـ فى جرأة ـ نحو عدد من أكبر الشخصيات .. صائحا بملء قلبه وجنانه : «اليوم فقط بدأت المحاكمة .. فاليوم فقط تميز الحق عن الباطل وانقسم أبطال القضية الى قسمين منفصلين : قسم المفترين الذين يريدون اطفاء كل ضوء قبل ان يسلط على القضية ، وقسم أنصار العدالة الذين يكرسون حياتهم فى سبيل نصرتها .. وأنا من القسم الاخير ، قسم الذين يريدون النور ، ونصرة النور .. ان احتجاجى الصارخ اليوم ليس الا صيحة صادرة من اعماقى . فليجسر المفترون على جر قدمى الى ساحة المحكمة ، وعندئذ سوف يرون كيف تنفجر قنبلة الحق والعدالة !»

المعــــركة ٠٠!

◆ وقد انفجرت القنبلة فعلا ٠٠ لكنها لم تكن قنبـلة الحق والعدالة بل قنبلة البغض والكراهية التى كان هدفهـــا زولا نفسه ٠ فسارت المظاهرات فى الشوارع تهتف فى غضب ثائر « يســقط زولا ٠٠ يسقط الخائن ٠٠ صنيعة الاعداء !» وهاجم المتظاهرون بيته وراحوا يقذفونه بالاحجار ، واحرقوا كتبــه ومؤلفاته فى الشوارع ، وصادرتها الحكومة من جانبهــا ٠٠ وصدرت احدى الصحف الباريسية «القول الحر» تطالب باعدام زولا ومصادرة أملاكه ٠٠!

٠٠ وبلغ الســـيل الزبى ، فقبض عــلى زولا وقدم للمحاكمة !٠٠ لكن المحاكمة سارت فى تيار مضاد ، فى غــير صالح زولا ٠ كان محاميه كلما اراداستجواب شاهد من الشهود فوجه اليه سؤالا ،منعت المحكمة توجيهه !



وفى نهاية المحاكمة وقف زولا فألقى دفاعا حارا ، لا عن نفسه ، وانما عن دريفوس ! : **« انه برىء ، أقسم لكم عــلى ذلك ، وأضــع حيــــاتى وشرفى رهنـــا ببراءته ٠٠ فى هذه الســاعة الحاســمة ، امام هــــذه المحكمة التى تمثل العــدالة الانسانيــة ،**

وامام فرنسا كلها ، بل امام العالم بأسره ، اقسم ان دريفوس بریء !٠٠ بل باسم الاربعين عاما التي قضيتها في العمل ، وباسم الشهرة التي اسبغتها مؤلفاتي على ، أقسم ان دريفوس بریء !٠٠ وباسم كل ماربحته طول حياتي من مال أوصيت ، وباسم السمعة التي اسستها لاسمى حجرا على حجر خلال سنوات من الجهاد الطويل والعمل المتواصل ، وباسم مؤلفاتي التي ساعدت على نشر الادب الفرنسي في الخارج ، أقسم ان دريفوس بریء !٠٠ فليتحطم كل ذلك ويتداعى ، ولتفنى جميع مؤلفاتي ، ان لم يكن دريفوس بريئا !٠٠ وانه لبرىء !»

◆ وفي خاتمة دفاعه الحار ، عرض زولا للتهمة الموجهة اليه هو ، فقال : « أما عن مصيري ، فأنا مطمئن الضمير هادیء النفس من ناحيته ٠ اعلم ان الحكم قد يصدر ضدى ، ولكنى سأنتصر ٠٠ وستشكرنى فرنسا يوما على كونى قد جاهدت في سبيل انقاذ شرفها !»

وأصدرت المحكمة حكمها ٠٠ بادانة زولا ، بتهمة «التمرد على السلطات التي اتهمت دريفوس وادانته » ٠ وحكم عليه بغرامة قدرها ثلاثون الف فرنك ! .. وكان كفاحه في سبيل العدالة قد كلفه عمله وصحته وسمعته ، وثروته التي جمعها طوال حياته ٠٠ بل كلفه أصدقاءه !٠٠ فعاد من حيث كان منذ اربعين سنة : شخصا محتقرا يحاربه الجميع ٠٠ ويواجههم هو بمفرده !

لكنه لم يتزعزع أويتزحزح عن موقفه ٠٠ حتى نجح اخيرا في اثارة ضمير فرنسا وايقاظ الرأى العام العالمى ، فأعيدت محاكمة دريفوس ، ووجد بريئا ، فأطلق سراحه !

◆ وهكذا انتصر زولا كما آمن وتوقع ٠٠ وعاش حتى اليوم الذى رأى فيه فرنسا ، وطنه ، تشكره على مجهوده الشاق فى سبيل انقاذ شرفها !

ايامه الاخيرة ٠٠

◆ ولكن لم تكن رسالته وحدها التى انتهت ، بل كانت أيامه على الارض قد أوشكت بدورها على الانتهاء ٠٠ وآن للقدر ان يسدل الستار على رواية حياته الحافلة ، ولكن بعد نهاية مفجعة ٠٠!

ففى صباح ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٢ دخل صديقه القديم «سيزان» مرسمه فى «اكس» ٠٠ وفيما هو يعد عدته للوحة التى يعمل فيها ، دخل عليه خادمه « بولان» يصيح جزعا مبهور الانفاس : « مسيو سيزان ، مسيو سيزان ٠٠ ان زولا قد مات !»

فسأله سيده وقلبه يكاد يكف عن الخفقان : «كيف ؟٠٠ ماذا حدث له ؟»

– « انه حادث فظيع ياسيدى ٠٠ لقد آوى الى فراشه الليلة تاركا النار تشتعل فى المدفأة ٠٠ فمات مختنقا بالغاز!»

٠٠ كان زولا قد سهر طويلا مكبا على عمله فى تلك الليلة المشئومة ، فقد وجدوا فى الصباح آخر صفحة كان يكتبها ناقصة لم تتم !٠٠ وكانت اخر عبارة خطها هى رمز وتلخيص دقيق لفلسفة حياته : « ينبغى ان تكون رسالة كل انسان هى السمو بالانسانية الى اسعد مستوى ٠٠ ولكن عن طريق الحق ٠٠ ولاشىء غير الحق ! »

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

منذ خلق آدم وحواء.. وكلاهما يحس نحو الآخر بجاذبية لا سبيل الى مقاومتها أو تجاهلها.. جاذبية ينسب اليها العالم النفسانى الاشهر (فرويد) انها الباعث الخفى للانسان على أكثر تصرفاته ونزعاته، حتى ما قد يبدو منها لاول وهلة منقطع الصلة بالجنس ..

وحــواء اليوم ــ ولا سيما فى مصر وبلاد الشرق العربى ــ تجتاز طــور الانتقال الخطير من ملازمة عقر دارها والتفرغ لواجبــات بيتها وزوجهــا وأولادها ، الى العمــل خارج البيت ، كالرجل سواء بسواء !.. وفى هــذه المرحلة الحرجة من تاريخ العلاقات بين الجنسين ، ما أحوج حواء الى أن تتدبر موقفها فى روية ، لترى ان كان هــذا التطور يغير شيئا من طبيعتهــا كأنثى تنشد الرجل والزواج .. أم لا يغير ! لذلك أقدم اليها، والى آدم ــ زوجها ، أو أبيها ، أو أخيها ــ هذا الكتاب الذى يجيب على الكثير من مشكلاتها المعاصرة..

وفى الاعداد القادمة أقدم لك باذن الله : كيف نجحوا فى الحيــاة (لديل كارنيجى) ، الزواج والاخلاق (لبرتراند رسل) ، رقصة الحياة (لهافلوك اليس)، التحليل النفسى (لسيجموند فرويد).. ثم سلسلة كتب : كيف تقهر الخوف .. والخجل .. والقلق .. والارق .. الخ وكيف تنمى شخصيتك، وتقوى ذاكرتك، وعزيمتك ، وتحفظ أعصابك .. الخ


THE PERFECT WOMAN
by
Dr G. COURTENAY BEALE
حواء الجديدة
(مرشد الفتاة العصرية المستنيرة إلى مستقبلها !)
للعالم النفسانى الدكتور ج . كورتنى بيل

هـــذا الكتاب

« المرأة نصف هذا العالم » !

ذلك ما يقوله العقل . ويزيد عليه علم الاحصاء انها أكثر من نصفه ، فالنساء اليوم أكثر من الرجال عددا . بل نحسب انهن كن اكثر من الرجال عددا فى سابق العصور وفى معظم البلدان ، بدليل كثرة المناطق التى كان تعدد الزوجات فيها شائعا ، مع ندرة المناطق والقبائل التى كان مسموحا فيها للمرأة بتعدد الازواج !

وتلك حكمة من الطبيعة ، تدل على تقدير سليم لضرورات الحياة العضوية ، ومقتضيات تجدد النوع وبقاء الجنس البشرى . فالرجل الواحد قد يغنى فى تجديد النوع واستمراره غناء عدة رجال ، أما المرأة الواحدة فلا تغنى عنها امرأة غيرها ، لما يستلزمه الحمل والمخاض من طويل المدة وكمال الاستعداد ...

ولئن تطور التاريخ بتعاقب الاجيال ، وتغيرت الظروف الاجتماعية والمادية فى عصرنا هذا عن سابق العصور تغيرا هائلا ، فليس بعجيب اذن انتتغير حالة المرأة فى هذا العصر عن سابق احوالها ، فاذا صيحاتها بطلب الحقوق والمساواة ترتفع من آفاق الارض ، وتتجاوب بها اطباق السماء ... !

وان الجيل الجديد ليفتح العين على «حواء جديدة» ، لم يكن لها فى الواقع وجود او شبيه قبل هذا الجيل ، فشتان بين حواء اليوم، وجدتها القريبة قبل جيلين ، بل ربما قبل جيل واحد فى بعض البلــدان ..

ولهذا اقتضت السنة الجديدة ــ سنة التحرر والتطور ــ ان يكون للمرأة أسلوب فى الحياة ، وقواعد للسلوك ، ومناهج للعمل ، تغاير ما كان لجدتها او جداتها فى سالف العصور والازمان ..

ومن أجل هذا الهدف ، ولكى تفهم حواء الجديدة نفسها ، ويفهمها « آدم » الجديد ، رجلها ونصفها المكمل فى الحياة ، كتب العالم النفسانى والاجتماعى «كورتنى بيل » هذا الكتاب ... ومن اجل هذه الغاية رأينا ان نقدمه الى قراء كتابى ، ليكون مرآة لحواء العصرية ، كما هى ، وكما ينبغى ان تكون ، اذا ارادت ان تبلغ ما تطمح اليه من السعادة فى حياتها الخاصة ، والتوفيق فى حياتها المشتركة مع رجلها ..

فالكتاب الذى تقرؤه فى الصفحات التالية هو كتاب كل فتاة ، وكل امرأة ، تتطلع الى أمام .. وتحلم بالسعادة فى هذا العالم الضنين بالسعادة ...

وهو كتاب كل شاب ، وكل رجل يشوقه ان يفهم «النصف الحلو الرقيق » ، وان يحسن التجاوب معه والتعاون الوثيق ، لتحقيق الهناء الشخصى والاجتماعى .

أنت يافتاة !..

◆ اسمعى يانادية ، وياسعاد ، ويامرجريت، ويياراشيل.. اسمعن جميعا يابنات حواء الصغيرات ، من كل ذات صدر تدغدغه الآمال ، وتضيق به احلام المنى ، والتوجس من اعاصير الحياة وعواصفها ..

أنا اعرفكن جميعا ، فقد عشت حياتى متفرغا لشئونكن النسوية والنفسية والصحية ، وانفقت عمرى فى فهمكن وفهم مشاكلكن ، فخبرت ظروفكن منذ كنتن فى أرحام امهاتكن ، حتى برزتن الى الحياة طفلات ، ودرجتن فيها وشببتن عن الطوق .. ثم نهد صدركن وصار يضطرب بمايعتلج فيه من أمان ، واحلام ، ورغبات حيية يمنعها الخجل ان تسفر عن وجهها فى وضح النهار ..

اطمئنى يا أختاه ، فأنا اعرف هذه الامانى والرغبات دون أن يحوجك الامر الى التصريح بها ، وقد تضرج وجهك بحمرة الخفر .. وثقى اننى كتبت هذا الكتاب لك شخصيا ، كى ترى فيه نفسك ، فافتحى له قلبك مطمئنة ، فانى افهم اسرار هذا القلب ، وسألمس فى رفق كل خلية فيه وكل عرق نابض ثائر ، حتى احمل اليه هدوء السلام والراحة ، واهديه الى طريق السعادة وواحة الظفر والسرور ، التىيسميها الناس « جنة الزواج » !

◆ كلا يا اختاه ! لاتراوغى ، ودعى الانكار ، فالزواج هو قطب آمالك ، ومحور افكارك واعمالك ... فلا تدعى مظاهر الحياة تخدعك عن هذه الحقيقة الراسية رسو الجبال ... فتلك



المرأة فى نظر الرجل ٠٠ قديما !

غاية الطبيعة التى ركبتها فى فطرتك ، وسخرتك لها ، ولن تجدى عنها مناصا ولامنصرفا ٠٠

ماذا ؟ ماهذه الانتفاضة التى احسها تسرى فى جسدك الغض المشرق بمطالب الحياة الصحيحة الفتية ؟ وما هذه السحابة التى تكاد تشبه التوجس والخوف والانقباض ؟

آه لقد فهمت ٠٠

أنت معذورة !

◆ انت خائفة ياحواء الجديدة من هذا العالم المجهول الذى تشتهينه ، وتخشينه بقدر ماتشتهينه : « عالم الزواج » و« عالم الرجل » ٠٠٠

ولك فى هذا كل العذر يا اختاه ٠ فأنت فى السادسة عشرة ، اوالثامنة عشرة ، اوالعشرين ٠٠ ومهما قيل فى حداثة سنك ، وغرارة صباك ، فانك لم تنفقى هذا العمر فى الدنيا عبثا ٠٠٠ وقد شهدت بعينى رأسك ـ آه يافتاة ! ما اجمل هاتين العينين وما اشد التماع الذكاء المتوقد فى حدقتيهما الساحرتين ـ اجل ، شهدت يا اختاه بعينيك هاتين زيجات كثيرات قيل لك ان السعادة والتوفيق كانا مضمونين لها ،


المراة فى نظر الرجل .. اليوم !

من حب ورخاء ، فاذا بهذه الزيجات تنتهى الى فشل وطلاق ، واذا الزوجة والزوج يملآن الدنيا بالحديث عن الوان الشقاء التى لقياها فى هذا الزواج الذى طالما تراهن الناس على سعادته القصوى !

ومن حقك طبعا يافتاة ان تضنى بحياتك على التحطيم ، وان تحارى فى معرفة ماينبغى للزواج كى يظل فى مستوى عال من السعادة القصوى، الدائمة، التى ترين ان لك الحق كل الحق فى الاستمتاع بها حين تهبين قلبك الغض وجسمك النضر للرجل الموعود ...

وانت تتساءلين ولاشك :

– هل السعادة الزوجية امر بيد المرأة وحدها ، أم ان المسئول عنه الى مدى كبير هو الرجل ، فليس الامر اذن فى يدها ؟

والرأى الثانى هو الصحيح طبعا ، ولكن الامر بيد حواء الى حد كبير جدا ، ولاسيما فى هذا العصر التى نالت فيه الفتاة كثيرا من الامتيازات والحريات التى لم تكن تحلم بها جداتها من قبل .

المرأة لم تخلق للعزوبة ..!

◆ وتهز حواء الجديدة رأسها الجميل فى تشكك شديد ، فهى غير واثقة مما اقول ... ولاسيما بسبب هذه الحقوق

والامتيازات التى نالتها حواء الجديدة فى المجتمع المتمدين ·

فحواء الآن تذهب الى الجامعة ، والى مدرسة التجارة المتوسطة ، وتعمل فى المكاتب، والشركات ، واعمال السكرتارية، وعلى الآلة الكاتبة ، وتعمل فى المستشفى طبيبة وصيدلية ، وفى المحكمة محامية ، وفى الاذاعة والصحافة ·· الخ ·· بل انها فى كثير من البلدان ذات مكان ملحوظ فى السلك السياسى وفى البرلمان !·· واذن فأسباب الحياة المادية ، واسباب الجاه والمركز الاجتماعى والنفوذ ، بل الشهرة والمجد فى كثير من الاحيان ، كلها متوفرة لها اومفتوحة امامها ··· فما الذى يحملها على ترك هذا الاستقلال وهذه الحرية ، لكى تضع زمام حياتها فى يد غير يدها ، او يد اخرى الى جانب يدها ، بحيث لاتأمن «النكد» والمشاكسة ، والمنغصات ؟·· اليست العزوبة اولى ؟

ومعنى هذا انها تفكر فى ان تكون كالرجل الاعزب ، مادامت كالرجل فى الاستقلال المادى والحرية الشخصية ··!

وهذا طبعا معقول جدا لولا ···

لولا ماذا ؟

لولا انه غير ممكن ! وهو غير ممكن لانه غير طبيعى · فالطبيعة لم تكور هذا الصدر الناهد البديع عبثا ، ولم تتفنن فى تشكيل هذا القد الممشوق عبثا ، ولم تجهد نفسها فى استحداث هذا الجهاز العصبى على وجه مخصوص مقصودليؤدى وظائف حيوية معينة فى كل شهر ، ليضيع كل ذلك المجهود هباء منثورا ··· ولم يكن هناك لزوم للسخاء فى تكوين ماتحت الخصر وتوسيع عظام الحوض ، لولا ان الغاية من ذلك حمل

الاجنة وتجديد النوع ٠٠!

◆ فهذه غاية الطبيعة من خلقك على هذه الصورة الرائعة التى تخلب الالباب ، وتدير الرؤوس : رؤوس الرجال ، ورأسك انت ايضا يافتاة ! فحواء اول مفتونة بجمالها ، واول فريسة لطبيعتها ٠٠ فصوت الطبيعة المركبة فيها اقوى من كل تأثير ، وكل اغراء ، ولوكان اغراء المجد ، والشهرة ، والثراء ، والنفوذ الخطير ٠٠!

فالوظيفة ، والاستقلال المادى ، وما اليهما ، ليست شيئا ابدا فى نظر حواء الى جانب حلقة من الذهب صغيرة ، هى رباط الزوجية الساحر !

فحواء الجديدة اذن هى هى حواء الخالدة الابدية الازلية ، حواء كل عصر منذ والدنا آدم ووالدتنا حواء !

ومشكلة حواء الجديدة هى هذه :

«كيف توفق بين مطالب وظروف حواء الجديدة ، ومطالب ومقتضيات طبيعة الانثى التى ورثتها عن حواء القديمة الازلية ؟ »

« وكيف تجتاز عقبة الشقاء الزوجى الذى شاع فى هذا العصر على الخصوص ، مع شيوع الحرية واتساع الآمال؟»

لعنة الكمال !

◆ والجواب يا اختاه على هذا السؤال ، عند « لعنة الكمال» تقولين : «وما لعنة الكمال ؟»٠٠

اعلمى اذن ان كل انسان — والمرأة انسان ! — يطمع فى الكمال ، ويتعلق به ٠ وان حب الذات يجعلنا لانرضى بأقل

من الكمال مطلبا ومنالا ٠٠ ويجعلك تتطلبين فى الرجل الذى تتزوجين ان يكون كاملا ، كامل الصفات والمواصفات !٠٠ لكن الكمال يا اختاه عزيز المنال ، مستحيل التحقيق ٠

تقولين لماذا هو مستحيل التحقيق ؟

لسبب بسيط : هو ان المرء كلما حصل على الكمال كما كان يتصوره ، تقمص الكمال فى صورة جديدة غير التى نالها، ليسعى وراءها ٠

وتلك ولاشك نعمة جزيلة ، لانها تجعل الحياة دائما «ذات موضوع » وذات هدف متجدد يسعى المرء اليه ماعاش ٠

لذلك يا اختاه ترى المرأة نفسها ، مادامت محرومة من الكمال المطلق ـ ذلك الكمال الذى لله وحده ـ وكأنها قد فشلت فيما تنشد من سعادة قصوى فى واحة الزواج ٠٠!

وهذا بعينه هو الخطأ المبين ٠٠٠ فالمرأة ينبغى آن تقيس الامور بعين الواقع لا بعينحب الذات والاحلام الخيالية المثالية ، وان تذكر ان مامن شخص كامل فى الدنيا ، فلماذا تطلب الكمال فىالرجل ، مع انها هى ليست كاملة ؟ انما الامر كله محاولة للتوافق جهد الامكان ، ومالايدرك كله ، لايترك كله ٠٠

التوفيق فى الزواج أمر نسبى !

◆ والان لنعد الى الوراء قليلا ، عشر سنوات او نحو ذلك ٠٠ عندما كنت ايتها القارئة الشابة الناضرة الحسن فتاة صغيرة ، اوطفلة غريرة ، تلعبين بالدمى٠٠وأمك ترمقك بعين الحب والاعزاز ، وفى نظراتها دعوات وتمنيات ترفعها السريرة الى عرش الله ، وان لم تنطق بها الشفاه ٠٠٠

ولو اننا تسمعنا الى هـذه الدعوات ، لرأيناها تجتاز السنوات ، وتتصورك وقد عقد على رأسك الصغير الفاتن تاج من ازهار البرتقال ، وحملت ذيل ثوبك الابيض الجرار وصائف الشرف ، فى ليلة الزفاف ٠٠٠

اجل ٠٠ ان والدتك تراك – على ضوء فطرتها الانثوية – فى احسن ماتتمناه لك ، واحسن ماتتمناه لك هو : الزواج السعيد !

◆ وان الام لتتمنى لابنتها هذا المصير الحلو ، حتى ولو كانت هذه الام قد شقيت فى زواجها ولم تحقق فيه شيئا من امانى الهناء ٠٠ لا لانها لو خيرت بين مالقيت فى زواجها ، وبين العزوبة ، لفضلت الزواج قطعا – تمشيا مع الزعم الشائع بأن الزواج ، اياكان ، خير من لا زواج على الاطلاق ! ٠٠ كلا ٠ فذلك طبعا سخف ظاهر وزعم باطل لايقول به احد ٠٠ ولكنها تتمنى لك الزواج ، وان كانت هى قد شقيت بزواجها ، لانها تعلم بالخبرة ان التوفيق فى الزواج أمر نسبى ، وانه فى الاغلب توفيق «متوسط» ٠٠ والتوفيق الوسط خير على العموم ، من جهة الراحة المادية والعاطفية ، من البقاء عانسا ٠٠ مهما كانت أحوال العانس المادية والادبية حسنة !

وليس ذلك من أجل حاجة المرأة الى اعالة الرجل لها وكفالته بها ماديا ٠٠ كلا ٠ بل لان الزواج يفتح لها باب ميدانها الذى أعدتها له الطبيعة حين خلقتها ٠٠

واجب الام نحو ابنتها ٠٠

◆ ثم تتنهد الام الحالمة الداعية بعد هذه الرؤيا وهذه الدعوات لك ، تقول : «مايزال أمامى من الوقت متسع ، ولاحاجة بى

الى التفكير فى اعداد ابنتى لهذا المصير منذ الآن ٠٠ فلا تزال الحياة امامها طويلة الشوط قبل ان تبلغ هذا الاوان !»

ولكنها فى هذا مخطئة تمام الخطأ ٠ فالطريق طويل نعم، ولكن يجب ان يستغل هذا الطريق فى اعدادك منذ نعومة اظفارك لهذه الغاية البعيدة ٠٠ فلايترك امر اعدادك لرسالتك العظمى العوبة فى يد الصدفة وحدها ، حتىاذا بلغت الحلم ، وبرز صدرك الناهد ، لم تجدى من مؤهلات الزواج السعيدبين يديك الا جمالك ، وسحر عينيك ، ومماينصبه صوتك وشكلك من شباك لاصطياد الزوج الموعود ٠٠!

◆ كلا يا اختاه ! وانما يجب لكى تكون المرأة امرأة كاملة الاهلية للزواج السعيد ، والامومة السعيدة ، ولاسيما فىهذا العصر الذى كثرت فيه عزوبة الرجال ، وكسدت فيه سوق الزواج ، وشاعت ازماته المفضية الى الطلاق ٠٠ نقول يجب ان يبدأ اعداد المرأة لهذا الدور الشاق والمعترك الحامى الوطيس من باكورة عمرها ، وان يكون اعدادامتنوع الوجوه ، منظما ٠٠!

الاعداد الصحى ٠٠

◆ واول هذه الوجوه فى الترتيب الزمنى ، وفى الاهمية ايضا ، هو اعداد الفتاة جسديا وصحيا لوظائفها الحيوية ، بحيث تكون سليمة الاعضاء ، قوية البنية ٠٠٠ **فالمزاج المعتدل وليد الصحة الجيدة ، ومامن صحة ضعيفة اوفقر دم او ضعف فى المعدة والامعاء ادى الى مزاج معتدل ٠٠ ومن ثم فهذه الامراض بشير – بل نذير – بالمشاجرات والمتاعب الدائمة فى الزواج ٠ فماظنك برجل يعود من عمله وهو يتطلع الى انيقضى**

مع زوجته وقتا طيبا ينسيه متاعبه ٠٠ فاذا هو بدلا من ذلك يجدها منهوكة القوى ، مكفهرة الوجه ، عابسة الجبين ٠٠ ابعد ماتكون عن ادخال الانشراح الى نفسه ؟!

◆ لكن الصحة لاتطلب لهذا الغرض وحده ، وانما هى تطلب لاغراض اخرى ايضا ٠٠ فالى جانب «اعتدال المزاج» ينبغى ان تكون للمرأة «عضلات» متينة قوية ، لا مجرد الصحة العادية ، لالتدافع عن نفسها فقط - وان كان الدفاع عن النفس شيئا لازما وواجبا - بل ايضا للقيام بواجبات الزوجية واعبائها ٠٠ فأولا هناك أزمة فى الخدم ، تقتضى الزوجة فى كثير من الاحيان ان تؤدى الكثير من اعمال البيت بيدها ٠٠ وثانيا ، يجب ان يكون مفهوما ان من واجبات المرأة ان تلد الاطفال ، والولادة والحمل يحتاجان الى مرونة عضلات خاصة ٠٠ وان نظرة الى جداتنا ، اوالى الفلاحات فى الحقول ، ترينا كيف يلدن اطفالهن بسهولة ، لان مشاق العمل تربى فيهن قوة العضلات اللازمة لهذه الوظيفة ٠ اما المرأة العصرية المترفة فما أكثر ماتعسر ولادتها وتشفى على الهلاك ٠٠ بسبب ضعف صحتها

◆ فلتكن لحواء الجديدة اسوة بالزنجيات ، فهن لايشعرن ابدا بتعب فى المخاض والولادة ، ذلك ان الرقص الزنجى على الطبول المثيرة ، يقوى اجسامهن ، ويهيىء عضلات البطن والاحشاء فيهن لاداء مهمة الوضع فى يسر وسهولة ٠٠٠ **فلتعلم الام التى تربى عضلات ابنتها تربية صحيحة انها انما تهيىء لها بذلك اسباب السعادة والمتعة الزوجية ، كما تهيىء لها طرق الانقاذ من التعرض للهلاك عند الوضع ٠**

◆ لهذا يجب ان تعنى كل ام بتمرينات ابنتها الرياضية

التى تقوى الخصر وعضلات البطن على الخصوص . وعلى الشابة التى فاتها هذا فى طفولتها ان تحاول استدراكه جاهدة فى سنها الراهنة بالمواظبة على تلك التمرينات يوميا ..

تجنب اسباب العقم والبرود الجنسى ..

◆ ويجب الا تنسى الام – او الابنة – ان اهمال وظائف الامعاء وعلاج كسلها منذ الطفولة عيب خطير للغاية ، لان الامساك المزمن يؤدى الى ضعف الشهية الجنسية ، والبرود الجنسى ، وتلك صخرة كم من زواج تحطم فوقها ، وكثيرا ماينجم عنها العقم !.. وحرام ان تترك الفتاة بهذا الاهمال عرضة للحرمان من المتعة الجنسية فى الزواج ..

◆ وعلاج ذلك النقص سهل جدا ، وذلك بمراقبة نظام تغذية الفتاة منذ طفولتها ، وعلاج ذلك بالادوية الخفيفة حتى لايتأصل الداء ويتعسر الدواء ...

◆ وليس شأن الملابس فى هذه التربية الصحية من الهنات الهينات ، فان اللباس الضيق الذى يعوق اعضاء الجسم عن حرية الحركة ، واللباس السابغ الذى يمنع عنها الشمس والهواء ، واللباس الكثيف الذى يجعلها كالقوقعة التى لاتتحمل تقلبات الطقس .. كل ذلك مما يجنى على صحة الطفلة ، ويجعلها فى مستقبل حياتها زوجة عاجزة عن القيام بوظائفها الحيوية ...

التربية الجنسية ..

◆ واذا كانت التربية البدنية ونظام التغذية وطريقة اللباس مما يضمن للفتاة اعدادا طيبا للمستقبل الزاهر ، بغير

ان تدرك الفتاة كنه ذلك المستقبل صراحة ٠٠ فاننـــا نرى ان الواجب مكاشفة الفتاة بأسرار طبيعتها ، وصلتها بعمران الدنيا ، منذ سن صغيرة ٠٠ فلايترك ذلك لزميلات الســوء ، أوغير السوء ، يتناقلن الحقائق مشوهة مشوشة !٠٠ فليس ادعى لغرس الاثم فيالنفوس من «سياج السرية » ، الـــذى يجعل من وظيفة الطبيعة عملا مختلسا وشهوة ترقص حولهـا الشياطين ، اوتحولها عوامل الكبت الى عقدة نفسية ، تلتـوى بالوظيفة المعمرة الخالقة الى الوان من الشذوذ المذموم ٠٠٠ فان الصمت ـ أو «التآمر على الصمت » بعبارة اصح ـ هو بمثابة تسميم بطىء لنفسية الفتاة ، قديؤدى الى الشـــذوذ ، او الى النفورمن العمل الجنسى ، الذى هو عمل طبيعى ، بل هو لباب العمل الطبيعى ٠٠ والنتيجة المحتومة لتلك التربية الخاطئة ان تشقى الفتاة بزواجها وشبابها ، بدلا من ان تسعد ٠٠

والى هذه الآفة يرجع الكثير ممانشاهده من « نشوز » الزوجات الجميلات الصغيرات ، ونفورهن من ممارسة الواجبات الزوجية ، فهن لايرين فيها متعة ونشوة ، بل عملا محـــرما جالبا للتقزز !٠٠ واذا لم يكن ذلك هو التشويه لما خلق اللـه من الطبائع ، فماهو التشويه ؟

◆ لذلك نهيب بكل أم مستنيرة ان تمهد عقلية ابنتهـا الصغيرة لفهم هـــذه الامور ، التى هى اسرار الخلق ، واسرار وجودها بالذات ، فهما بسيطا طبيعيا لاحرج فيه ، مجردا عن الهالات والتهاويل التى يحيطه بها الجهال والجاهلات ٠٠ وبهذه الوسيلة ـ وهـــذه الوســيلة وحدها ـ تجد الفتـــاة عند نضوجها كل شىء مفهـوما ٠ ويجد الحب ـ حين يطـرق

باب قلبها ـ ذلك القلب كالقصر المضاء بالكهرباء ، المزين بالاثاث والرياش ، معدا لاستقباله استقبال صاحب الدار ، لااستقبال المختلس اوالمتواطىء على الاثم ، اواستقبال العدو المرهوب ٠٠!

فاذا دعوت يا ايتها الام العطوف لطفلتك ان تغدو زوجة هانئة ، فاعلمى ان الدعاء ليس كل ماعليك لها من حق ، بل ان عليك واجبا أهم ، هوالمساهمة فى اعداد ذلك المستقبل ، منذ الطفولة ، اعدادا حكيما ٠٠٠

الجمال النائم ٠٠!

◆ ومن منا لم يقرأ فى صباه عن الحسناء التى ظلت نائمة فى الغابة سنوات ، حتى جاء الفارس الجميل ، فاخترق حجب الاشجار المضروبة حولها ، ومس شفتيها بشفتيه ، فاستيقظت ، وعاد قلبها الى الخفقان ؟

كلنا قرأنا هذه الاسطورة ، وكلنا حسبناها محض قصة تروى لازجاء الفراغ ، ولم يجل بخاطرنا انها قصة كل حسناء ، بل قصة كل امرأة على الاطلاق ٠٠ فان الانوثة والجمال يظلان نائمين حتى يقبل «الحب» فى شخص فتى الاحلام ، فيوقظ الحسن الوسنان ، ويعيد القلب الى الخفقان ٠٠٠ ويفتح العين على الواقع الشهى الممتع ، بعد ان كان مجرد حلم غامض تكتنفه الظلال والظلمات ٠٠ فكل فتاة ، منذ بلوغها طور المراهقة ، تغرق فى تلك الاحساسات الغامضة ، ولكنها لاتفتح عينيها على الحقيقة الا حين يطرق الحب قلبها ٠٠

◆ فواجب الام الذى لاواجب مثله هو اعداد الفتاة لهذا «التفتح» ، والحرص على ان يكون تفتحا سليما صحيحا تنجم عنه

المتعة الكاملة والسعادة بالزواج ٠٠ ويجب ان يبدأ هذا الاعداد قبل بلوغ سن المراهقة ، وبالتدريج ، حتى لاتفاجأ الفتاة مفاجأة قاسية مربكة حين تشهد فى نفسها هذه التغيرات التى تصحب المراهقة ، والتى لاتفهم لها معنى !٠٠ فهى بدون هذا الفهم المبكر قد تحسب دماء الحيض الشهرى - حين يلم بها لاول مرة - جرحا اونزيفا ٠٠ الامر الذى قد يصيبها بالتقزز اوالسخط على «قسمتها» التى كتبت عليها الانوثة ٠٠ ومن ثم لاتكون مستعدة للتفتح ، او «الاستجابة » عندما يأتى « فتى الاحلام » ليوقظ جمالها النائم بقبلته الدافئة ٠٠

اما الفتاة التى اعدت لهذه المرحلة اعدادا سليما ، فانها تفهم المسألة على وجهها الصحيح ، وترى الرجال - اى الجنس الآخر - على ضوء جديد ، بل تراهم ينظرون هم اليها بعين جديدة !٠٠ ومهما شغلتها الدراسة ، اوالاعمال ، فانها تعلم ان نجاحها فى الدراسة ، او فى المهنة شىء ثانوى ، وان مستقبلها الطبيعى غير ذلك كله ، بالغا مابلغ نجاحها اومجدها فيه ٠٠ فمامن امرأة صحيحة التكوين ناضجة الانوثة سليمة الغرائز تتردد فى نبذ المجد الذى قد تلقاه فى مهن الرجال ، وركله بقدمها اذا لزم الامر ، كى تلوذ بكنف رجل يوقظ حسنها النائم ٠٠!

الجمال والمتعة ٠٠ لايكفيان !

◆ ولكن الاعداد الكامل لحواء الجديدة لايقتضى مجرد التربية الصحية والجنسية ، بل يجب ايضا ان يجد «آدم الجديد» في حوائه شيئا اكثر من الانثى المستعدة لمجاوبته

جنسيا ، واكثر من دمية جميلة الشكل رشيقة ٠٠ فظروف الحياة العصرية صارت قاسية الى حد كبير ٠٠ وآدم قد يحب حواء حسناء ، ولكنه لايتزوج اى حواء لمجرد انها حسناء ٠٠٠ وانما هو يختار ، ويتردد كثيرا فى الاختيار ٠٠ لانه يريد ان يستوثق اولا من ان « حواء » تستطيع ان تسعده بيتيا ، كما تسعده وتمتعه جنسيا : اى تستطيع ان تكفل له الراحة والاستقرار والرفاهية فى حدود دخله المحدود ، فلا تكلفه من امره عسرا ، ولاتكون عبئا عليه فوق اعبائه ، من حيث يريدها عونا وسندا !٠٠ والام الحكيمة هى التى تلقن ابنتها هذه الامور وتكررها على مسمعها ، بحيث تشب وفى عقلها الواعى والباطن ادراك راسخ للحقيقة التى لاشك فيها : وهى انالجمال والمتعة لايكفيان وحدهما لاسعاد الزوج !

اللعب بالنار ٠٠!

◆ وكل فتاة تجد نفسها عندما يبرز صدرها الناهد ذات تأثير معين فى الجنس الآخر !٠٠ تجد الذكور يتهافتون عليها٠٠ والنظرة منها ، اوالابتسامة ، اوالضحكة الناعمة كافية لان تدير رأس الشاب !٠٠ وهنا قد يدور برأسها ان تجمع حولها باقة من الشباب المفتون بها ، حبا فىالزهو والانتصار ، وفرحا بهذه «اللعبة الجديدة » ٠٠

وذلك هو بعينه اللعب بالنار !

٠٠ فالواقع ان هذه « الغزوات » السهلة الممتعة فادحة الثمن جدا ، ولن تلبث الفتاة الرعناء التى تتمادى فيها ، ان تكتشف الحقيقة الموجعة في النهاية : وهي ان أولئك المفتونين

بحسنها ودلالها مستعدون لاى شىء ، فى سبيل صحبتها والتمتع بجمالها ، اللهم الا ... الاالزواج !.. وعندئذ تكون الصدمة قاسية على حواء ، لانها ستدرك ان آدم يريدها متعة ساعة ، ولكنه لايراها اهلا لمشاركته حياته على الوجه الوحيد الذى يقتضيه الاحترام والاعزاز الصحيح ..

.. فتعلمى يافتاة أن تغلى قدرك ولاترخصيه ، ولاتلعبى بالنار ، حتى لاتحرقك النار !.. واستعملى سلاح فتنتك بحذر وحكمة ، لكسب الاعزاز والحب الصحيح ، لاللسلب والنهب وقطع الطريق !.. فذلك يؤدى دائما الى البقاء « خارج القانون » .. والزواج يافتاتى لاسياج له الاالقانون ..!

لاتتعجلى فى اختيار الرجل !

◆ ونصيحتى لك يافتاتى الا تتعجلى فى اختيار «آدم» الذى ستدخلينه جنتك، وتدخلين جنته ، فليس الامر من السهولة بحيث تقدرين . فالزواج مسألة مركبة معقدة ، لاختلاطها بعنصر آخر شديد الامتزاج بها ، وذلك هو عنصر « الحب » !.. فمن الفتيات من تقول :

ـ سأحب الرجل الذى اتزوجه ..!

ومنهن من تقول :

ـ سأتزوج الرجل الذى احبه ..!

واياكان رأيك يافتاة ، فيجب الاتتسرعى . واعلمى ان الحب وحده لايكفى .. فالحياة العصرية غير حياة آبائنا ، وهى تحتاج الى فهم لظروف المعيشة ، وللحالات الوجدانية المختلفة

التى تتعاقب عليها وعلى رجلها بعد الزواج

٠٠ وطبيعى انه لواجتمع فى آدم الموعود الزوج والعشيق معا لكان ذلك غاية المرام ، ولماكانت هناك مشكلة فى الاختيار على الاطلاق ٠٠ ولكن الواقع المألوف فى الحياة غير هـــذا ٠٠ فالزواج حياة استقرار ، والعشق مثل البرق الرائع ، يخطف الابصار ولكنه لايدوم فى الغالب زمنا طويلا ، لاتصاله بربيع العمر على الارجح ٠٠ فى حين تبقى الزوجية الى مدى الشيخوخة ٠٠ فمن المعقول اذن ان تكون للزواج من شخص معين بواعث أقوى وأدوم من العشق الجارف ، الذى يضل العقل ويحـول دون اعمال الفكر على الوجه الصحيح ٠٠!

« مواصفات » الزوج

◆ هذا فى حين يقوم الاختيار على التعقل والتفكير الهادىء المتزن ٠ واول واجبات هذا التعقل « وزن » آدم بميزان نزيه ، والنظر فى «مواصفات » الزوج الصالح وهل تنطبق على هـــذا الشخص اوذاك ، ام لاتنطبق ٠٠

واهم مواصفات الزوج الصالح طبعا هى الصـــحة ٠٠٠ فقوة البنية وسلامة الجسم من الامراض الوراثية والشخصـية شرط ضرورى للسعادة الزوجية ٠٠ وهل بغير الصحة يقـوى زوج على مواجهة متاعب الحياة ، والكفاح الشاق من اجـــل العيش ٠٠؟ بل على انجاب اطفال اصحاء ؟

ثم يجب ان يكون آدم نشطا مقبلا على الحياة ، ذا همـة وطموح ، لا سوداويا منقبضا يصد النفس عن الحيـاة ويقطع

شهية حواء لمباهجها ‥ على ان يكون حازما عاقلا ، فلا يكون فتى طائشا احمق ينفق ماله فى الاسبوع الاول من الشـــهر ، ويبقى مع حواء خاويى البطن والجيب بقية الشهر !‥ فمثل هذا الآدم ، مهماكان جذابا وسيما ، كفيل ان يسمم الحيـــاة المنزلية ويودى بالسعادة الزوجية ‥‥

◆ ومن نافلة القــول ان الزواج من مقامر أوسكير أوعربيد اوشرس الطبع يعد من باب اولى سعيا الى النكد والشقاء طوعا واختيارا ‥ ففحص حالة الزوج المرشح وتقصى صفاته الخلقية والوجدانية والمادية امر ضرورى لاينبغى اهماله ‥

وأنت ياحسناء !

◆ ولكن اذا كان هذا واجبا ، فواجب ايضا ان تنظـر حواء الى نفسها جيدا ، وترى هل تنطبق عليها مواصفات حـــواء الجديدة التى تسعد آدم مدى العمر كله ام لا ‥ فعليهـــا أن توطن النفس على العناية بجمالها وقوامها وصــــحتها ، حتى لاتشيخ بسرعة وتتخلف عن ركب الحيـــاة البهيجة ، بينما آدم فى عنفوانه ‥ ويجب كذلك ان تتزود للزواج بمعرفة جيـدة بالتدبير المنزلى وفن الطهو واعداد المائدة ‥ الخ

◆ واخيرا يتم الاختيار ، وتتزوج حواء من آدم ‥ وهنـــا يجب ان توطن الفتاة نفسها على الحقيقة الاولى فى الزواج ، وهى:

« ان رغبة الرجل فى الاتصال الجنسى بالمرأة اشد بكثير واعنف بكثير من رغبة المرأة فى الاتصال بالرجل ، وذلك فى المرحـــلة الاولى من الزواج على الاقل » ‥ فان معـرفة هـذه

الحقيقة كفيلة بألا تجعلها تصدم . ولاسيما ان الغالب فى حواء العذراء الا تحس مافى الاتصال الجنسى من متعة للوهلة الاولى . ولذلك يغلب ألا تفهم حماسة الرجل لهذه « المسألة » ... ولكن حذار ثم حذار ان تظهرى عدم الاكتراث، أو عدم «الاندماج» فى الموجة التى تلف الرجل فى هذا الاتصال ، بل يجب أن تظهرى الاستمتاع والفهم والمشاركة الحسية والوجدانية .. فتدرعى بالشجاعة ، وشجعيه ، فان لهذا فائدتين : أن تندمجى شيئا فشيئا بالفعل فى هذا العالم الحسى الجديد ، حتى تصلى الى النشوة الكاملة .. **والفائدة الثانية ان يزداد هو محبة لك وتعلقا بك ، فلا يصدم ويخيب أمله ويشعرانه أساء اختيار الشريكة الموافقة !.. وليكن رائدك على الدوام ان غاية الزوج من الاتصال الجنسى ليست مجرد قضاء وطره من المرأة ، بل هى الشعور بالاستجابة من لدنها، حتى يحس انه أشعل جذوتها ونجح فى امتاعها بما تمتع به .**

◆ ولكن حذار من أن تتبذلى فى هذا ، فكونى دائما متدللة ، فى رفق واعتدال ، فالرجل يحب دائما أن يكون هو المطارد ، وهو الراغب الطالب ، أما الشىء المبذول فى كل وقت فلا قيمة له فى نظره ، وسرعان ما يمله ..!

.. وهناك أيضا مسألة النسل ، فيجب التفاهم أولا على موضوع الاطفال ، وهل يراد انجابهم منذ أول سنة من الزوجية أم لا ، وهل فى وسع الزوجين القيام بهذا العبء ماديا على الفور، بعد ما كان من نفقات الزواج ، أم لا ... فليس الاشكال فى النسل ، بل فى مقتضيات التربية العصرية من نفقات ومسئوليات جسام ..

احذرى طفلك !

◆ فاذا أنجبت بعد عام أو عامين ، فاحذرى طفلك ٠٠ فانه قد يكون معول هدم لسعادتك الزوجية لا قدر الله ٠٠ ذلك ان من الامهات من تستغرقها الامومة بحيث يجلى طفلها زوجها عن مكانه الممتاز فى قلبها وعنايتها ، فيشعر الرجل بالضيق ، وان لم يتكلم ! ٠٠٠ **واعلمى ياأختاه ان الرجل غيور ، وانه حرى ان يسخط عليك لهذا التصرف ٠٠٠ لانه سيشعر ان دورك فى الزوجية قد انتهى ، وانك « طلقت منه » وجدانيا ، لتتفرغى لدورك الجديد ، أو ان ولدك بمثابة عشيق لك جديد فتنك واستهواك** ٠٠ وذلك هو الخطر الاعظم ، فالزوج مقدم على الابن، لانه احتل قلبك وحياتك قبله ، وهو الذى أولدك اياه ، فمن العدل والواجب أن يبقى الرجل ملكا متوجا على قلب حواء العاقلة الحصيفة ، حتى يشعر ان ابنه ليس منافسه ، فيزداد تعلقا بك ، ويتعلق بابنه مرتين ، مرة من أجل انه ابنه ، ومرة لانه ابنك ورباط جديد بين قلبك وقلبه ، وجسدك وجسده ٠ فاجعلى طفلك دليل حبك لآدم ، لا معول هدم لهذا الحب ٠٠ !

حاربى الصدأ ٠٠ !

◆ وعليك يا «حواء» ان تحاربى السأم فى نفس زوجك ، فلا تجعلى الحياة فى البيت على وتيرة واحدة ، فان ذلك أدعى للسأم والملل ٠٠ واذن فينبغى أن تعمدى الى مداومة الاطلاع على الاخبار العامة ، وقراءة أحدث الكتب والمجلات ، حتى يجد آدم فيك رفيقا أنيسا ذكيا مستنيرا ، لا مجرد مدبرة بيت وجارية أو

محظية للفراش !٠٠ وليكن رائدك أن تصليه بالمجتمع، وتخرجى معه ، بحيث تشرفيه فى اعين الناس ، ولاتكونى مبعث خجل له أو انزواء ٠٠

◆ ولكن لتحذرى أيضا يا أختاه من أن تكلفيه ما لا يطيق فى سبيل المظاهر الاجتماعية ، فخير لك وله ـ اذا كان دخلكما متواضعا ـ ان تقاطعا المجتمعات، من أن تتورطا فى الدين بسبب غشيانها ٠٠ !

لا تخشى الاعاصير ٠٠

◆ ولكن لا تخشى الاعاصير كما تخشين الصدأ ٠ ذلك أن الخلافات والمناقشات الحامية مفيدة غالبا للسعادة الزوجية ، لانها تستخرج «القيح» المكتوم فى نفس الطرفين ، فلا يتحول الى خراريج تسمم البنية بمرور الزمن ٠٠٠ بيد انه يجب عدم التمادى فى هذا المجال، بل تكون المشاجرة على الطريقة العصرية « الاسبور » ، فتنتهى كما ينتهى « ماتش التنس » بمصافحة بين « الخصمين » ! ٠٠ وما أحلى الصلح بعد الخصام لمن يعرفون هذه اللذة العظيمة من المتزوجين الراسخين فى العلم ٠٠٠ فتشاجرى ، ولكن «بلباقة» ومودة،لابعناد ولدد وحقد !٠٠

◆ أجل ، لا تخشى أعاصير الخلاف الداخلى ، أما الخلاف على « السياسة الخارجية » فحذار منه ثم حذار ! فابتعدى عن كل مايسبب الاحتكاك الخارجى ، سواء بأهله أوأهلك ٠ لذلك ننصح المتزوجين الجدد ألا يسكنوا مع أهل أحد الطرفين ، وهو الامر الذى يتورط فيه البعض بسبب أزمة المساكن الحالية ٠٠٠

فالشقة الصغيرة جدا خير ألف مرة من مشاركة أهل الزوج أو الزوجة قصرهم المنيف ...

◆ واحذرى أكثر من هذا : الرجال ! .. فلا تشجعى أحدهم على التقرب منك ومطارحتك الغزل ... **ولا تشجعى أصدقاء زوجك على رفع « التكليف » معك ، فان هذا هو الديناميت الذى قد يقضى على كل شىء فى لحظة واحدة .. فاحترام زوجك لك ، ومحافظتك على شرفه وشعوره وكرامته ، هى أهم عامل من عوامل السعادة ..**

احفظى توازنك !

◆ وأخيرا .. فأنت ياحواء الجديدة ترقصين وتختلطين بالرجال ، ولكن يجب ان تجعلى من حكمتك خدرا وحريما يصونك .. فاذا كنت تثورين على الحريم القديم ، فلانه يفرض عليك الشرف بالقوة ... وليس معنى هذا طبعا انك لاتقدرين الشرف . كلا ! بل أنت تقدرينه ، **ويجب ان تثبتى انك تقدرينه وتستطيعين المحافظة عليه من تلقاء نفسك ، بدون حراس ، ولا سجن ، ولا رقباء من الاغوات ! .. فكونى ياحواء الجديدة مزيجا جامعا لما فى حواء القديمة من مزايا وأنوثة ، وما فى الحياة العصرية من استنارة وحرية رشيدة فاضلة ، ولا تنزلقى فى الحرية الزائفة ، القائمة على الاستهتار والتبذل ...**

وفى عدد قادم أقدم لك ياحواء الجديدة « آدم الجديد » .. كما ينبغى أن تعرفيه وتفهميه !

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ٠٠٠

استخرجت لك فى كتابى الاول من كنوز الكتب القديمة كتاب « ديكاميرون» لبوكاشيو ٠٠ وفى كتابى الثانى « دون كيشوت » لسرفانتس ٠٠ وفى العدد الماضى انتقلت بك من ايطاليا وأسبانيا الى « أثينا » القديمة فاستخرجت لك « الياذة » هوميروس الخالدة ٠٠٠ واليوم تصحبنى الى فرنسا القرن الثامن عشر، لنتعرف الى فيلسوفها الخالد « جان جاك روسو » فى كتابه المشهور « اميل » ٠٠٠ وفى الاعداد القادمة أعتزم أن أقدم لك بعون الله من هـذه الكنوز القديمة : الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الاوديسة (لهوميروس) ، العقد الاجتماعى (لجان جاك روسو) ، الامير (لمكيافيللى) ، أصل الانواع (لداروين) ، السياسة (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، يوتوبيا أو الدولة المثالية (لتوماس مور)، انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانيـة (لجيبـون) ، هكذا تكلم زرادشت (لنيتشة) الشخصيات (لبلوتارك) ، الاخلاق (لسنيكا) ، التربية (لهربرت سبنسر) ، كتاب الموتى (من تراث مصر القديمة) ، رباعيات عمر الخيام ٠٠ ولن أغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، أسـطورة حى بن يقظان لابن طفيل ، طوق الحمامة لابن حزم الاندلسى ، كليلة ودمنة ٠٠ الخ


EMILE
par
JEAN JACQUES
ROUSSEAU
دستور التربية
أو
إميل
للفيلسوف الفرنسي الخالد جان جاك روسو

قصة الكتاب ٠٠ ومؤلف الكتاب

« جان جاك روسو » هو أحد الامثلة القليلة « الصارخة » على قوة العقل الانساني ، وقدرته على التأثير فى جيل كامل - بل أجيال - من البشرية !٠٠ ولعل أعجب ما فى أمره أنه لم يتوقع قط أن يبلغ يوما ما بلغ من شهرة، أو يؤتى ما أوتى من عبقرية ٠٠ بل ان الشهرة والعبقرية قد واتتاه ، من حيث لا يدرى !٠٠ فحياة جان جاك روسو ، وانتاجه الادبى ، هما من أندر الامثلة فى تاريخ الادب العالمى ، للعبقرى الذى هبطت عليه العبقرية بغير أن يطلبها أو يسعى اليها ٠٠ بل وبرغم ارادته !

نشأة تافهة !

◆ فقد ولد روسو فى أسرة متوسطة الحال ٠ وكان بطبعه خجولا ، ضعيف الارادة ، تافه الشخصية ، حالما ، كسولا ، مترددا ، كثير النسيان ، يميل مع كل ريح ، ولا يعبأ بالغد ٠٠ أو يطمح الى أكثر من معيشة متوسطة، هادئة، بليدة!٠٠ وساعده على هذا « الخمول » ارتكانه الى ايراد مالى عائلى لا بأس به ، جعله يركز آمال شبابه الباكر فى ارضاء ميوله الغريزية الى المغامرات الغرامية والجنسية ٠٠ وبقى على هذا المنوال حتى سن السابعة والثلاثين ، لا يزعج حيـــاته الخاملة شىء ٠٠!

وفجأة ، ودون أى انذار أو مقدمات ، « أصيب » الشاب الخامل بالعبقرية - كما يصاب الانسان بصاعقة من الصواعق! - فأضىء ذهنه بنور « سماوى » ، ووضعت الاقدار بين أنامله ذلك السلاح النارى : القلم !٠٠ فوجد نفسه ملقى فى وسط الحلبة التى تصارع فيها قبله أعظم وأنبه أعلام الفكر الانسانى، على مشهد من العالم بأسره ، القديم والجديد !

◆ ومنذ الضربة الاولى ، تفوق روسو عليهم جميعا !٠٠ وسمع - وهـــو يغالب الدهشة ، بل الخوف ! - صوته يدوى فى جنبات ذلك المسرح ، مسرح الفكر العالمى ، ويملأه بأصداء تضارع أقوى ما رددته منابر الخطباء القدامى !٠٠ ولعل روسو من فرط دهشته قد أنكر صوته حين سمعه يهاجم أسمى القيم المتعارف عليها ، ويهز بنيان المجتمع الراسخ من أساسه !٠٠ واذا ذلك الحالم الشريد ، والعاطفى البوهيمى الواهن الجسم والنفس ، يجعل من نفسه مشرعا من أعظم مشرعى القوانين ٠٠!

◆ لكن هذه القوى التى كانت كامنة فيه قد أرهقته ، حتى ناء بثقلها ، وتاق الى التخلص منها !٠٠ كانت حاله أشبه بحال رجل اختارته الاقدار كى يؤدى « رسالة »ما ، فخلعت عليه موهبة خارقة ، هائلة ، لكنها مؤقتة ، جعلته « يتفوق على نفسه » ، اثنى عشر عاما٠٠ اثنى عشر عاما من العبقرية المتأججة!٠٠ انطوى فى نهايتها على نفسه كما تنطوى القوقعة ، عائدا الى حياة التأملات والاحلام ، التى طالما اشتاق اليها !

لكن ضخامة المجهود الذى أوحى اليه بأن يبذله ، والضجيج العاصف لكلماته النارية ، أصابه باضطراب فى « توازنه » ، وهذيان مفجع ، لم يخفف من لوعته أثناءه غير جمال أناشيده التى كان يتغنى بها ٠٠ وتغنت بها من بعده الاجيال !

يحب وطنه ٠٠ ودينه !

◆ ولد روسو فى الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٧١٢ ، فى مدينة «جنيف» ـ وكانت شبه «دولة» مستقلة بذاتها ـ وقد عاش طيلة حياته فخورا بانتسابه اليها، يدافع عنها فى كل مناسبة ، رغم الجحود الذى أظهرته نحوه والاضطهاد الذى أصابه منها ٠٠ كان دائم التحدث عن حبه المكين لها ، وحزنه على العيش بعيدا عنها ـ يوم اضطرته الظروف الى ذلك !٠٠ ولم يكن تعلقه ببلده غريبا منه ، وهو الذى لم يفتأ أبوه يلقنه وهو بعد فى طفولته الباكرة : « جان جاك ٠٠ فلتحب وطنك ٠ انك « جنيفى » ، ولسوف تلقى يوما اناسا من أوطان اخرى ، لكنك لن تجد يوما شبيها لوطنك ! »

ولم ينس الفتى هذه النصيحة قط ٠٠

◆ وكما أحب روسو وطنه ، أحب دينه ٠٠ ففى الوقت الذى كان فيه يعيش فى باريس ، ويختلط بنبلاء البلاط وفلاسفة العصر الملحدين ، كان يحرص على قراءة (الانجيل) كل مساء ٠٠ حتى لقد أعاد قراءته أكثر من ست مرات خلال فترة أصابته بالارق ٠ وكان يطلق على نفسه ، فى شيء من المغالاة : « الرجل الوحيد فى فرنسا ، المؤمن بالله ! » ٠٠ ولعل حبه لوطنه ، وحبه لدينه ـ وقد رضع كلاهما مع اللبن من ثدى مسقط رأسه « جنيف » ـ كانا أبرز ما ميزه عن جميع كتاب عصره الفرنسيين ، يوم استوطن باريس فى شبابه الباكر ٠٠ باريس التى طرد منها أسلافه بسبب اعتناقهم المذهب البروتستنتى !

يقرأ الروايات مع أبيه ٠٠ حتى الفجر!

◆ وقدكانت امه « سوزان برنار » امرأة بارعة الجمال، موفورة الذكاء، ماتت

أثناء ولادتها اياه ٠٠ وكان أبوه « ايزاك روسو » صانع ساعات ، يجمع خلقه بين المتناقضات : بين الرقة والعنف ، والذكاء ، والاهمال ٠٠ ويميل الى حياة المغامرة والتشرد ، والقراءة والاطلاع ٠٠ فأورث ابنه ميوله هذه ، ولا سيما الميل الاخير منها ٠٠ فلما بلغ الصبى السابعة من عمره صار يشارك أباه قراءة الروايات والكتب ، حتى لقد كانا ينفقان فيها أحيانا الليل بأكمله !٠٠ وكان أحب المؤلفين الى الصبى ، المؤرخ اليونانى « بلوتارك » ، الذى وقع احد كتبه فى يد روسو وهو فى السادسة ، فحفظه عن ظهر قلب ٠٠ ولازمه ، مع بقية مؤلفاته الاخرى ، من المهد الى اللحد ٠٠!

يفر من قسوة المجتمع٠٠الى الطبيعة !

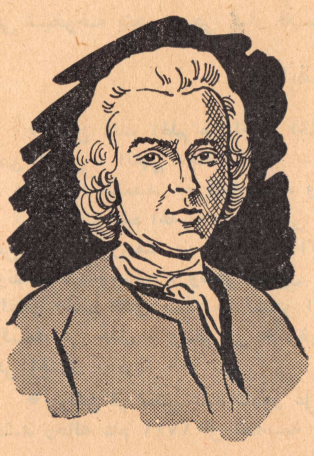
◆ وحين بلغ روسو العاشرة ، اشتبك أبوه فى نزاع مع السلطات الحاكمة اضطر على اثره الى الفرار من المدينة ، دون أن يعبأ كثيرا بمصير ابنه !٠٠ وهكذا ازدوج يتم الفتى : بات يتيم الاب والام معا !٠٠ وقد كفله عقب ذلك بعض أقاربه ، لكنه لم يعد يجد ملاذا من قسوة الحياة الا فى أحلامه ٠٠ وأغراه ضجره من دنياه بأن ينطوى على نفسه ، وينشد السلوى فى احضان الطبيعة ـ الام الرؤوم ـ فيخلق له خياله من كائناتها الخرساء مجتمعا خاصا به ، لا يشاركه فيه ، أو يضايقه ، انسان ٠٠!

٠٠ وعلى هذه الصورة بلغ روسو سن العشرين وهو على درجة كبيرة من الجهل ٠٠ فكان كل من يمتحنه يقطع بأنه فتى « لا مستقبل له » !٠٠ وأن خير وظيفة يصلح لها هى أن يكون قسيسا لقرية من القرى الصغيرة ، كما كان جده لامه ٠٠

المرأة التى غيرت مجرى حياته !

◆ لكن لقاء مع امرأة ، غير مجرى حياته تغييرا كليا !٠٠ ففى سنة ١٧٢٨ التقى روسو فى جهة (أنيسى) بامرأة تدعى مدام دى فارين ، فأصيب منها بسهم نفذ الى قلبه مباشرة !٠٠ وبعد خمسين سنة من ذلك التاريخ سجلت الصفحات الاخيرة التى خطها قلمه صيحة فياضة بالحب المنطوى على العرفان بالجميل ، جميل « أمه » الطيبة ـ كما صار يدعو مدام دى فارين ـ فان الصبى اليتيم المحروم من حنان الام ، كان ينشد الامومة فى كل شىء ، حتى فى الحب !٠٠ وقد وجد هذه الامومة فى شخص تلك المرأة الرؤوم ٠٠

◆ لكن المرأة كانت ذات ضمير حى ، فبرغم ما توافر لها فى روسو من « شباب » ـ كان ينقصها ! ـ فانها لم تشأ له أن يعيش فى كنفها حياة خاملة ،



جان جاك روسو

محدودة الآفاق ٠٠ بل أرادته أن يبحث لنفسه عن مستقبل أفضل ٠٠ فرضخ الشاب لرجائها وانطلق شريدا يجوب البلاد ، على غير هدى !٠٠ مضى من أنيسى ، الى تورين ، ثم عبر الالب ، ويمم شطر ليون ، ومنها الى لوزان ، فنيوشاتل ٠٠ ثم الى باريس ٠٠ وهو ما يزال شريدا يحلم !٠٠ ولا يكاد يستقر فى عمل حتى ينفض يده منه لينتقل الى آخر ٠٠!

٠٠ لكنه عاد أخيرا بخفى حنين الى « أماه » ، التى كانت قد انتقلت الآن الى « شامبرى » ٠٠ ورغم خيبة أملها فيه فقد سرت المرأة بلقاء عشيقها الشاب ، وأخذته الى بيتها ٠٠ ليعيش فى كنفها !

حلم من أحلام الجنة !

◆ وكانت هى مثله : رقيقة القلب ، عارمة الحواس ، واسعة الخيال ٠٠ قليلة المبالاة حتى بمن يحبونها ، تنساهم بمجرد انصرافهم ! والواقع انها لم تقدر قط مبلغ تعلق روسو بها ٠٠ بل انها صارت خليلته ، بغير أن تحبه ! ـ مثلها فى ذلك مثل الاديبة « جورج صاند » ، التى قبلت أن تكون خليلة للموسيقى « شوبان » بدافع من الشعور بالواجب !

أما بالنسبة لروسو نفسه ، فان الاعوام الثلاثة الممتعة التى عاشها مع « مدام دى فارين » ـ بين ١٧٣٨ و١٧٤٠ ـ كانت أشبه « بحلم من أحلام الجنة» !٠٠ وفى الوقت الذى تذوق خلاله فى رفقتها « السعادة الكاملة المصفاة »، تابع مطالعاته الادبية المنوعة ، دون أى نظام أو برنامج مرسوم ٠٠ وتأثر أكثر ما تأثر بأدب « فولتير » ـ الذى صار خصمه فى المستقبل ! ـ ولا سيما بكتابه « رسائل فلسفية » ، الذى يعترف روسو بأنه كان أول كتاب حفزه على الدراسة واستفزه الى محاولة الكتابة !

على أن معلم روسو الاعظم فى الواقع لم يكن « الكتاب » ٠٠ بل « الطبيعة » !٠٠ فلقد أحبها منذ طفولته حبا ملك عليه حواسه ، بحيث جعله

فى شيخوخته ينحو منحى كبار فلاسفة الشرق المتصوفين !

نهاية الحلم !

◆ لكن ذلك الحلم من أحلام الجنة الذى عاشه روسو فى أحضـــان مدام دى فارين ، انتهى فجأة ـ كما بدأ فجأة ـ حين تغيب صاحبنـــا فترة عن « عشهما » السعيد ٠٠ فلما عاد ، وجد مكانه فيه قد شغله ٠٠ طير آخر !

وأثرت هذه الخديعة الموجعة فى نفسية روسو ٠٠ فارتحل مبتئسا ، يبحث عن عمل يرتزق منه ٠٠ وتقلب فى أكثر من عمل : بين سكرتير لكاهن يونانى ، ونقاش ، وموسيقى ، وتاجر متجول ٠٠ الخ ـ وخلال ذلك كله ظل دائما نفس الفنان الحالم الذى يستجيب لسحر الطبيعة ومباهجها العطرية ، فيتأمل صفحة السماء فى جذل ، وينظر الى خضرة الحقول فى نشوة ، ويصغى الى خرير الماء فى الجدول مأخوذا ٠٠!

◆ ولكن لم تمض عليه شهور على هذا المنوال ، حتى ضاق بحياته تلك ٠٠ فشد رحاله عام ١٧٤١ الى العاصمة : باريس !

فما الذى أغراه بأن يهجر أشجاره وأطياره وأنهاره ؟

أغراه المجد !٠٠ المجد الذى قرأ عنه فى « بلوتارك » وحلم به ، فمضى يسعى اليه عن طريق : الموسيقى !٠٠ ذلك ان روسو كان حتى ذلك الحين يعتبر نفسه موسيقيا أكثر منه أديبا ٠٠ وكان قد وضع ألحان أوبرا كاملة ، وابتدع طريقة جديدة لكتابة النوتة الموسيقية ، فخف الى باريس ليشق طريقه الجديد فيهـــا ٠٠

الشريد الذى أعجبت به النساء !

◆ وفى باريس لم يحوجه الامر الى أكثر من بضع خطابات توصية فتحت له على اثرها أبواب صالون « مدام دوبان » الادبى ، الذى كان قبلة أهل الفن والادب فى ذلك الحين ، فدخل روسو فى زمرتهم ٠٠ وصار صديقا للاديب الكبير « ديدرو » ٠٠ وأعجبت نساء ذلك الصالون « بالمتشرد » الجديد ، المحروم من المؤهلات ، فسعين حتى ألحقنه بمنصب « سكرتير السفارة الفرنسية » فى (البندقية) ـ فى مايو سنة ١٧٤٣ ـ لكنه لم يلبث أن تشاجر مع السفير فترك منصبه فى العام التالى وعاد الى باريس ٠٠ ليستأنف كفاحه من جديد !٠٠ وفى هذه المرة واتاه شىء من التوفيق ، فأخرجت له على المسرح بعض تمثيليات موسيقية وروايات قصيرة ، مقتبسة عن فولتير ٠٠٠

ضربة الحظ !

◆ وبعد خمسة أعوام أخرى ، لم يحرز فيها تقدما أو نجاحا يذكر ، انقضت عليه فجأة ـ ذات يوم ـ « الصاعقة » التى أشرت اليها فى بداية هذا الفصل (وقد عاش طيلة حياته لا يذكرها أو يتحدث عنها الا وتعتريه رجفة الانفعال) : مضى ذات يوم ليزور صديقه الاديب « ديدرو » ، وكان سجينا فى سجن (فنسين) بسبب مخالفته لقانون النشر ٠٠ وكان الطريق طويلا ، والحر شديدا ، فاستعان روسو على قطع المسافة بتقليب صفحات مجلة أدبية كانت فى يده ٠٠ واذا بصره يقع على اعلان من اكاديمية (ديجون) تعد فيه بمنح جائزة مالية لمن يكتب أحسن رسالة فى الموضوع الآتى : « هل ساهم تقدم العلوم والفنون فى افساد الاخلاق أم فى اصلاحها ؟ » ٠٠

◆ وعندئذ : « أحسست فجأة كأن ألف شعاع وشعاع من النور قد غمرت ذهنى !٠٠ فتزاحمت فيه الافكار الحية النابضة ، بحيث كدت أختنق ، فجلست أستريح تحت شجرة ٠٠ وحين تنبهت من هذيان أفكارى المحمومة بعد نحو نصف ساعة ، كان صدر سترتى كله مبللا بالدموع !٠٠ فى تلك اللحظات عشت فى عالم آخر ، وصرت انسانا آخر ! »

٠٠ وكتب روسو رسالته المشهورة ، التى هاجم فيها الحضارة ونادى بالعودة الى أحضان الطبيعة ، وبنظريته الجديدة التى مؤداها ان مبادىء الفضيلة محفورة فى كل قلب ، بحيث يكفى أن ينظر الانسان الى أعماق نفسه ويصغى الى صوت ضميره ، فى فترة سكون الرغبات والعواطف ، كى يراها بوضوح !

◆ وظفر روسو بالجائزة ، وأحدثت الرسالة ضجة كبيرة فى الاوساط الادبية !٠٠ وأما وقد انطلق القلم الموهوب من عقاله ، فقد عز عليه أن يتوقف٠٠ فمضى روسو يسود الصفحات بكتاباته ٠ كتب رسالة أخرى عن « أساس التفرقة بين البشر » ٠٠ ثم ثالثة ، ورابعة ، فى موضوعات مشابهة ٠٠

وفى سنة ١٧٥٢ مثلت روايته « عراف القرية » أمام الملك ، فظفرت بنجاح هائل ٠٠ ووقف المؤلف يتلقى التهانى وقد أطلق لحيته وبدا فى هيئة الرجل المتوحش ، فأثارت غرابة شخصيته فضول الناس ، حتى اشتاقت « فرساى » بأسرها الى التعرف عليه !

حرب على النفاق !

◆ لكن المجتمع الذى خف الى الترحيب بروسو فجأة ، بهذه السهولة العجيبة ، لم يظفر منه باعجابه ٠٠ فراح ينقده فى كتاباته بصراحة وجرأة ،

ويسلق بلسانه الحاد ما يسود صالوناته من رياء وزيف ، وسفسطة ومباذل !٠٠ وكان أفراد تلك المجتمعات - وخاصة النساء منهم - يشعرون بنقـائصهم ، فأحسوا بلذة مريرة فى مطالعة وسماع النقد الموجه اليهم ٠٠ وكانوا على استعداد لان يجعلوا من أى شخص يواجههم بالحقائق الموجعة ٠٠ بطلا عظيما !٠٠ وقد ظهر روسو فى الوقت المناسب ، فاتخذوه بطلهم المفضل ، وصار اعجابهم به « موضة » العصر !٠٠ لكن « الموضات » والبدع لا تطول عادة أو تدوم على حال٠٠ وهكذا سرعان ما سئم الباريسيون روسو بنفس السرعة التى هللوا بها له وكبروا ٠٠

◆ وكانت النتيجة الاولى لكفران باريس بروسو انه كره العاصمة وأهلها وعاوده الحنين الى الارتماء بين أحضان الطبيعة فى الريف!٠٠ حيث الحرية الكاملة التى لا يفسدها قيد من قيود المجتمع ، ولا يقاس اليها كل ما فى حياة المدن من مجد ، وثراء ، وشهرة !٠٠ « ان أتفه واجبات الحيـاة الاجتماعية تفزعنى وتعذبنى : ولو كانت مجرد كلمة تقال ، أو خطاب يكتب ، أو زيارة تؤدى ، أو واجب يقضى !٠٠ »

« الصومعة » تضم الخليلة والصديقة !

◆ وتهيأت له أسباب الفرار الى الريف ، والطبيعة ، حين عرضت عليه امرأة تدعى « مدام ديبيناى » - فى سنة ١٧٥٦ - أن يعيش فى بيتها الريفى المسمى « الصومعة » ، الكائن وسط غابات (مونتمورينسى) ٠٠ فقبل العرض مرحبا ، وحل بالصومعة ذات يوم ومعه خليلته « تيريز لوفاسور » ، وكانت تعمل ساقية فى حانة حين تعرف بها - قبل عامين - فأعجبته بساطتها وأنوثتها ورقتها ، فاتخذها رفيقة لجسده وقلبه ، دون عقله ٠٠ (وقد رزق منها فيما بعد بعدة أطفال ، كان يودعهم دور الحضانة ، واحدا بعد الآخر ، الامر الذى أثار ندمه وتوبيخ ضميره فى أواخر حياته ٠٠!

فلما سافر روسو الى « صومعة » مدام‌ديبيناى فى الريف ، أخذ خليلته معه ٠٠ وهناك ثمل بخمرة الهـواء الطلق الجميل ، وخضرة الحقول ، وتغريد البلبل والكروان ، فبدأ يحلم ٠٠ ونبتت فى ذهنه البذور الاولى لقصته المشهورة « جوليا » أو « هيلويز الجديدة » !

◆ وحين فرغ من كتابة القصة قرأها على خليلته « تيريز » ، وأمها مدام لوفاسور ، فبكت المرأتان تأثرا واعجابا ٠٠ فقد جاءت القصة تحفة من تحف الادب العذرى العفيف ٠٠ لكن روسو « أصيب » على اثر ذلك بحب جديد أوقعه فى مأزق نفسانى حرج، فقد أشعل فى كيانه نار الرغبة المضطرمة التى تناقض كل

ما نادى به فى قصته تلك من طهر وعفة !٠٠ فان المرأة التى أحبها ـ وتدعى « مدام دوديتو » ـ كانت متزوجة ، وكانت فى الوقت ذاته من قريبات مضيفته مدام ديبيناى ـ صاحبة (الصومعة) ـ فقاسى روسو الامرين من عاطفته الجارفة ٠٠ اقرأ وصفه لاحدى خلواته مع تلك المرأة : « وذات ليلة خرجنا للنزهة بعد أن تناولنا العشاء معا ، فى ضوء القمر ، فخلبنا جمال الكون ٠٠ ولم أملك نفسى فارتميت عند قدمى محبوبتى ، وأغرقت ركبتها بدموعى ، وأسلت دموعها هى ، برغمها ٠٠ فذكرتنى بزوجها ٠٠ واذ ذاك تنهدت ولذت بالصمت ٠٠ واكتفيت بأن قبلتها ! وأى قبلات ؟ كانت قد انقضت عليها ستة أشهر وهى بعيدة عن زوجها ٠٠ وانقضت علينا ثلاثة أشهر كنت فيها أراها كل يوم : أنا وهى وحدنا ، والحب ثالثنا ! ٠٠ وفى تلك الليلة جلسنا فى الغابة منفردين ، لا رقيب علينا سوى ضياء القمر ٠٠ وبعد خلوة استمرت ساعتين ، وكانت من أرق الخلوات وأكثرها ارهافا للحس ٠٠ خرجت هى فى ظلام الليل من الغابة ـ ومن ذراعى ! ـ سليمة ، طاهرة الجسم والقلب، كما جاءت !٠٠ أواه أيها القارىء ٠٠ زن جميع هذه الاعتبارات واحكم ٠٠ فلن أضيف أنا اليها حرفا ! »

شيطان الغيرة !

◆ وبرغم سيطرة الطرفين على عواطفهما على هذا النحو فقد دب فى قلب صاحبة الصومعة دبيب الغيرة من قريبتها مدام دوديتو !٠٠ وذات يوم ، تلقت « تيريز » ـ خليلة روسو ـ خطابا يفضح صلة خليلها بتلك المرأة ، فصبت عليه جام غضبها وثارت فى وجهه ثورة عنيفة ٠٠ فما كان من روسو الا أن اتهم مضيفته الغيورة بارسال الخطاب ، وأغلظ لها فى القول ٠٠ ومنذ ذلك اليوم تعذر عليه أن يبقى فى الصومعة التى تملكها !٠٠ فانتقل الى مسكن آخر فى نفس الضاحية ٠٠ لكن أصدقاءه والمعجبين به من النبلاء وكبار رجال البلاط ورجال المال بدأوا يتهافتون على دعوته الى ضيافتهم ، وكان فى مقدمتهم دوق ودوقة لوكمسبرج ، الامر الذى أثار حسد زملائه من رجال الادب وحقدهم عليه ٠٠!

وتقدرون ٠٠ فتضحك الاقدار !

◆ وخلال الاربع أو الخمس سنوات التى قضاها روسو تحت جناح أولئك الكبراء ، كتب أعظم مؤلفاته : « العقد الاجتماعى » و « اميل » ـ الذى أقدم لك مقتطفات منه فى الصفحات التالية ٠٠ وكان روسو قد رسم خطته على أساس أن يكون الكتابان خاتمة انتاجه الادبي ، مقدرا انهما سوف يدران عليه نحو

ثمانية أو عشرة آلاف من الفرنكات ، يستطيع أن يحصل بها على « بوليصة » معاش دسم له ولخليلته « تيريز » مدى الحياة ‏.. وعندئذ يذهب ليعيش فى الريف، بين أحضان أمه الرؤوم « الطبيعة » ، ويكتب فى أوقات فراغه الطويلة ذكريات حياته ..

◆ لكنه وهو يرسم هذا البرنامج كان يجهل ما يخبئه له القدر !.. لم يكن يحس أو يرى العاصفة المخيفة التى تتجمع فوق رأسه، كى تقتلعه من مأواه فى غابة (مونتمورنسى) اقتلاعا ، وتطارده حتى نهاية حياته !

كان روسو قد ألب على نفسه ـ بكتاباته ـ أعداء كثيرين : « مدام لابومبادور » صديقة الملك .. ورئيس الوزراء « شوازيل » .. ومدام دى ديفان، ومدموازيل دى ليبيناس ، صاحبتى النفوذ الكبير .. ثم فلاسفة العصر الحاسدين الموتورين ، الذين رأوا فيه مارقا من مجتمعهم المنحل ، وكان على رأسهم « فولتير » !.. وغير هؤلاء من رجال الدين والقانون والبرلمان ، الذين توجسوا شرا من آراء هذا « الاجنبى الخطر » !

◆ وكانت « التكأة » التى استند اليها هؤلاء لمهاجمة روسو كتاب أصدره بعنوان « حرفة الايمان » ـ وقد جعل منه الجزء الرابع من دستوره التربوى (اميل) ـ فلم يكد الكتاب ينشر حتى أقام ضد روسو قيامة خصومه جميعا ، سواء من فريق المتعصبين للدين ، أو فريق الملحدين !.. فبعد أن كان الفريقان يهاجمان أحدهما الآخر فى كل مناسبة « كالذئاب المسعورة ! » تحالفا معا ضده وتحولا الى مهاجمة كتابه الجديد ، الذى يدعو الى التسامح والبر والاخاء !

ولم يدرك روسو الخطر المحدق به ، فى الوقت المناسب .. كان ما يزال منتشيا بالمتعة التى استغرقته وهو يكتب (اميل) ، فى قصره الصغير الساحر الذى استضافه فيه دوق لوكسمبرج ، تحيط به جداول الماء المنسابة كثعابين من الفضة ، وسط الطبيعة الساكنة ، وتؤنس وحدته خليلته « تيريز » .. وقطته.. وكلبه !.. وهكذا لم يبلغ أذنيه الضجيج المدوى الذى تتجاوب به الآفاق خارج حدود غابة (مونتمورنسى) ..

جنون الاضطهاد !

◆ فلما أحس بذلك الضجيج أخيرا سقط فجأة من عليائه وفقد اتزانه العقلى .. فراح يتوهم الخطر فى كل اتجاه ـ حيث لا خطر على الاطلاق ! ـ وينسب لهذه الجهة وتلك انها تتربص له وتلاحقه بالاضطهاد !.. وأصيب على الاثر بأول نوبة خطيرة من نوبات « جنون الشعور بالاضطهاد » الذى لازمه بعد ذلك حتى نهاية حياته !.. واقترنت اصابته النفسية أو العصبية هذه باصابة

أخرى عضوية ، بنوبة عنيفة من مرض الكلى .. الذى دفعته آلامه الى التفكير أكثر من مرة فى الانتحار !

◆ وفى غمرة هذه المحنة « الصحية » وقع عليه قرار برلمان باريس وقع الصاعقة : فقبل انقضاء عشرين يوما على نشر كتاب (اميل) فى هولندا ، وقبل أن تتسع الفرصة لتوزيعه فى فرنسا ، استصدر أعداء روسو من البرلمان قرارا بحرق نسخ الكتاب جميعا ، وبالقاء القبض على مؤلفه !.. فلم يمض يومان حتى نفذ القرار - فى ١١ يونيو سنة ١٧٦٢ - فاحتفل باحراق نسخ الكتاب علنا عند قاعدة سلم (قصر العدالة) .. ونادى البعض بوجوب احراق مؤلفه أيضـــا !

وخشى حماة روسو من النبلاء أن يزج بأسمائهم ، فيما لو قبض عليه ، فناشدوه أن يلوذ بالفرار .. ونفذ الفكرة - آسفا - فى نفس اليوم !.. فلما وصل الى الحدود السويسرية آمنا ، انحنى فقبل « أرض الحرية » فى انفعال وتأثر شديدين !

عواصم أوربا تتسابق الى حرق الكتاب!

◆ لكن حسن ظنه فى « الحرية السويسرية » لم يلبث أن خاب بدوره .. فقد لاحقه خصومه بحملاتهم ، فلم تمض تسعة أيام على احراق (اميل) فى باريس حتى أحرقته جنيف !.. ثم تبعتها « برن » ، فنيوشاتل !.. وتجاوبت أوربا بأسرها بصيحة واحدة من صيحات السخط واللعنة ، لم تشهد لها من قبل مثيلا ! رمته بتهم بشعة منوعة : بأنه خائن ، وملحد ، ومخبول ، ووحش كاسر ، وذئب مفترس .. الخ .. حتى اعتقد المسكين ان العالم كله قد أصيب بمس من الجنون !

◆ وازدادت على روسو وطأة الشعور بالاضطهاد .. تراءى له ان الدنيا بأسرها قد تحالفت ضده ، وصور له وهمه خيوط مؤامرة « دولية » دبرتها قوة مجهولة لتعذيبه والنيل منه !.. فلجأ الى حمى ملك بروسيا ، فردريك الثانى ، حيث أقام فى احدى ضواحى نيوشاتل مدة عامين ونصف .. فلما بدا أن أعداءه قد نسيوه ، جدد المعركة معهم باصدار كتاب « رسائل من الجبل » - فى يونيو سنة ١٧٦٤ - وقد حارب فيه عدويه الرئيسيين : الكنيسة الكاثوليكية ، ودولة جنيف !.. لكن ذلك ألب عليه رجال الدين جميعا ، فحرم من ممارسة فرائضه الدينية ، ثم ثار عليه الناس من جميع الطبقات .. صارت الاحجار تلقى عليه كلما خرج الى الحقول .. بل هدد باطلاق النار عليه !

◆ وفى سبتمبر سنة ١٧٦٥ هاجم بعضهم منزله تحت جنح الظلام ، فاضطر

الى الفرار دون ابطاء ٠٠ الى جزيرة (سانت بيير) ، حيث أقام شهرا واحدا ، طالبته حكومة (برن) فى نهايته بالرحيل ٠٠ فاضطر الى الفرار مرة أخرى من سويسرا ٠٠ الى باريس ، التى لم يكن مسموحا له بالاقامة فيها ، ومنها عبر البحر الى انجلترا ،بدعوة من المؤرخ الانجليزى دافيد هيوم ٠٠

◆ لكن برود الاخير الساخر ، واتصالاته بأعداء روسو من كبار الفرنسيين والانجليز ، أثارت شكوك الاديب المضطهد فى نواياه ٠٠ وفى نوبة من نوبات ذعره فر المسكين من انجلترا ـ فى مايو سنة ١٧٦٧ ـ مارا بفرنسا مرورا عابرا ، ومنها راح يتنقل على غير هدى من مكان الى مكان ، كوحش يطارده قناصوه !٠٠ وفكر فى الفرار الى أمريكا ، أو الى جزيرة قبرص ، أو اى ركن منزو من أركان بلاد اليونان ٠٠ وطيلة تلك الفترة التعسة بلغ به جنون الاضطهاد أقصى حدته ، فكان يختم كل خطاب يكتبه الى أى انسان بهذه الصرخة الملتاعة : « انى برىء ! »

◆ وأخيرا سمح له بالعودة الى باريس ، فأقام فى مسكن متواضع بشارع (بلاتريير) ، وصار يكسب عيشه من نسخ النوتات الموسيقية للملحنين بالاجر٠٠ وكان قد كتب « اعترافاته » ، وقرأ بعض صفحاتها المتطرفة على نفر من أصدقائه، فوشوا به لدى السلطات كى تمنعه من مواصلة قراءاته العلنية ، خشية أن يلحق بهم ظل من المسؤولية ، بسبب الاستماع اليه ! وكان فى مقدمة الواشين مضيفته القديمة مدام ديبيناى ، صاحبة الصومعة !٠٠ فبات يعتقد أن العالم بأسره يتجسس عليه ويتآمر ضده ٠٠ وانه وحيد وسط مجتمع كله أعداء ٠٠ « وحيد فى باريس الزاخرة ، وحدة أقسى وأمر من وحدة روبنسن كروزو فى جزيرته المهجورة ! » ٠٠

على عتبة الجنون ٠٠!

◆ وفى نوبة يأسه من أن يستمع الى صرخاته الملتاعة انسان ، استدار ينشد معونة الله ، فكتب شكوى متهوسة مرفوعة « اليه » ، وقرر أن يسلمها اليه « مباشرة » بوضعها فوق مذبح كنيسة (نوتردام) !٠٠ لكنه وجد باب المذبح مغلقا ، على خلاف العادة ٠٠ فكانت الصدمة القاضية !٠٠ خيل اليه أن الله ذاته قد أشاح بدوره عنه !

◆ ومنذ ذلك التاريخ لم يرتد الى روسو عقله الكامل ٠٠ وقد بدا اختلاله واضحا فى آخر انتاج أدبى له : « أحلام متنزه وحيد » ـ وقد بدأه فى خريف سنة ١٧٧٦ ولم يتمه حتى مات ـ لكن جنونه كان جنونا هادئا ، رقيقا ، حزينا ، لا يتعدى نطاق مخيلته ٠٠ جنونا كان يشعر منه كأنه فى كابوس ، يود لو أفاق منه ٠٠!

ورغم ذلك فان فنه لم يفقد شيئا من مميزاته ، بل لعله ازداد نقاء !٠٠ حتى كتابه ذاك الاخير جاء أشبه بانشودة جميلة لكروان وحيـد فى سكون الغابة !٠٠ انشودة اجتر فيها ذكريات أيامه السعيدة المعدودة التى عاشها فى أحضان الطبيعة : يتملى من جمال الحقول ، والماء ، والغابات ، والوحدة ٠٠ وفوق كل شيء : السكون ، والراحة !

وفى الشهر الاخير من حياته ، كان من حسن حظه أن قيض الله له رجلا ثريا نقله من مسكنه المتواضع ، يوم ٢٠ مايو سنة ١٧٧٨ ، الى ضاحية جميلة على بعد تسعة أميال من باريس ٠٠ وهناك استمتع روسو استمتاعـا كاملا بذلك الفردوس المسترد ٠٠ حتى لقد تحسنت صحته ، وفى نهاية يونيو سمعه زائر انجليزى يعزف على البيانو لحنا من ألحان أوبرا عطيل ٠٠!

وفجأة ٠٠ فى صباح الخميس ٢ يوليو سـنة ١٧٧٨ أصيب بنزيف فى المخ ٠٠ قضى عليه !

يمجدونه ٠٠ بعد موته !

◆ لكن التعس الذى مات وهو يحس انه منبوذ « وحيد على الارض ! » ، لم يعلم انه قد غزا الحاضر والمستقبل ، وكفل لاسمه الخلود الابدى !٠٠ ومنذ سنة ١٧٨٠ صار نصف فرنسا يحج الى جزيرة « بوبلييه » حيث دفنت اشلاء راهب الفكر المجنون ، وكانت على رأس الحجاج ملكة فرنسا وجميع أمرائها !٠٠ وعبثا حاولت أحقاد حاسديه من الفلاسفة ، وهجماتهم العنيفة الخبيثة ، أن تدمر سمعته، أو تؤثر فى حب الناس للمفكر الذى ظل وفيا لمبادئه حتى آخر نسمة ، فعاش معيشة رجل شعبى ريفى ــ على العكس من خصمه « فولتير » الذى كان قد مات قبله بنحو شهر واحد (فى ٣١ مايو سنة ١٧٧٨) ٠

وحين شبت الثورة الفرنسية مجد زعماؤها ذكراه فى كل مناسبة ، ونقلوا جثمانه الى مقبرة العظماء « البانثيون » ٠٠ ثم وقف روبسبيير ذات يوم فخلع عليه تاجا من أوراق البلوط ، رمزا لمكانته السامية « كمعلم للجنس البشرى »٠٠ وفى قاعة الجمعية التأسيسية وضع تمثال نصفى له فى مواجهة تمثالى زعيمى الحرية : واشنجتون وفرانكلن ٠٠

فلاسفة العالم وأدباؤه ٠٠ تلاميذه !

◆ على أن تأثير روسو قد جاوز السياسة الى الادب والفلسفة ، فتتلمذ على انتاجه فيهما أعظم فلاسفة ألمانيا وأدبائها ، ومنهم « كانت » و « هيجيل » و « جوته » و « شيللر » وغيرهم ٠٠ فقد أحدثت كتاباته ثورة فى مشاعر الناس،

وفى أسلوب التعبير عن تلك المشاعر !٠٠ كان روسو عدة فنانين فى واحد : كان فى كتاباته « خطيبا » قويا من الطراز الاول ، فى بلاغة وتألق « ديموستين » !٠٠ وكان فى الوقت ذاته أستاذا فى « التفكير بصوت مسموع » أو فن كتابة الخواطر والاعترافات التى تنفذ الى أعماق النفس ٠٠ كان وهو يكتب انما يتحدث عن نفسه دائما ٠٠ ولم يكن يسأم قط مراقبة هذه النفس ، وتسجيل أحوالها فيما يكتب ٠٠ وبافصاحه عن خفاياها وبواطنها على هذا النحو ، دون ما خجل أو تورع ، كشف وعرض على النـــاس ما كان آلاف منهم يحسونه ويكبتونه فى أعماقهم ، مضطرين !٠٠ فهو قد حرر النفس العصرية من قيودها ، وعلمها كيف تحطم أغلالها ٠٠ كيف تعرف ما تحس ، وتعبر عنه ٠٠٠

وفى سبيل التعبير عن هذه الآفاق الجديدة ، خلق روسو لغة جديدة، تراعى موسيقى الالفاظ قبل أن تراعى قواعد النحو الجامدة !٠٠ كانت كتاباته أشبه بالشعر المنثور ٠٠ وقد تتلمذ عليه فى هـــذا الباب كل من « شاتوبريان » و « لامرتين » و « جورج صاند » وغيرهم ٠٠

فضله على « فرويد » و « تولستوى »

◆ بل لقد كان روسو أحد الموحين لفرويد بنظرياته فى علم النفس والتحليل النفسى ، فانه فتح للادب أبواب العقل الباطن وأوضح تأثيراته ، التى كانت من قبل مجهولة أو مكبوتة ٠٠!

ومن روسو استمد « تولستوى » فى شبابه شعلة الهامه الادبى ، حتى لقد كان يضع حول رقبته على الدوام أيقونة تحمل صورة روسو ، وكأنها صورة قديس !٠٠ وحين نهض تولستوى بحركة الاصلاح الخلقى وافتتح من أجلها مدرسة فى مسقط رأسه ، جعل تعاليم جان جاك روسو ومثله التربوية التى رسمها فى كتابه (اميل) ، أساسا لبرنامج التعليم والتهذيب فى المدرسة ٠٠ وقد عاش حتى آخر أيامه يشيد به ويمجده ٠ والواقع أن التشابه الصارخ بينهما فى آرائهما ، سواء فى الفن أو الدين ، أمر يلفت النظر ٠٠ ويقول فيه تولستوى : « لشد ما تمس كتابات روسو قلبى ٠٠ حتى ليخيل الى انى أنا كاتبها ! » ٠٠ ولقد أعاد تولستوى كتابتها فعلا ، بأسلوب آخر ، فاستحق أن يلقب « جان جاك روسو القرن التاسع عشر » !

لكن تأثير روسو على الادب والتربية والفكر الحديث لم يقتصر على بلاد الغرب ، بل جاوزها الى بلاد الشرق الناهضة ، فقد طبقت « اليابان » و « الصين » الفتيتان تعاليمه فى مدارسهما ومؤسساتهما التربوية ٠٠

كتابه هــذا ..

◆ وقد وضع روسو كتاب « اميل » ـ الذى أقدم لك « مقتطفات » منه فى الصفحات التالية ـ سنة ١٧٦٢ ، تلبية لرجاء أم سألته أن يرشدها الى الاسس التى ينبغى أن تتبعها فى تربية طفلها ، فأوحى اليه هذا الاقتراح بفكرة اخراج هذا الكتاب ، وقد تصور فيه نفسه مربيا خاصا لصبى خلقه خياله وأطلق عليه اسم « اميل » ـ مدفوعا بعاطفته الابوية الموءودة نحو أبنائه الذين رزقهم ، ثم فقدهم جميعا ، منذ أودعهم دور الحضانة ! ـ وقد أورد فى الكتاب آراءه وخواطره بشأن طريقة تربية الصبى واعداد مداركه لتعلم مبادىء الاخلاق وعلوم الطبيعة والميكانيكا وفلاحة الارض .. وغيرها من الخطوات التمهيدية لمختلف أبواب المعارف العامة .. فكان ذلك الكتاب الاساس الذى بنى عليه أساتذة التربية الحديثة العالميين : « بيزدو » و « بيستالوزى » و « فروبل » المبادىء المفصلة للتربية العصرية فى مراحل الدراسة الاولية والابتدائية .. التى هى فى الواقع أهم مراحل الدراسة عموما من حيث تأثيرها على عقلية الصبى ونفسيته طيلة حياته ..!

والآن ، تعال معى نقلب صفحات كتاب « اميل » :

فلنعتز بانسانيتنا !

◆ لا يهمنى ان كان تلميذى قد أعد ليكون من رجال القانون أو الدين ، أو الجيش .. الخ .. فقبل ان يختار له والداه مهنته اختارت له الطبيعة مهنته وحرفته الاولى : ان يكون انسانا .. ومن ثم ينبغى أن يكون هدف التربية المثلى أن ينبغ كل فرد فى هذه «المهنة» ، مهنةالانسانية .. التى يتساوى الناس جميعا فى نصيبهم من « بذرتها » الاولى ..

◆ فالعلم الاول الذى ألقنه لتلميذى هو .. الحياة ! والحياة ليست أنفاسا ، بل حركة ، وحسن استخدام لحواسنا .. وعقلنا .. ومواهبنا .. وكل جزء منا يساعدنا على ادراك وجودنا ... **فما تقاس الحياة بطول الايام بقدر ما تقاس بحدة احساس الحى بأنه حى .. !**

الانسان عبد !

◆ والانسان المتمدين يولد ويموت عبدا .. فهو فى طفولته عبد ثيابه الضيقة الخانقة .. وهو بعد وفاته سجين نعشه الضيق .. وطيلة حياته يكون رهين قيود مجتمعنا ونظمه الصارمة ..

◆ ولو تأملنا الطبيعة وتتبعنا طريقها المرسوم ، لوجدناها تشغل الطفل بألف شاغل وشاغل يستنفد نشاطه وطاقته .. وتزرع فى حياته جميع صـــنوف المتاعب ، فتعلمه معنى الالم والحزن ، وتعوده على المصاعب التى لن يلبث أن يواجهها فى حياته المستقبلة ..

◆ **«وشقاوة» الطفل مبعثها ضعفه ، والضعف أساس جميع الشرور .. فاعمل على تقوية طفلك يصبح طيبا خيرا ! .. ونحن لو استطعنا أن نفعل كل شيء ، لما فعلنا قط شيئا رديئا !** .. وبين جميع سجايا «الخالق» ـ القادر على كل شيء ـ تعتبر « الطيبة » ألصقها به ، وأكثرها ثباتا وتأصلا فى الصـــورة التى نتخيلها عنه !

اللعب بالنار .. !

◆ وأنا لن أحاول منع تلميذى (اميل) من أن يـؤذى نفسه، أثناء لعب أو لهو .. بل انى ـ على العكس ـ أحس بالضـــيق والحنق اذا لم يؤذ نفسه قط ، لان ذلك يجعله يشب غريبا عن الالم ، والالم غريبا عنه ، لم يألف كلاهما صاحبه .. فى حين ان احتمال الالم والتمرس به هو الدرس الاول والانفع الذى ينبغى أن يتعلمه ..

فبدلا من أن تحتفظ بطفلك محبوسا فى حجرة خانقة ، خذه الى الخلاء كل يوم ٠٠ دعه يجرى هناوهناك ، ويسقط وينهض ، ويسقط مرة أخرى ٠٠ فكلما كثرت سقطاته اقترب اليوم الذى يتعلم فيه كيف ينهض من سقطته ، ثم كيف يتجنبها ٠٠!



لا تمنعه من اللعب بالنار ٠٠!

الضعف ٠٠ أمر نسبى

◆ ماذا نعنى حين نقول ان «ان الانسان ضعيف»؟ ٠٠ ان لفظ «ضعيف» يتوقف فى معناه ودلالته على المخلوق الذى يوصف به ٠٠ **فالحشرة أو الدودة التى تفوق قوتها حاجاتها تعتبر « قوية » ٠٠ والفيل أو الاسد ، أو القائد الفاتح ، أو البطل ، أو حتى الاله الذى تفوق حاجته قوته ٠٠ ضعيف !**

والانسان الحر حقا هو الذى يشتهى ما يستطيع ان يفعله ، ويفعل ما يشتهيه ٠ هذا هو مبدئى الاساسى ، فلتطبقه على طفلك ، ويومئذ تجد ان جميع قواعد التربية تنبع منه ٠

علم طفلك ان لا يعتمد على أحد من البشر ، بل يعتمد على « الاشياء » فقط ، عند الضرورة ٠٠ دع رغباته تصطدم بالعقبات المادية أو الجسمية وحدها ، أو بالعقاب الذي يجازي

به عن افعاله الخاصة ٠٠ حتى اذا ماتكررت الظروف مرة اخرى، ذكر الدرس الذى تلقاه فى أول مرة ٠٠ !

الوقاية ٠٠ أو العلاج !

◆ وليكن رائدك ان تحول بينه وبين ارتكاب الخطأ او الشر، لا أن تحرم عليه ارتكابه أو تنهاه عنه ٠٠ حتى تأخذ « التجربة » مكان « القانون » فى اقصائه عما لا ينبغى ٠٠

◆ ويجب ان لايحصل طفلك على مايطلبه ، بل على مايحتاج اليه ٠٠ وان لا يتصرف قط بدافع الطاعة العمياء وانما بدافع الضرورة ٠٠

ولتستبعد من قاموسه كلمات « الطاعة » ، و « الامر » ، و «الواجب» ، و « الالتزام » ٠٠ وبهذه الطريقة يشب صبورا ، هادئا ، محبا للنظام ٠٠ و «مطيعا» سهل القياد ٠٠ دون أن تطالبه بالطاعة كواجب كريه تفرضه عليه !٠٠ وسوف تجده كذلك حتى حين لايحصل على كل مايريد ٠٠ فان من طبيعة الانسان ان يذعن فى صبر لماتفرضه عليه طبائع الاشياء وليس لماتفرضه عليه ارادة سواه من البشر !

الخير هو المتأصل فى الانسان ٠٠ لا الشر !

◆ ولتضع نصب عينيك قاعدة لا شك فيها ، هى ان النزعات الاولى التى توحى بها الطبيعة للانسان ، هى الصواب دائما ٠٠ فليس فى القلب البشرى خطيئة متأصلة ٠٠ وانما كل خطيئة أو شر من الشرور يمكن تتبع سببه أو منبعه الخارجي ٠٠

◆ ومن هنا وجب أن تكون التربية التى تلقن للطفـل فى السنوات الاولى من عمره سلبية محضة ، لا تنطوى على تعليمه الفضيلة أو الصدق ، بل تنطوى على حماية قلبه ونفسـه من الرذيلة والشرور ! ٠٠ أو بعبارة أخرى : لا تكلف نفسك مشقة زرع الخير فى نفسـه ، فالخير متأصل فيه بطبعه وخلقته ، وانما اقصر همك على وقاية نفسه الطاهرة من الشرور التى تأتيه من الخارج !

◆ والدرس الاخلاقى الوحيد الذى ينبغى أن يلقن للطفـل تلقينا ، بل يلقن لكل انسان ، فى كل مرحلة من مراحل العمر ٠٠ هو هذا : « لا تؤذ أحدا قط ! » ٠٠ فان عمل الخير نفسه اذا لم يخضع لهذا الدرس ، يكون خيرا زائفا ، متناقضا ، بل خطرا ٠٠

٠٠ وهل هناك انسان لا يفعل خيرا على الاطلاق ؟ كلا ، فكل انسان يفعل بعض الخير : الشرير والطيب على السواء ٠٠ لكن هذا الخير الذى يفعله هذا أو ذاك قد يسعد انسـانا على حساب شقاء مائة شخص غيره ٠٠ ومن هنا تنبع كل الشرور !

انتقاء المعلومات التى تلقن ٠٠

◆ والمعلومات التى تلقنها لابنك يجب أن تنتقى بعناية ٠٠ فان الذكاء البشرى محدود ، وما من انسان يستطيع أن يجمع فى رأسه كل المعلومات التى فى الوجود ، بل ما من انسان يمكنه حتى أن يلم بجميع المعلومات المتناثرة فى رؤوس الآخرين !٠٠ وما دام كل رأى زائف تقابله حقيقة صحيحة ، فهنـاك اذن حقائق لا عدد لها ، بقدر ما هنالك من آراء زائفة وأباطيل ! ٠٠

واذن فينبغى ان نعنى بانتقـــاء مانعلمـــه للنش • وأول ما يلزم فى هذا الباب كل ما يتصل باسعاد الانسان فى الحياة وكفالة خيره ورفاهيته • والمعلومات التى تدور حول هـــذا الموضوع وحده هى من السعة والتشعب بحيث تستحـــق من الرجل الحكيم أن يدرسها دراسة مستفيضة •• ومن ثم ينبغى أن تلقن للصبى الذى نريده أن يشب رجلا حكيما •• ينبغى أن يعلم من الحقائق ، لاماهو «كائن» فحسب ، بل ماهو «نافع» ••!

◆ فلتضع نصب عينيك دائما هذه الحقيقة : ان الجهل لا يضر ، بقدر ما يضر الخطأ •• ونحن لا نضل طريقنـــا بسبب الجهل ، بقدر ما نضله بسبب افراطنا فى الثقة بأنفسنا •• فلنستمد آراءنا من احساساتنا ، فهى أصدق سبيل الى تكوين الآراء الصائبة ! •• لتكن حواسنا دليلنا الوحيد الى مداركنا الاولية •• فليس ثمة كتاب أصدق من الطبيعة ، ولا دراسة أنفع من الحقائق !•• فلتعلم تلميذك أن يلاحظ بنفسه ظواهر الطبيعة ، فاذا رأى نباتا ينمو ، فلا تتعجل فى ارضاء فضوله الى معرفة أسرار نموه •• لا تدعه يعرف شيئا لانك ذكرته له ، بل لانه قد تعلمه من تلقاء نفسه ••

فلو استبدلت سلطانك عليه بسلطان عقله فسوف يجىء اليوم الذى يكف فيه عقله عن التفكير ويصبح مجـرد دمية او ببغاء تتشدق بآراء الاخرين !

لاتصلح له اخطاءه !

◆ واذا اخطأ ابنك ، اوتلميذك ، فلا تصلح له أخطاءه ، بل دعه وشأنه وامسك لســـانك حتى يكتشفها هو بنفســـه فيصلحها !•• أوفليكن اقصي ماتفعله له ان تنتهز اول فرصـة

تسنح فتهيىء له المناسبة التى تمكنه من اكتشاف اخطائه بنفسه ٠٠ فهو اذالم يخطىء لن يتعلم ٠٠!

ذلك هو المبدأ الرئيسى فى طريقتى : لاتتخم ذهنى الصبى بأشياء ومعلومات كثيرة ، بل اكتف بالضرورى منها ، ولكن احذر من ان تدعه يكون آراء مشوشة مضطربة اوغير محدودة ٠٠ فأنا لايضيرنى ان يجهل كل شىء عن موضوع بعينه ، فهذا خير من ان يخطىء فيه ، ولست ارمى من تزويده بالحقائق الا الى حمايته من الاخطاء التى قد يطمسها بها ٠٠

التعليم الذاتى أجدى !

◆ وليس من شأنك ان تعلم الصبى العلوم المختلفة جميعا ، بل ان تزوده بطريقة تذوقها ووسائل دراستها حين تنضج مداركه ٠٠ فذلك مبدأ اساسى لكل تربية سليمة ٠ ولاشك ان الافكار والآراء التى يكتسبها المرء ويتعلمها بنفسه تكون اكثر رسوخا فى الذهن ووضوحا فى الفهم من تلك التى يلقنه اياها الآخرون ٠٠ فان الانسان بطبعه يجد متعة اعظم فى اكتشاف الاشياء بمجهوده الشخصى ، فضلا عن ان عقولنا تتمرد عادة على الخضوع الاعمى لسلطان الآراء التى تفرض عليها فرضا ٠٠!

واذن فمعلمونا الحقيقيون هم : التجارب ، والعواطف ، والانفعالات ٠٠ والانسان لايتعلم ماينا سبه شخصيا الا فى ظل ظروفه الخاصة ٠٠

◆ وفى اليوم الذى نستطيع فيه أن نجعل تلميذنا يهضم معنى كلمة « نافع » نكون قد توصلنا الى وسيلة اضافية جديدة نسيطر بها عليه ٠٠ فانه ينبغى ان يكون هذا السؤال :

« مافائدة هذا الشيء ، أو نفعه ؟» هو الشعار المقدس الذى يمتحن به كل من التلميذ والمعلم كل تصرف من تصرفاته فى الحياة ٠٠!

فليكن المربى قدوة لتلميذه ٠٠!

◆ ويخطىء المربى الذى يعتمد فى تربية تلميذه على الالفاظ ، أكثر من اللازم ، فنحن نغالى فى الثرثرة ، وفى الايضاحات اللفظية ، مع ان الصبية والشباب يقتدون بأفعالنا لا بأقوالنا ، فهم يحذون حذونا ويقتدون بنا ، لكنهم لايلقون بالا الى كلامنا أو يتذكرونه طويلا ٠٠

◆ **وانا أمقت الالتجاء الى الكتب فى تعليم تلميذى ٠٠ فهى تعلمنا ان نتحدث عن اشياء لانعرف شيئا عنها فى الواقع ٠٠ ولو سألتنى عن احسن كتاب يعلم التلميذ الحياة على طبيعتها ، كما خلقها الله لنا ، لاجبتك انه ليس كتابا من مؤلفات ارسطو، أو أمثاله من الفلاسفة ٠٠ وانما هو كتاب «روبنسن كروزو »!**
٠٠ فهو يصور كيف يعيش الانسان على الفطرة ، وحيدا فى جزيرة ليس فيها من المخلوقات غير الحيوان والنبات ، دون البشر !٠٠ وهى ترينا كيف يغالب الانسان عناصر الطبيعة ، ويروضها ، ويسخرها لخدمته ومنفعته ٠٠ الامر الذى يفتح امام الناشىء آفاق التفكير فى الصناعة والاختراع ٠٠ الخ

◆ وينبغى ان يكون هدفك الرئيسى فى تربية تلميذك ان تبعد عن افقه كل تفكير فى العلاقات الاجتماعية التى يعجز عن فهمها ٠٠ ولكن حين تضطرك الظروف ، وتطورات معلوماته ، الى ان تشرح له كيفية اعتماد البشر على بعضهم البعض ، وتعاونهم فى شتى نواحى الحياة ، فلا تركز همك فى ان تظهر له

الناحية الخلقية أوالمعنوية من نواحى ذلك التعاون ، بل يحسن ان تبدأ بتوجيه نظره اولا الى فائدة التعاون من حيث تنمية الصناعات والفنون الميكانيكية التى تجعل الانسان « نافعا » لاخوته فى الانسانية ٠٠!

نظرة الناس ٠٠ والقيم الحقيقية للاشياء !

◆ والملاحظ ان نظرة الناس المألوفة الى الفنون المختلفة ، من حيث ترتيب افضليتها واهميتها ، تضع الفنون العقيمة فى رأس القائمة ، والفنون النافعة فى ذيلها ، وهكذا !٠٠ **وانت تخطىء اذا جعلت تلميذك ينشأ على اعتناق هذه النظريات السخيفة ، أولو شاركته فى تطبيقها ، كأن يراك مثلا تظهر للجواهرى فى متجره الفاخر احتراما يفوق الاحترام الذى تظهره للحداد او لصانع الاقفال فى حانوته المتواضع !٠٠** فان النتيجة الطبيعية لذلك المسلك ان يشب الصبى وقد رسخت فى ذهنه فكرة خاطئة عن قيم الاشياء ، تجعله يحترم الاشياء الباهظة التكاليف ، التافهة القيمة ، ويضن باحترامه على الاشياء الزهيدة الثمن ، ولو كانت عظيمة النفع !٠٠ وفى اللحظة التى ترسب فيها هذه النظرة فى وعى الناشىء تكون كل جهودك فى سبيل تربيته تربية قويمة سليمة ، قد ضاعت سدى !٠٠

◆ **والخلاصة انه كلما كان الفن نافعا وضروريا ، كلما وجب ان يحترمه الانسان ويقدره حق قدره ٠٠ وانا اضع فى رأس قائمة الفنون النافعة ، ذلك الفن الذى هو اقدمها جميعا : فن الزراعة !٠٠ ثم يليه فن التعدين والصناعات المعدنية ٠٠ ثم فن النجارة ، وهكذا ٠٠** وينبغى ان يلقن التلميذ ان ينظر

اليها بنفس هذا الترتيب ، لاان تفسد نظرته الافكار السخيفة الخاطئة ٠٠ وفى هذا المجال يستطيع تلميذى « اميل » ان يتلقى الكثير من المعلومات النافعة من «روبنسن كروزو » ٠٠

العاطل عن العمل ٠٠ لص !

◆ وليكن المبدأ الذى تضعه نصب عينى تلميذك ، ان «كل انسان يجب ان يعيش » ولكن دون المساس بحقوق الآخرين ٠٠ **فلئن كان الشخص الذى يعيش فى عزلة ، خارج نطاق المجتمع، يستطيع ان يفعل مايحلو له ، ولايكون مدينا لاى انسان بأى شيء !٠٠ فان الذى يعيش فى المجتمع يكون ملزما بأن لايعيش على حساب الآخرين ، اى ان يؤدى للمجتمع عملا يساوى قيمة الرعاية التى يلقاها منه ٠٠ فالانسان فى المجتمع مكلف بأن يعمل ٠٠ وكل من يحجم عن العمل هو بمثابة لص ، يعيش عالة على المجتمع !**

◆ ولابد من ان أعلم تلميذى « اميل » حرفة من الحرف ٠٠ وانت قد تعلق على هذا بقولك : « لابد ان تختار له حرفة شريفة !» ٠٠ ولكن ، ماذا تعنى بربك بكلمة «شريفة » ؟ ٠٠ او ليست كل حرفة نافعة ٠٠ شريفة ؟ انى لن اجعل منه مطرزا ، أو رجلا يحترف التوشية بالذهب ، أو تلميع الاشياء ـ مثل تلميذ الفيلسوف (لوك) ـ كما لن اجعله يصير موسيقيا ، أو ممثلا ، أو مؤلفا ٠٠ وانما انا افضل ان يكون اسكافا ، عن ان يكون شاعرا ٠٠ وأوثر له ان يصير كناسا للشوارع ، ولا يصير نقاشا يرسم الازهار على الاوانى الخزفية !

وانت قد تقاطعنى بقولك : « لكن حرف رجال البوليس والجواسيس ، والجلادين الموكلين بالمشانق ٠٠ كلها حرف

نافعة ٠٠ فهل تريد لتلميذك ان يصير واحدا منهم ؟»

وأنا اجيبك بأن المجتمع السليم ينبغي ان لايكون فيه لزوم لواحد من هؤلاء !

تثقيف القلب ٠٠ بعد العقل !

◆ والآن ، وقد جعلنا من «اميل» رجلا عاقلا ، ومفكرا ٠٠ فقد بقى علينا ان نجعل منه انسانا محبا رقيق القلب ، يكمل مداركه بمشاعره ٠٠ ولكن قبل ان ننتقل الى هذا الطور الجديد من اطوار تربيته ، لنلق نظرة على المرحلة السابقة التى تخطيناها ، كى نتبين اين نقف ، والى اين قد وصلنا :

ان اميل يعرف الآن القليل من المعارف ، لكن مايعرفه قد تعلمه بنفسه ، فهو يخصه دون سواه ٠٠ وهو لايطوى عقله على معلومات ناقصة ، فالاشياء القليلة التى يعرفها ، يعرفها حق المعرفة ٠٠ والمبدأ الهام الذى يجب ان يرسخ فى ذهنه فى هذا الصدد انهناك اشياء كثيرة لايعرفها اليوم ، لكنه قديعرفها يوما ما ٠٠ واشياء كثيرة غيرها يعرفها غيره من الناس ، لكنه هو لن يعرفها قط !٠٠ واخيرا هناك اشياء لاحصر لها لن يعرفها هو ولا غيره من الناس أبد الدهر !

يحب الحق ٠٠ فوق كل شىء !

◆ وهو واسع الافق رحب التفكير ، لا عن طريق المعلومات والمعارف التى تلقاها ، وانما عن طريق قدرته على اكتسابها فى الوقت المناسب !٠٠ وهو ذكى ، صريح ، متأهب لكل احتمال ٠٠ ويكفينى منه ان يعرف «اسباب» عقائده ، و « مقاصد » تصرفاته ٠٠ **فان هدفى فى تربيته ليس حشو رأسه بجميع المعارف الممكنة ، بل تعليمه طريقة الاهتداء اليها**

فى أوانها ، فى الوقت الذى يحتاج فيه اليها ٠٠ والهـــدف الثانى ان أعلمه كيف يزن تلك المعارف ويقدرها بقيمتها الحقيقية التى تستحقها ٠٠ واخيرا : ان يحب الحق فوق كل شىء !

◆ و «اميـــل» شاب مجتهد ، عفيف ، صبور ، متزن وشجاع ٠٠ فانه لماكان خياله مايزال «نائما» فانه لايعـرف التصورات والافكار المبالغ فيها عن المخاوف والاخطار ٠٠!

وهو يعرف كيف يحتمل ـ صابرا ـ الامراض القليـــلة التى تصيبه ، لانه لم يتعلم كيف يتمرد ويثور على الاقدار !٠٠ اما الموت فهو لايعـــرف حتى معناه ٠٠ لكنه ، بحكم اعتيـــاده الخضوع دون مقاومة لقانون الضرورة ، سوف يموت يوما ـ اذا لم يكن من الموت بد ـ دون انين ، ودون نضال ٠ وهـــذا اقصى مانستطيع ان نطلبه من الطبيعة فى تلك الساعة التى نشـــفق جميعا منها !٠٠ فالطريقة المثالية لان نتعلم كيف نموت ، هى ان نعيش أحرارا ، متحررين من التعلق بعروض الحياة ٠٠ وشئون البشر التافهة ٠٠

فهل تعتقد ان السنوات الباكرة من عمر الغلام الذى بلغ عامه الخامس عشر فى ظل هذه العقلية ، قدضاعت سدى ؟!

مقاومة العواطف ٠٠ تشويه لعمل الله !

◆ وعواطفنا هى الوسيلة الرئيسية للمحافظة عـلى الذات ، ومن ثم فمحاولة تدميرها والقضاء عليها انماهى محاولة سخيفة وعقيمة معا ، فان معناها مقاومة الطبيعة ، وتشويه عمل الله !٠٠ وانا اعتبر أولئك الذين يحولون دون مولد العواطف من بادىء الامر ، فى حمق الذين يقضون عليها بعد ان تولد ٠٠!

◆ وقد يقول قائل : اذا صح ان العواطف مشاعر طبيعيـــة

بالنسبة للانسان ، فهل معنى ذلك ان جميع العـــواطف التى نحسها فى انفسنا اونلمسها فى غيرنا ، طبيعية ؟٠٠ حتى ولو كانت عواطف مدمرة ؟

◆ **والجواب ان العواطف المدمرة التى تأسرنا وتفسد حياتنا لها مصدر آخر غير الطبيعة ، فليست الطبيعة هى التى تولدها فينا ، وانما نحن الذين نتشبث بها « برغم » الطبيعة !**

◆ ولتعلم تلميذك ان الانسان بطبعه طيب ، محب للخير٠٠ وان المجتمع هو المسئول عن فساد خلقــه وانحطاطه ٠٠ وليس معنى قولى بتربية الانسان فى احضان الطبيعـــة انى اريد ان اجعل منه شخصا بدائيا او وحشا يعيش فى الغابات ٠٠ وانما حسبه ان يعيش فى خضم المجتمع الفاسد ولا يدع نفسه ينساق فى تيار نقائص المجتمع ورذائله !٠٠ فليرقب كل شىء بعينه ، ويحس بقلبه ، على أن لايكون لغير عقله سلطان عليه !

◆ وتلميذى المثالى لايحب الضجيج اوالشجار ، ســواء بين البشر او بين الحيوانات ٠٠ وهذه النزعة « السلمية » هى احدى نتائج تربيته الممتازة ، التى لم تنبه فيه يوما اوتشــجع غريزة حب الذات ، اوالغرور ٠٠ ومن ثم لم تشجعه على أن يجــد لذته فى السيطرة على الآخرين ، والاستمتاع برؤيتهم يتألمون ويتعذبون ٠٠٠ بل انه على العكس من ذلك ، يتألم حــين يرى آلام الغير ، وهذا شعور «طبيعى» فيه ، كانسان !

قصة الحياة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

فى كتابى الاول قدمت لك فى هذا الباب قصة ستيفان زفايج الكبرى «أموك» أو (غرام تحت سماء الشرق) .. وفى كتابى الثانى قدمت لك قصة « جـون جالزورثى » الخالدة « شجرة التفاح » أو (قلب عذراء) ـ وفى العدد الثالث رويت لك قصة (مرتفعات وذرنج) ، التى خلدت اسم مؤلفتها اميلى برونتى على مدى الاجيال ..

واليوم أقدم لك القصة التى كتبت مجد مؤلفها الكاتب الفرنسى الكبير (بول بورجيه)، وقد أطلق عليها «التلميذ»...

وفى الاعداد التالية ستقرأ فى هـذا الباب من كتابى بعون الله أروع ما كتب أساطين القصة العالمية المحدثين ، الى جانب مجموعة منتقـــاة من القصص (الكلاسيكية) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون أن تتاح لك فرصة قراءتها ، ومنها : جين اير (شارلوت برونتى) قصـة مدينتين ، أوليفـــر تويست (تشارلس ديكنز) ايفانهو (والترسكوت) صورة دوريان جراى (أوسكار وايلد) سافو (الفونس دوديه) البؤســـاء ، أحدب نوتردام (فيكتور هوجو) غادة الكاميليـا (ديماس) مانون ليسكو (بريفو) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (زولا) تاييس (أناتـــول فرانس) الجريمة والعقاب ، أخـوة كارامازوف (دستويفسكى) الحرب والسـلم ، أناكارنينا ، البعث (تولستوى) ..


LE DISCIPLE
par
PAUL BOURGET
"التلميذ"
أو
عندما يضل الشباب!
للروائي الفرنسي الكبير: بول بورجيه

المؤلف



ولد « بول بورجيه » فى مدينة « أميين » بفرنسا يوم ٢ سبتمبر سنة ١٨٥٢ ـ وعاش حتى يونيو سنة ١٩٣٦ ـ وكان أول انتاج أدبى له ديوان من الشعر عنوانه « على شاطىء البحر » أصدره سنة ١٨٧٣ ، لكنه لم يظفر فيه بنجاح يذكر ، لتغلب الطابع العقلى الجاف فيه على الطابع العاطفى الرقيق ، الملائم لنظم الشعر .. ومن هنا انتقل بورجيه من نظم الشعر الى النثر ، فوضع كتابا فى النقد الادبى نشرت فصوله بالتتابع مجلة (نوفيل ريفو) ، وقد أطلق عليه : « دراسات فى علم النفس العصرى » ، فكان بشيرا بسطوع نجمه فى سماء الادب الفرنسى ...

وفى سنة ١٨٨٤ زار بورجيه انجلترا زيارة طويلة كتب أثناءها روايته الاولى : « ما لا يمكن اصلاحه »، ثم أتبعها فى العام التالى بالثانية « اللغز القاسى » ، فالثالثة « أكاذيب ».. وفى سنة ١٨٨٩ أصدر روايته هذه : « التلميذ » التى أثارت اعجاب الجماهير والنقاد على السواء ، بما انطوت عليه من التحليل النفسانى الرائع ، الذى صار بعد ذلك طابع بورجيه فى جميع رواياته التالية ، ومنها : « جريمة حب » ـ التى سأقدمها لك فى عدد قريب من (كتابى) ـ و « قلب امرأة » و « حادث طلاق » و « معنى الموت » و « مأساة فى المجتمع الراقى » و « لازارين » و « اندريه كورنيليس » و « آنييس ديلاس » و « الدوقة الزرقاء » و « الغرام المفجع » .. الخ

وقصته هذه ـ « التلميذ » ـ هى بمثابة صيحة تحذير للشباب العصرى من خطر الاعتماد المطلق على وحى العقل ، دون الدين .. فهى تصور نتائج التعاليم والافكار « اللادينية » فى عقل شاب تلقاها عن أستاذه الفيلسوف الذى يدعو اليها .. وقد كتبها بورجيه تحت تأثير شعور حقيقى بمسؤولية الكاتب عن مصائر الشباب .. كتبها كأنما ليقول : انه لا يكفى أن يكون الشاب « متفوقا » فى حياته العامة ، اذا كان تفوقه ينطوى على التضحية بالفضائل الطيبة « القديمة » : فضائل الامانة ، والبساطة .. والعفة !

١ ـ الفيلسوف العصرى

◆ كان يدعى « أدريان سيكست » ، وكان النقاد الانجليز يطلقون عليه أحيانا « سبنسر الفرنسى » ، تشبيها له بفيلسوفهم المشهور هربرت سبنسر ! ٠٠ **وكان «سيكست» يعيش وحيدا، لاتشاركه مسكنه الذى يقع فى ركن عتيق من أركان باريس ، بجوار حديقة النباتات ، غير مدبرة بيت شمطاء جافة العـود ، يوحى مظهرها بالاحترام ٠٠**

وكان صاحبنا يحيا حياة ناسك متقشف ـ بل شبه قديس ـ فى جو من التأملات المجردة ، التى خرج منها بمحصول وافر من المؤلفات الفلسفية : منها كتابه فى « نفسية الله » ـ الذى أثار الكثير من الجدل والنقاش ـ ثم كتاباه الآخـران : « تشريح الارادة » و « نظرية العواطف » ٠٠ وقـــد اعتبرها البعض مؤلفات ضارة ممقوتة ، بينما اعتبرها البعض الآخـر دراسات قيمة ، كفيلة برفع مؤلفها الى مرتبة أعظم فلاســفة العالم ، المعاصرين أوالاقدمين !٠٠ وسواء صح رأى أولئـك أوهؤلاء ، فقد ذاع صيت مســيو أدريان سيكست فى عالم الفكر ومجتمعات المثقفين ، بحيث بات كل كتاب جديد يخطه قلمه يثير عاصفة من القيل والقال ٠٠!

◆ وكان سيكست قد غادر مسقط رأســه (نانسى) فى أعقاب حرب سنة ١٨٧٠ ، بعد أن فقد كلا من أبيـــه وأمه ، وجاء ليقطن باريس ويستقر فيها ٠٠ **وكان له من دخله الموروث ما يكفى لسد حاجاته المتواضعة ويزيد ٠٠ وهكذا ـ وقد استراح من التفكير فى الامور المالية أوسواها من الشواغل الدنيوية ،**

وخلا قلبه من أى مطمع فى مال أو شهرة ـ استأنف « سبنسر الفرنسى » فى هدوء عمله الوحيد : التفكير !

وكان الرجل منتظما فى عاداته الى أقصى درجة ، بحيث كان فى وسع جيرانه أن يضبطوا ساعاتهم وفقا لمواعيد خروجه أوعودته !٠٠ كانت حركاته اليومية تتكرر بنظام واحد رتيب لايتغير ، عاما بعد عام ، وسواء فى الصيف أوالشتاء !٠٠ ولم يكن سيكست يشرب الخمر ، ولايدخـــن ٠٠ أماطعامه فكان يتناول منه مايكاد يقيم أوده ولايزيد ٠٠ وفيما عدا ذلك كان همه الاهم وشغله الشاغل : أن يفكر ويكتب !

رسالتان غامضتان !

◆ على أن هدوء هذه المعيشة الآلية المنتظمة قد قطعتـــه فجأة ذات صباح واقعتان غير عاديتين : الاولى « اخطار » تلقاه الفيلسوف ، تدعوه فيه السلطات الرسمية الى المثـــول أمام «مسيو فاليت» قاضى التحقيق كى يستجوبه بصـــدد «مسائل خاصة سوف يعلم بأمرها فى حينها !»٠٠ **والواقعة الثانيـــة رسالة قصيرة ممن تدعى « مدام جريسلو » ، تطلب فيهـــا الى مسيو سيكست أن يسمح لها بأن تزوره بعد ظهر اليـــوم التالى : « كى أتحدث اليك فى شـــأن الجريمـة التى اتهم بها ـ ظلما ـ ابنى التعس !»**

وكان من أبرز خصال مسيو سيكست ، وأغربهـــا ، جهله التام بحوادث الحياة اليومية وأنبائها !٠٠ فقد كان ، من فرط عدم مبالاته بالاحداث الجارية ، لا يقرأ الصحف اليوميـــة على الاطلاق !٠٠ ومع ذلك فانه انتهى من حيرته بشأن تينـــك

الرسالتين اللتين وصلتاه فى يوم واحد ، الى استنتاج النتيجة الصحيحة : وهى أن ثمة صلة وثقى بين رسالة قاضى التحقيق ورسالة « مدام جريسلو » ٠٠!

◆ وفى البداية لم يحمل هذا الاسم الاخير الى وعيه أى معنى خاص ، أو ادراك معين ٠٠ **لكن الفيلسوف عاد فتذكر ـ بالتدريج ـ عدة زيارات عابرة ورسائل تلقاها فى فترات متقطعة من العامين السابقين من شاب يدعى «روبيرجريسلو» ، كان يطلب العلم فى مدرسة الليسيه ببلدة (كليرمون فيران)** ٠٠ ومع احدى تلك الرسائل تلقى الفيلسوف ذات يوم بحثا نفسانيا رفعه اليه الشاب كى ينقده ويقول رأيه فيه ، وقد أردفه مرسله بقوله انه شديدالاعجاب والتحمس لكتاب «نفسية الله » وسواه من كتب الفيلسوف الكبير «أدريان سيكست »٠٠ بل لقد ذيل الفتى أكثر خطاباته بهذا التوقيع « تلميذك وتابعك المخلص ٠٠٠» **وكان آخر نبأ سمعه الفيلسوف عن ذلك الشاب انه قد اختير « مربيا خاصا » لابن نبيل من نبلاء جهة «آيدا» باقليم « أوفيرن »** ٠٠

جريمة قتل !

◆ وصل مسيو سيكست الى دار العدالة قبل الموعد الذى حدد له فى الاخطار بخمس دقائق ٠٠ ولم يلبث أن أدخل على قاضى التحقيق ـ مسيو فاليت ـ وكان رجلا لطيف المعشر حاضر البديهة حاد الدعابة ، تنم لهجته عن كونه رجلا « دنيويا » ، بقدر ماكان محدثه « روحانيا » !٠٠ وكانت دهشة القاضى لرؤية الفيلسوف المشهور على هذه الصورة الغريبة

من الزهد والتقشف ، دهشة بالغة ، لا حد لها ٠٠ وقد حسب فى البداية ان اللهجة الجافة المترددة التى كان هذا يجيب بها على أسئلته ، تخفى من المعلومات عن القضية أكثر مما ينبغى الرجل أن يفصح !٠٠ لكنه لم يلبث أن تبين أنه أمام رجل بعيد حقا عن القاء باله الى الامور الدنيوية ، بحيث يحتمل فعلا ان يجهل كل شيء عن القضية التى كانت باريس كلها – بل فرنسا بأسرها – تتحدث عنها : **قضية « جريسلو » الشاذة ، التى اتهم فيها المدرس الشاب « روبير جريسلو » – المقبوض عليه فى سجن « ريوم » – بأنه قتل بالسم الابنة الحسناء لمخدومه «المركيز دى جوسا راندون » !**

◆ أبدى مسيو سيكست دهشته البالغة لسماع هذا النبأ ٠٠ ثم أفضى الى قاضى التحقيق بحقيقة علاقته بالشاب المتهم ، معربا عن استغرابه لماذكره له المحقق عن العثور بين كتب المتهم على مؤلفات الفيلسوف المشهور جميعها ، وفى مقدمتها كتابه المسمى «نفسية الله » ، وكانت كلها تحمل فى هوامشها تعليقات كثيرة بقلم الشاب تنم عن دراسة دقيقة مستفيضة واهتمام بالغ !٠٠ ومع ذلك لم يستطع الفيلسوف أن يفهم كيف يمكن أن تكون هناك صلة ما بين مؤلفاته وبين الجريمة !٠٠ ولا ماهية الشهادة التى يمكن أن تطلب اليه تأديتها فى القضية !٠٠ وعبثا حاول قاضى التحقيق أن يستفيض معه فى الحديث ٠٠ وسرعان ما انتهت المقابلة عند هذا الحد ٠٠

دموع الام ٠٠!

◆ وحين عاد مسيو سيكست الى بيته ، وجد امرأة ترتدى ثياب الحداد فى انتظاره !٠٠ لم تكن سوى « مدام جريسلو »

ـ والدة المتهم ـ التى كانت قد طلبت الى الفيلسوف فى اليوم السابق أن يأذن لها فى مقابلته ٠٠

وكم كانت دهشة مسيو سيكست حين قالت له ضيفته انها تعتبره المسئول ـ هو وكتبه ـ عن فقدان ابنها لايمانه الدينى !٠٠ وأردفت المرأة : « لكم أبغضتك وكرهتك حين اكتشفت الدوافع التى شجعت (روبير) على نبذالتعاليم الدينية التى عنيت كل العناية بتنشئته عليها منذنعومة أظفاره ٠٠!»

◆ لكن الزائرة لم تلبث أن هدأت ، فتوسلت الى الفيلسوف ـ الذى كاد برود أعصابه يخذله فى حضرة هذه الام المنفعلة ـ أن يصفح عنها اذا كانت كلماتها قدأساءت اليه ٠٠ واستطردت من خلال دموعها : «**أناواثقة أنك ستفعل مافى وسعك من أجل ابنى البرىء ٠٠ لقد ذكر لى الكثير عن طيبة قلبك ، ورقتك وعطفك ٠٠ وقال اننى لو عرفتك لاحترمتك ووقرتك ٠٠ وانك أقرب الى القديسين منك الى البشر ٠٠!**»

وبعد أن طيب مسيو سيكست خاطر الارملة المنزعجة ، سلمت اليه وهى تنهض لتنصرف أوراقا مطوية كانت قد احتفظت بها فى حجرها طيلة مدة الزيارة ٠٠ قائلة انها «مقال علمى هام » كتبه ابنها فى سجنه بعد أن قبض عليه ، وقد عهد اليها به كى تسلمه الى مسيو سيكست !

كانت الصفحة الاولى من المخطوط تحمل هذا العنوان : « علم النفس الحديث » ٠٠ والثانية : « مذكرات عن نفسى »٠٠ وقد كتب الشاب تحت العنوان الاخير فقرة يرجو فيها من « أستاذه العزيز » **أن يتعهد بشرفه أن يصون سرية الصفحات التالية فلا يطلع عليها انسانا ! ٠٠ فاذا لم يشأ أن يقيد نفسه**

بهذا العهد ، فأولى به أن يحرق المخطوط من فوره ، بيده ، ولايسمح لاية يد أخرى أن تصل اليه : «مهما كانت الظروف التى قد تقتضى ذلك ، ولو من أجل انقاذ حياتى!» ٠٠ ويلى ذلك التوقيع بالحرفين الاولين من اسم الشاب : « ر٠ج »

دليل براءة ٠٠ أم اتهام ؟

◆ بقى الفيلسوف فترة طويلة بعد انصراف مدام جريسلو عاجزا عن البت فى الامر بقرار نهائى يستريح اليه : هل يقرأ قصة روبير جريسلو ؟ أم يحرقها ؟٠٠ كان فضول هائل يغريه بالاطلاع على ماقد تحويه هذه الوثيقة «الانسانية» النادرة !٠٠ لكن عاملا آخر كان يهيب به من الناحية الاخرى أن يتدبر الامر بروية ، قبل أن يقرر فض الرسالة ، فقدتكون محتوية على دليل يثبت براءة الشاب ٠٠ وفى هذه الحالة ستبقى يده مغلولة عن اظهار السر الحقيقى ، وفاء بالعهد الذى يطالبه به « تلميذه » !٠٠ ثم ، من أدراه ان الرسالة لاتتضمن اعترافا بالجريمة ، يثقل ضمير الفيلسوف ولاشك أن يطويه فى صدره ، ويضن به على مسامع العدالة !؟

◆ وأخيرا ، بعد تردد طويل ، تغلب الفضول العلمى فى نفس الفيلسوف على جميع العوائق !٠٠ فلما جاءت مدبرة البيت لتنبىء سيدها بأن فراشه قد أعد ٠٠ وجدته جالسا الى جوار المدفأة ، مستغرقا فى مطالعة الرسالة ، التى لو أنصف كاتبها لاطلق عليها : «اعترافات شاب عصرى !»

٢ ـ اعترافات « التلميذ »

◆ كانت اعترافات روبير جريسلو مؤرخة هكذا : « سجن ريوم ، تحريرا فى ٠٠ يناير سنة ١٨٨٧ » ٠٠ وقد استهلها كاتبها بوصف موجز بليغ لطفولته وصباه الباكر ، اللذين قضاهما فى مسقط رأسه بمدينة (كليرمون) ٠٠ ثم بدأ الشاب يسهب فى الوصف ، ويسرد أدق التفصيلات ، عندما انتقل الى شرح أفكاره ومعتقداته ، وأعمق خلجات نفسه ومشاعره ، باعتبارها لا غنى عنها لايضاح نظرته الى الحياة ، واتجاهاته العقلية ٠٠ حتى انتهى الى المرحلة التى تمردت فيها روحه على تعاليم وتوجيهات قسيسه الذى كان يعترف عليه ، ويدعى « الاب مارتيل »

◆ ثم انتقل الشاب الى وصف بداية صلته الروحية « بأستاذه » الفيلسوف الكبير : كان روبير يومئذ فى السابعة عشرة ، حديث عهد بالالتحاق بقسم الفلسفة بمدرسة « النورمال » ٠٠ حين وقع فى يده ذات يوم كتاب « نفسية الله » ، بقلم « مسيو ادريان سيكست » ٠٠ فبلغ من عمق تأثير هذا الكتاب فى نفسه انه لم يكد يفرغ منه حتى سعى الى الحصول على كتابى المؤلف الآخرين « نظرية العواطف » و « تشريح الارادة » ٠٠ فالتهمهما بدورهما التهاما ٠٠ وأكملت الكتب الثلاثة فى نفسية الفتى ذلك التأثير الذى بدأته ووضعت أساسه مؤلفات موسيه ، وبلزاك ، وبودلير ، وهاينى ، وستندال ، وغيرهم ٠٠ فأعانت جميعها على رفع النقاب الذى كان يحجب عن بصيرة الشاب الكثير من الحقائق ، وتبديد الظلمة التى كانت تكتنف دنياه الخارجية وأعماقه الداخلية فى وقت واحد ٠٠ « ومنذ ذلك الحين وجدت طريقى ٠٠ الى « المثالية » فى المشاعر والاحاسيس ٠٠ وصرت تلميذك ! »

فى قصر المركيز ٠٠

◆ « وفى نوفمبر سنة ١٨٨٥ ، على أثر رسوبى فى امتحان الفلسفة ، اضطررت الى قبول العمل كمدرس خاص لابن « المركيز دى جوسا راندون » الاصغر ، وكان غلاما فى الثانية عشرة ٠٠ فان الخمسة آلاف فرنك التى عرضت على مقابل تدريس الغلام لمدة تقل عن العام ، كان فيها اغراء كاف لى على التنازل عن حريتى واستقلالى فى المعيشة ، فترة من الوقت ، سيما وقد كنت أحرص على عدم تحميل أمى مزيدا من النفقات لا تقوى عليه مواردها ٠٠

◆ « وأخذنى المركيز من بلدتى (كليرمون) الى قصره فى (آيدا) فى عربته الخاصة ٠٠ وطيلة الوقت لم يكف لسانه لحظة عن التحدث فى أمور

أسرته ، وأمراضه هو الخاصة - التى كان أكثرها وهميا ! - فأصغيت اليه وأنا أختزن فى ذاكرتى أطرف عباراته وتعبيراته ، كى أسجلها عند وصولى فى مفكرتى التى كنت قد اعتزمت أن أبوح لها بكل خواطرى وما يعن لى أثناء اقامتى فى « منفاى » !

عهد ·· بتحريم الحب !

◆ « وثمة عزم آخر كانت قد صحت عليه نيتى ، يوم قبلت العمل عند تلك الاسرة : هو أن لايكون لى فى حياتى الجديدة أى شأن بالحب !·· سيما وقد كنت بطبعى أنفر من الامور الشهوانية ، وأحتقر فى قرارة نفسى حماقة النساء على وجه العموم ·· وهكذا قررت أن أحذو حذو فلاسفة القدماء وحكمائهم، « فأعتقل غريزتى الجنسية فى رأسى ! »

« فلما وصلت مع المركيز الى القصر ، فى أمسية باردة من أمسيات نوفمبر، ألفينا الاسرة كلها تنتظرنا فى غرفة الاستقبال ، وقد عكفت المركيزة وابنتها « شارلوت » على بعض أشغال التطريز التى كانتا تعدانها للفقراء ، وانهمك « تلميذى » الجديد فى تقليب صفحات كتاب مصور ·· بينما كان أخوه الاكبر - وهو ضابط فى الجيش يدعى الكونت اندريه - يقرأ صحيفة اليوم ·· وفى ركن من الحجرة جلست مربية المدموازيل شارلوت ، واحدى الراهبات ، تحيكان بعض الثياب ··

◆ « وأخذت أختلس نظرات فاحصة الى أفراد الاسرة : كانت مدام دى‌جوسا امرأة كبيرة الجسم ، قوية الشخصية ، مكتملة التهذيب ، يوحى مظهرهـــا وتصرفاتها بأنها « ربة بيت » مثـــالية ·· ثم نقلت بصرى الى ابنها الاصغر - تلميذى - فلم يلفت انتباهى فيه غير وجنتيه المكتنزتين البليدتين !·· أما الابنة « شارلوت » فكانت رشيقة القوام ، ذات عينين ناعمتين غبراوين ، وشعر كستنائى جميل ، ترتدى ثوبا بسيطا خفيفا لا يتناسب مع برودة الطقس !·· على أن أجمل ما أعجبنى فيها كان سحر صوتها الهادىء الخفيض ··

◆ « وأما أخوها الاكبر ، الكونت اندريه ، فلا أذكر انى رأيت من قبل مثيلا له فى « رجولته » ، وهيبة جسمه الرياضى القوى الذى أفعمنى دهشة واعجابا !·· كان فوق الثلاثين بقليل ، متوسط الطول ، عريض الكتفين ، نحيل الوجه والخصر ، أشبه ببطل من أبطال المصارعة ·· بحيث شعرت أن هذا المزيج من القوة والمرونة ، شىء جديد بالنسبة لى !·· والى جانب هذا كله كان شعره الاسود ، وشاربه الفاحم ، وفمه وذقنه الموحيان بالصلابة ، وعيناه البنيتان الحازمتان، وأنفه العالى المقوس·· تنم كلها، لا عن الشجاعة وقوة العزيمة فحسب، بل عن عراقة الاصل وزرقة الدم !·· كانت نظرة واحدة اليه كافية لاظهار انه

ينحدر من نسل محاربين أمجاد ٠٠ فأحسست ، لاول مرة ، بسعة الهوة بينى ـ أنا سليل الفلاحين المتواضعين ـ وبين هذا العريق المنحدر من صلب أسيادهم ٠٠

◆ « ولم يكن شعورى هذا ينطوى على شىء من الغيرة أو الحسد ، وانما كان مجرد شعور حاد « بالفارق » العظيم بيننا ٠٠ الامر الذى أثار فى نفسى من أول وهلة شعورا بشبه « عداء » ، غير ارادى ، نحو ذلك الضابط الابى ٠٠ وهو شعور لم يفارقنى بعد ذلك قط !

زحف على قلب !

◆ « واليوم ، وأنا أخط اليك هذا الاعتراف ، أتبين بوضوح أن ذلك الشعور كان الدافع النفسانى الاول لى على الفكرة التى اختمرت فى ذهنى بالتدريج منذ ذلك التاريخ : فكرة السعى الى غزو قلب « شارلوت » الطاهرة ، أخت الكونت اندريه ، والاستئثار بعاطفتها البكر ـ دون أن ينطوى قلبى على أى حب لها ! ـ بحجة رغبتى فى « دراســة » سيكلوجية تلك العــاطفة ، ومظاهرها النفسية والشهوانية التى أردت اثارتها فيها ٠٠ نحوى !

« انى لاستشعر الفزع والاستنكار ، وأنا أذكر اليوم كيف نبتت تلك الفكرة المشؤومة فى رأسى ٠٠ كيف استطعت أن أرسم خطتى ـ فى تؤدة وترو ، وسبق اصرار ! ـ سعيا الى مثل هذه الغاية التعسة ٠٠ لكنها الحقيقة !٠٠ لقد أحسست ـ فيما يخيل لى الآن ـ بغير قليل من « الارتياح » ، لمجرد التفكير فى « اذلال » ذلك الضابط المتغطرس ، باخضاع شقيقته لسطوتى وسلطانى !٠٠ بدا لى أن مشروعى ذاك كفيل باختصار المسافة التى بيننا ، وتضييق الهوة الاجتماعية التى تفصلنا !٠٠ وشجعنى على المضى فى خطتى ، والامعان فيها ، اعجابى بالفتاة نفسها ٠٠ اعجابا كان يتزايد كل يوم ، كلما ازددت معرفة بها ولمست خصالها النبيلة ، وطبيعتها الابية المرهفة ، وجاذبيتها النادرة ٠٠٠

السر ٠٠!

◆ « وصرنا نخرج ، كل يوم تقريبا ، أنا وهى وشقيقها الاصغر « لوسيان» ـ تلميذى ـ ورفيقتها أو مربيتها الخاصة الآنسة « لارجيكس » ٠٠ كى نتنزه فى الحقول والمناطق المجاورة ٠٠ وذات يوم ، شعرت أثناء نزهتنا المعتادة بشىء من الانقباض والميل الى الانطواء على نفسى ، بحيث لزمت الصــمت وبدا على الاكتئاب الواضح ، بعكس الباقين الذين كانوا جميعا فى أحسن حال من الانشراح والمرح ٠٠ وحانت لحظة كنا فيها بالمصادفة منفردين وحدنا ، فانتهزت شارلوت الفرصة لتسألنى فى اهتمام عما اذا كنت مريضا ، أو كان ثمة شىء يضايقنى؟!٠٠ لكننى أجبتها فى اقتضاب بأنى على ما يرام ٠٠ ثم خطر لى أن أتلاعب بعواطفها

وأستدر عطفها على فأختلق سببا وهميا لحزنى المكتوم ، أزعم لهـا انه علة انقباضى وكآبتى .. لكنى حرصت على عدم التصريح بتفصيلات ذلك الحزن الوهمى ، بحجة انه سر لا يمكن البوح به ، امعانا فى اثارة فضولها بشأنه ، واهتمامها بأمرى !

قصة .. من نسج الخيال !

◆ « فى تلك المناسبة ، وفى مناسبات أخرى تالية ، تكرر من الفتاة نحوى نفس الاهتمام ، التافه فى ذاته ، البالغ الدلالة فى نظر « مراقب » مثلى ، ولوع بتحليل انفعالات ضحيته البريئة ورصد أبسط حركاتها وسكناتها !.. ولكى أصل الى مبتغاى من وراء هذه الشفقة التى أفلحت فى غرس بذرتها فى قلب الفتاة نحوى، رأيت الاستمرار فى تمثيل مهزلة ذلك الحزن الوهمى .. فى الوقت الذى أخذت فيه أعد العدة لما عسانى أقوله لها فى صدده اذا ما حانت فرصة «التفاهم» الكامل بينى وبينها.. فبدأت أنسج فى خيالى خيوط رواية محبوكة حافلة بالوقائع المكذوبة الكفيلة باثارة شعور فتاة غريرة طيبة القلب مثلهـا !.. وامعانا فى « سبك » قصتى بدأت أتظاهر بالاستغراق فى حزنى وأشجانى ، لا أمام شارلوت وحدها ، بل أمام تلميذى الصغير أيضا ، لوثوقى من أنه ينقل الى شقيقته دون قصد أثناء ثرثرته معها ، الكثير من التعليقات والملاحظات التى تخدم غايتى وهدفى ..!

◆ « وأخيرا حانت فرصتى لتسميم ذهن الفتاة بالقصـة الكفيلة باستدرار شفقتها - وغيرتها عـلى فى الوقت نفسه ! - فقد أرسلها أبوها ذات يوم الى مكتبة القصر - فى الطابق العلوى - كى تحضر منها مجلدا يحتوى على وصف بعض ألعاب الورق ، كى تتسلى الاسرة بلعبها .. وصادف أن كنت أنا وقتئذ فى المكتبـة أدون بعض المذكرات ، فأرشدتها الى المجلد المطلوب . وعندئذ قالت لى متلطفة :

- أعتقد أننا سنهتدى الى لعبة يمكنك أن تشـاركنا اياها .. فانك دائم الكآبة ، بحيث نخشى أن تكون سئمت الاقامة هنا ..



« ووجدت فى هذه المناسبة الملائمة ضالتى المنشودة ، فأجبتها متنهدا :
– آه يا آنسة ، لو تعلمين ظروف حياتى ..!

« ثم امتـــد الحديث بيننا ، فرويت لها قصتى المختلقة : كيف احببت فتاة روسية كانت قد هبطت (كليرمون) لزيارة أقرباء لها .. وكيف خطبتها سرا ، وتفاهمنا على الزواج .. حتى طلبها ذات يوم خاطب آخر ثرى ، ففضلته على .. لماله !.. ضاربة بحبنا ومواثيقنا عرض الحائط .. الخ

« أصغت شارلوت لقصتى ، ثم قالت معلقة بلهجة جوفاء لا تدل على تأثر أو انفعال :

– لست أدرى كيف استطعت أن تثق فى عهود فتاة سمحت لك بمطارحتها هواك فى غفلة من أهلها !

« وصدمتنى عبارتها .. أشعرتنى بالمهانة وخيبة الامل ، وكأن سهمى قد طاش فلم يصب الهدف !.. لم يحرك فى أعماقها عاطفتها المنشودة نحوى ، أو يؤجج نيران رغبتها فى .. ولو كنت حصيفا لادركت أن جوابها ذاك انما كان نجاحا لخطتى ، وانه لم يصدر الا بدافع من غيرتها المكتومة من حبيبتى المزعومة! – والغيرة أولى مراحل الحب والرغبة ! – بل ان غيظى حجب عنى ادراك حقيقة أكثر بداهة من هذه : هى أن مجرد اصغاء تلك الفتاة المحافظة الابية النفس ، لذلك السر الشخصى ، هو وحده دليل كاف على العطف القوى والميل المتزايد !..

الوقوع فى الشرك !

« وصار التفكير فى شارلوت وفى حقيقة شعورها نحوى ، شـــغلى الشاغل .. وتفاقم ألمى لما اعتقدته من فشلى فى حملها على حبى !.. ومن فرط لهفتى على هذا الحب وما هو خليق أن يحمله فى طياته من متع ، بدأت أحس بانفعالات هى أقرب الى ثورة الحواس منها الى دراسة النفس !.. واذا أنا أنسى ما كنت قد وطنت نفسى عليه من تجاهل الحب والتسامى على شهواته ... صار أقل احتكاك بثوب هذه العذراء ، وأبسط انثناء من انثناءات جسدها اللدن ، أو نظرة الى طرف ساقها البارز من تحت ثوبها .. تثير فى كيانى ميلا عارما ورغبة موجعة !.. وبعد أن كنت أنا الذى أعددت العدة لاغوائها وايقاعها فى الشرك ، سقطت أنا فى هذا الشرك ، فريسة للغواية التى دبرتها لها !

« وأستطيع الآن ، فى هدوء اليأس وسكينة الاستسلام لمصيرى ، أن أتبين حقيقة الانقلاب الذى طرأ يومئذ على مشاعرى ومقاصدى : كنت قد بدأت « لعبتى » بغية اذلال غريمى الضابط المتعجرف ، بطعن عفة أخته فى الصميم .. بعد التمهيد الى هذا الهدف باستدرار شفقتها على ، فحبها لى ، وأخيرا رغبتها فى !.. وبمعنى آخر ، انى أردت أن أنال الفتاة لمجرد النكاية فى أخيها ، دون

أن أحس نحوها بذرة من الحب ، أو لفحة من نيران الرغبة !٠٠ لكن « لعبتى » انقلبت على فى منتصف الطريق ، فاذا أنا أتبين فى قرارة نفسى ـ مشفقا ـ انى قد بت هائما بالعذراء أشد الهيام ، راغبا فيها أعنف الرغبة !

◆ « لكن هذا الانقلاب فى مشـــاعرى و « دوافعى » ، لم يكن له شأن سواء بالوسيلة أو الغاية ، اللتين لم يطرأ عليهما أى تعديل !٠٠ فمضيت قدما فى سبيلى ، لا ألوى على شىء ٠٠٠ اعتزمت أن أبوح للفتاة بهواى ـ الذى كان خدعة فصار حقيقة ! ـ تنفيسا عن عواطفى المكبوتة ، من جهة ٠٠ وأملا فى أن أصل من هذا الطريق الى تنمية حب الفتاة لى ، الذى فشلت ـ أو خيل الى أنى فشلت ـ فى بثه فى قلبها عن طريق اثارة عطفها وغيرتها على، بقصتى المكذوبة٠٠ من الجهة الاخرى !

خلوة فى الغابة ٠٠

◆ « وانصرم الشتاء ، وأقبل الربيع ٠٠ وأنا أتحين الفرصة لمكاشـــفة شارلوت بحبى ٠٠ وذات صباح جميل ، صباح الثانى عشر من مايو فيما أذكر، خرجنا نحن الاربعة ـ كعادتنا ـ الى نزهة فى قرية « سانت ساتورنين » ، وكان الطريق اليها طويلا ، يتخلل الغابات ٠٠ وخشية أن تتعب شارلوت أو مربيتها من طول المسافة ، أخذنا معنا عربة الاسرة الصغيرة ، يقودها الحوذى على قيد خطوات منا ، كى يستقلها عند اللزوم من يدركه التعب منا ٠٠

◆ « وكانت المربية أول من أضناها السير ٠٠ ثم تلاها الغلام لوسيان ، فمضينا ـ شارلوت وأنا ـ منفردين ٠٠ وكلما سرنا خطوات كانت الفتاة تتوقف لتقطف بعض زنابق الوادى ٠٠ وهكذا توغلنا فى الغابة دون أن نشعر ، بينما كانت العربة تتابع سيرها فى الطريق الممهد البعيد ٠٠

◆ « وفجأة تطلعت شارلوت حواليها ، وأصغت بأذنيها برهة ، ثم هتفت فى مرح : « لقد ضللنا الطريق !٠٠ لا بأس ، انتظر حتى أنسق ازهارى ، وعندئذ نستطيع أن نلحق بالآخرين ٠٠ »

« قالت ذلك وجلست على حجر كبير ، فانتثرت على رأسها الجميل دنانير من أشعة شمس الربيع ، المنسابة من خلال الاغصان ٠٠ وأدركت أن فرصتى المرتقبة قد حانت، فتناولت يدها ٠٠ وقد أحسست بها تختلج للمستى!٠٠ وعندئذ حاولت هى أن تنهض ، وقد فر لونها وشحب محياها ٠٠ لكنى أجبرتها ، بحركة رقيقة منى ، على البقاء حيث كانت ٠٠

◆ « وبحت لها بحبى !٠٠ بحت لها به فى سيل جارف من الالفاظ ، بحيث أدهشتنى فصاحتى !٠٠ ثم مددت يدى الى خصرها فطوقتها بذراعى ، دون أن أفكر من فرط اضطرابي في أن ألثم فمها !٠٠ لكنها راغت مني ونهضت منتصبة

على قدميها ، وهى تهمس لى فى صوت أشبه بالانين : دعنى ٠٠ دعنى !٠٠ ثم مضت الى جذع شجرة فأسندت اليه ظهرها ، وهى تلهث من شدة الاضطراب والهلع ، وشفتاها تختلجان انفعالا ٠٠ بينما انحدرت الدموع تتسابق على خديها ، ناطقة بما يعتمل فى نفسها من ثورة جامحة ، واشفاق ٠٠ على ظهرها الذى جرح !!٠٠ فجمدت أنا فى مكانى حيث كنت ، وأنا أتمتم : « اغفرى لى٠٠!»

« ثم لذنا كلانا بالصمت ، زمنا لم أدر ان كان قد طال أم قصر ٠٠ حتى أنقذنا من هذا الموقف الموجع صوت ينادينا ، أشبه بصيحات أهل « التيرول » التقليدية ٠ كان صوت الغلام لوسيان وقد أرسلته المربية ليستدعينا ، بعد أن قلقت لطول غيابنا ٠٠ فأفاقت شارلوت ، كأنما من حلم رهيب ، وعاودتها حمرة وجنتيها ٠٠ ودون أن تتفوه بكلمة ، جمعت أزهارها وقفازيها وانطلقت تعدو بأقصى سرعتها ، كحيوان مطارد ، فى اتجاه مصدر الصوت ٠٠

« وعدوت فى أثرها ، فلم تمض دقائق حتى التأم شملنا من جديد ٠٠ وعندئذ قالت شارلوت انها تحس بشىء من التوعك ، وصعدت الى العربة مع أخيها ومربيتها ، فانطلقت بهم عائدين الى البيت ٠٠ بينما عدت أنا بمفردى سائرا على قدمى ٠٠٠

هل تصون السر ؟

◆ « وأحنقنى ما بدا لى من هزيمتى المحققة ٠٠ بل انى قضيت اليومين أو الثلاثة أيام التالية فريسة لرعب دائم ، أتوقع فى كل لحظة أن يطردنى المركيز من بيته شر طردة !٠٠ وهل يستبعد أن تفضى شارلوت الى ذويها بما حدث ؟ أو ليست هى التى لامتنى على اطمئنانى الى حب فتاتى الاولى ، لا لسبب سوى كونها قد سمحت لى بمطارحتها الهوى فى غفلة من أهلها ؟!

« لكن ما أشفقت منه لم يقع ٠٠ فقد ظل أهل القصر جميعا كعهدى بهم ، يعاملوننى بنفس الود القديم !٠٠ اذن فالفتاة لم تقل لهم شيئا ٠٠ وانما هى قد صانت سرنا ؟!

« وانقضى اسبوع ، فاجأنى المركيز فى نهايته بما لم يكن فى الحسبان : قال ان ابنته قد ذبلت صحتها فى المدة الاخيرة ، بحيث اعتزم أن يأخذها فى الغد الى باريس ، كى يستشير فى شأنها طبيبا ٠٠

◆ « وكنت قد انتهيت فى هذه الاثناء الى قرار نهائى فيما يتصل بالفتاة : آثرت أن أعدل عن « مشروعى » الميئوس منه ، بعد أن تبينت بوضوح تام انها رغم حرصها على أن لا تجرح احساسى ، تبدو مصممة على أن تبقينى بمنأى عنها على الدوام !٠٠ ومن ثم كتبت اليها خطابا أكرر لها فيه طلب الصفح ، واطمئنها الى أنها لن تجدني في القصر لدى عودتها من باريس !٠٠ ثم انتهزت

الفرصة المناسبة فتسللت الى مخدعها كي أدس رسالتي بين أوراقها التي تحتفظ بها داخل طيات « نشافتها » ٠٠ فلما رفعت الغطاء فوجئت برؤية ظرف صغير كتب عليه تاريخ « ١٢ مايو » ! وسارعت أختلس نظرة عاجلة الى محتويات ذلك الظرف ٠٠ فاذا في داخله زنبقتان ذابلتان من زنابق الوادي ، تذكرت على الفور اني كنت قد أعطيتها اياهما خلال نزهتنا الاخيرة في الغابة !٠٠٠

« اذن فهي قد احتفظت بهاتين الزنبقتين ، كتذكار مني ، رغم كل ما بدر من جانبي ؟

« أهي تحبني اذن ٠٠ رغم كل شيء ؟

« ما دام الامر كذلك ، فلأنتظر ٠٠

« رباه !٠٠ انها تحبني !

« ومزقت خطابي في الحال !

الهدوء ٠٠ الذي يسبق العاصفة

◆ « كانت الحياة في القصر ، وشارلوت غائبة عنه ، هادئة هدوءا عجيبا ، شبه محبب لي بعد تلك الاشهر المتتالية من الانفعال !٠٠ وذات يوم ، بعد سفرها بأسابيع ، كتب المركيز خطابا يقول فيه انه سيعود الينا ، بمفرده ، فان شارلوت قد آثرت أن تطيل مقامها في باريس ، عند عمة لها !٠٠ وهنا عاودني قلقي من جديد ، وبدأت أحس نحوها بغير قليل من الحنق !٠٠ وحين جاءت الانباء تحمل الينا خبر اطالتها « لاجازتها » ـ اذا صح أن تسمى غيبتها كذلك ! ـ للمرة الثانية ، ضاعف كبريائي الجريح من سورة غضبي وسخطي ! فنفست عنهما بخطاب كتبته اليها٠٠ لكن ردا ما لم يصلني !٠٠ وكتبت اليها للمرة الثانية ، ثم الثالثة ٠٠ خطابات مفعمة بالمذلة ، والعاطفة المحتدمة ، واليأس ! ـ وقد علمت فيما بعد أن شارلوت احتفظت بتلك الرسائل الفياضة بالحنين ، والانين ، حتى أحرقتها ليلة وفاتها فقط! ـ ومع ذلك فقد ظلت رسائلي فيحينها٠٠ بغير جواب!

◆ « وعاد المركيز يحمل الينا « أنباء طيبة » مزدوجة : أولها ان صحة شارلوت قد تحسنت تحسنا كبيرا ٠٠ وثانيها ، انها قد قبلت الزواج من مسيو دى باين وهو ضابط من زملاء أخيها الكونت اندريه ٠٠!

« وأنت يا سيدي ـ يا من كتبت بتلك القوة والروعة الهائلتين عن ذلك الشيء الرهيب المدعو : الغيرة ! ـ تستطيع أن تفهم مشاعري في تلك المحنة !٠٠ كانت شارلوت قد غابت عن ناظري نحوا من خمسة أشهر ٠٠ ورغم ذلك فاني اشتقت اليها أكثر من أي وقت مضى ٠٠ فان مرور الزمن كان يزيد من وطأة دائي ٠٠ وفي كل يوم كنت أزداد تعاسة وبؤسا ٠٠!

◆ « وفي نهاية سبتمبر ، أصيب لوسيان بالحمي القرمزية ٠٠ فسألني

المركيز ــ وقد كان يخشى على نفسه من العدوى ! ــ عما اذا لم يكن الاوفق أن يرسل فى طلب زوجته المركيزة ، كى تتولى تمريض ابنها بنفسها ؟٠٠ وبرغم شوقى الجارف الى رؤية شارلوت فقد كان لدى من الشجاعة القدر الكافى كى أثنيه عن فكرة اخطار الزوجة والابنة المقيمتين فى باريس بنبأ مرض الغلام ٠٠ فقد كنت موقنا من أن شارلوت لو علمت بالامر لهرعت عائدة الى الدار فورا ، بأى ثمن ، ولو عرضت نفسها لخطر العدوى !

« ولكن ، فى اليوم التالى مباشرة ، جاءت برقية تقول ان المركيزة وابنتها عائدتان توا ٠٠!

« واعتزمت أن أرحل من فورى ، قبل وصولهما ، راجيا أن يحلنى المركيز من ارتباطى بالبقاء حتى نهاية مدة العقد ، التى لم يبق على انتهائها غير أيام معدودات ٠٠ فقد بدا لى أن ذلك هو خير حل للموقف المعقد ، يجنب كلانا ــ شارلوت وأنا ــ وطأة المأزق المرتقب ، ويصون لكل منا كرامته وشعوره ٠٠

« لكن المركيز كان من الانفعال والفرح بقرب وصول زوجته وابنته بحيث لم يشأ أن يضيع وقتا فى بحث المسألة ٠٠ وانما طفق يقول فى عصبية : « ليس الآن ٠٠ ليس الآن ٠٠ انتظر حتى يصــــلا ٠٠ لا أستطيع التفكير فى شىء آخر الآن ٠٠!

خاتمة ٠٠ لا مناص منها !

« فهل كان يجول بخاطر أحد يومئذ أن مصيرى قد بات معلقا على رفض شيخ « أنانى » أن يصغى الى ؟٠٠ لو اننى أصررت على الرحيل يومئذ لانتهى كل شىء على ما يرام ، ولنسيت شجنى فى خلال أيام !٠٠ أما رضوخى لذلك الاب الغبى ، فقد كان هو المسؤول عن الكارثة ٠٠ فان نظرة واحدة الى شارلوت وهى تهبط من العربة فيشحب وجهها وترتجف لمجرد التقاء بصرينا ٠٠ كانت كافية لان تثبت لى أنها قد باتت تحبنى أكثر من أى وقت مضى ٠٠ ومن ثم تجعلنى أعدل نهائيا عن الرحيل !

« ولكن ، وماذا بعد ؟ والى أين المصير ؟٠٠ هرعت عائدا الى مخدعى حيث تناولت رأسى بين راحتى لاكتم ضربات صدغى ، وأخذت أكرر على نفسى هــذا السؤال ، دون أن أهتدى فى صدده الى جواب ، سوى اننى عاجز عن الرحيل !٠٠ وأن ما بينى وبين شارلوت لا يمكن أن ينتهى بالفراق ٠٠ وانما نحن نقترب سويا من ساعة حاسمة ٠٠ وما جهودنا المزدوجة ، وجهادنا المستمر ، ورغباتنا التى نقاومها ونكبتها ٠٠ الا مراحل سوف تنتهى بنا حتما الى خاتمة لا مناص منها !

« وعبثا أحاول أن أصف لك ــ يا أستاذى العزيز ــ كيف مرت على الايام القليلة التالية ٠٠ فان مشاعرى خلالها لتتمرد على أى تحليل نفسى ، وتعصاه ،

بل تتحداه !٠٠ كنت لا أكاد أذكر ـ فى أية لحظة من اللحظات ـ اننا متحابان ، واننا لن نكون لاحدنا الآخر أبدا ٠٠ أبدا !٠٠ حتى تنحدر الدموع غزيرة من عينى ، فأنشج بالبكاء كالاطفال !٠٠ بل لقد صار وجود الفتاة قريبة منى ـ بحيث نكاد نتلامس ! ـ وبعيدة فى الوقت نفسه عنى ، بحيث لن يقدر لنا يوما أن نتعانق ٠٠ صار ادراكى لهذه الحقيقة الموجعة يذيبنى حسرة ، ولوعة ، ويثير كامن أشجانى !٠٠ ناهيك بالعذاب الآخر الاشد نكرا من كل ذلك : عذاب الشوق الى امتلاك هذا الجسد المشوق الذى كان يخطر أمامى ليل نهار ، فيلهب كيانى بسياط كأنها من نار !

« وزاد من اضطرام النار التى كانت تلتهم قلبى وأعصابى ، أن الفتاة صارت تتعمد أن تتجنبنى ، وتروغ من لقائى ٠٠ بل انها كفت عن الخروج للنزهة فى رفقتى مع مربيتها وأخيها، كماكانت تفعل قبلا !٠٠ وحتى فى اللحظات العابرة التى كنا نلتقى فيها فى القصر ، كان حرج موقفنا يجعلنا نلوذ كلانا بالصمت !٠٠ كان لساننا قد ثقل ، وغدا الكلام مستحيلا علينا ، كما يستحيل على المشلول أن يحرك ساقه التى أصيبت بالشلل !

دليل الحب !

« وجن جنونى ٠٠ صار يتملكنى حنين طاغ الى أن أترك فى نفس شارلوت أثرا منى لا يمحى !٠٠ بل استبدت بى رغبة ضارية فى أن أقدم لها دليلا على حبى لا يمكن أن تنسيها اياه رقة غريمى ـ ذاك الذى سيصبح زوجها !ـ ولا ترف البيئة الاجتماعية التى سوف تنتقل لتعيش فيها ٠٠!

« وهكذا ، بتأثير هـــذه الدوافع مجتمعة ، وجدتنى أبيت النية على ٠٠ الانتحار !

« نعم ، قررت أن أضع لحياتى التعسة حدا !٠٠ وأذكر اننى حين انتهيت الى هذا القرار ، أحسست بارتياح شاذ ، وكأن عبئا ثقيلا قد أزيح عن صدرى!٠٠ لم يكن تفكيرى فى الامر بعقلية الشخص الذى يقدم على الموت ، وانما بعقلية المقبل على الاستمتاع بلذة قصوى : لذة حفر صورتى فى مخيلة الفتاة ، وقلبها ، وحدقتيها ٠٠٠ مدى حياتها !٠٠ صور لى خيالى الساذج اننى بفعلتى هذه أفرض نفسى على تفكيرها ، فأجعلها تحملنى فى رأسها وصدرها معا ، وتفكر فى حتى وهى فى أحضان زوجها ٠٠!

« ومضيت الى صيدلى القرية ، وكان يعرفنى ، فاختلقت له سببا كاذبا يبرر حصولى على جرعة من سم كنت أعلم سرعة مفعوله وقوته ٠٠ فأعطانى المخـــدوع ما طلبت ٠٠!

« وحل اليوم الذى حددته لتنفيذ فعلتى ٠٠ فرأيت أن أكتب الى شارلوت

رسالة وداع ، أحدثها فيها ــ للمرة الاخيرة ــ عن حبى ، وعن يأسى ، الذى دفعنى الى الفرار من الحياة ٠٠ من أجل نفسى ، ومن أجلها !٠٠ وتصورتها بخيالى وهى تقرأ الرسالة ، فوثب الى ذهنى هذا السؤال : « ترى ماذا عساها أن تفعل، حين تعلم بما اعتزمت ؟٠٠ أو يمكن أن لا يتحرك قلبها لفكرة انتحارى ٠٠ وأن لا تأتى مسرعة لتمنعه ؟٠٠ أجل ، انها سوف تسعى الى مخدعى ٠٠ وسوف تجدنى ميتا !٠٠ اللهم الا اذا أرجأت تنفيذ مشروعى حتى أرى نتيجة هذا « الاختبار » الجديد : حتى أرى اذا كانت ستحضر لتثنينى عن عزمى ، أم لا تحضر !

◆ « وراقت لى الفكرة الاخيرة ، فقررت أن لا أجرع السم حتى أعطيها فرصة لاظهار حقيقة شعورها نحوى !٠٠ وهكذا كتبت اليها رسالة قصيرة أصارحها فيها بما اعتزمت ، تاركا لها الخيار فى أن تحضر الى غرفتى قبل منتصف الليل ، اذا أرادت أن ترانى ٠٠ حيا !٠٠ والا فانى سوف أتناول السم فى اللحظة التى تدق فيها الساعة دقاتها الاثنتى عشر !

زيارة منتصف الليل !

◆ « ٠٠ وقضيت سحابة ذلك النهار كالحالم ، أو المنوم مغناطيسيا ، لا أكاد أعى مما يدور حولى شيئا !٠٠ وحين أويت الى مخدعى فى المساء ، جعلت أرقب تتابع الدقائق وبى شعور غريب من عدم المبالاة !٠٠ ولكن ، لم تكد الساعة تدق الحادية عشرة والنصف ، حتى بدأت دقات قلبى تزداد شدة وعنفا ، وان بقيت عزيمتى ثابتة وأعصابى متماسكة ٠٠!

◆ « وأخيرا ٠٠ قبيل منتصف الليل ، بدقيقة واحدة ٠٠ سمعت خطوات خفيفة تقترب ، ثم تتوقف أمام بابى ٠٠ وفى اللحظة التالية كانت شارلوت أمامى !

« وهتفت المسكينة، فى صوت متهدج فضح انفعالها : « آه، شكرا لله، لكونى لم آت بعد فوات الاوان !٠٠ لقد خشيت أن أجدك ميتا٠٠ يا للفظاعة! يا للفظاعة! لكن شيئا من ذلك لن يحدث ، أليس كذلك ؟ اقسم لى انك لن تقتل نفسك ! »

« ثم أخذت يدى فى يدها ــ التى كانت باردة كالثلج ! ــ ورمقتنى بنظرة متوسلة ، وقد سالت دموعها على خديها ٠٠ فأخذتها بين ذراعى وأنا أبكى ، والتقت شفاهنا !٠٠ قبلتها خلال عبراتى المنهمرة ، أحر القبلات ، وأرقها ، وأخلصها ٠٠ لكنها لم تلبث أن انتفضت مذعورة ، كمن تنبهت فجأة فتولاها الخجل مما سمحت به !٠٠ وانتزعت نفسها من بين ذراعى هاتفة : « ينبغى أن أذهب !٠٠ دعنى !٠٠ اياك أن تقربنى ٠٠ »

« فأجبتها : اذن فينبغى أن أموت ! انك لا تحبيننى ٠٠ والا لما قبلت

الزواج من رجل آخر ! » ‥ ثم تناولت قنينة السم السوداء من فوق المنضدة ، وأردفت : « لن تمضى خمس دقائق حتى يكون كل شىء قد انتهى !‥ اذهبى ، وشكرا لك على حضورك ‥ اذهبى ‥ وداعا ‥ لا تسلبينى شجاعتى ! »

« فصاحت مرتاعة : « كلا ، كلا !‥ سأموت أنا معك ‥ لقد تألمت بدورى كثيرا ، ولم أعد أحتمل ‥ فلنمت سويا ! »

« ومدت يدها لتختطف منى قنينة السم ، لكنى لم أمكنها من أخذها ‥ فاستطردت : « آه ، نعم ، دعنى أموت هنا ، معك !‥ لقد احببتك منذ عهد بعيد ‥ منذ عهد بعيد ٠ الآن أستطيع أن أصارحك بهذا ٠ صار من حقى ذلك ، ما دمت سأموت !‥ انك ستأخذنى معك ‥ سوف نرحل معا بعيدا ، نحن الاثنان ‥٠ »

« فأجبتها : أجل ، سنموت سويا ‥ أقسم لك ٠ ولكن ليس فى الحال ‥ أواه ! دعينى أحس أولا أنك تحبيننى ! » ‥ والتحمت شفاهنا مرة أخرى ، لكنها فى هذه المرة بادلتنى قبلاتى !‥ فأمعنت فيها ضما الى صدرى ، ولثما وتقبيلا ‥ وقد شعرت بها تتخاذل لعناقى ‥!

جبان ‥!

◆ « وبعد ساعات ‥ أخذت أرقبها على ضوء المصباح الخافت ، وهى راقدة بجوارى، على فراشى، غارقة فى النعاس‥ كانت هى نائمة، وأنا أفكر!‥ لقد انقضت السكرة ، وحلت الصحوة ‥ وما بدا لى فى أول الليلة بسيطا للغاية ، صائبا ، طبيعيا ‥ غدا الآن ، بعد ساعات معدودات ، فظيعا ، مستحيلا !‥ والا فلماذا نموت ، وكلانا ما يزال فى شرخ شبابه وزهرة عمره ، تتسع أمامه فرص الحياة والسعادة ؟‥ كلا ، بل لقد اعتزمت أن لا ننفذ ميثاقنا المشترك !

◆ « وأفاقت شارلوت من نومها ، فقبلتنى ، والساعة تدق الرابعة ‥ وقالت : « هيا ، اعطنى السم ، ولتدعنى أشربه قبلك ، فلا تقع عينى عليك وأنت تتألم ‥! »

« وكان لا بد أن أصارحها بما استقر عليه رأيى من العدول عن « مشروعنا » الجنونى !‥ فجثوت أمام الفراش وتناولت يدها وأنا أهتف بها مناشدا : « كلا ، كلا ‥ لا أستطيع أن أدعك تموتين أمامى ، ومن أجلى ‥ لا أستطيع أن أقتلك بيدى !‥ أتوسل اليك يا شارلوت ألا تطالبينى بتنفيذ تلك الخطة المشؤومة !‥ عند ما جلبت هذا السم كنت أعتقد انك لا تحبيننى ، فأردت أن أتخلص من حياتى ‥ أما الآن وقد ظهر انك تبادليننى حبى ، الى حد انك أسلمتنى نفسك ، فانى لم أعد أقوى على تنفيذ تلك الفكرة الجهنمية ‥ كلا ، مستحيل !‥ لست أستطيع ، بل لست أريد !‥ فلنعش يا حبيبتى ،

فلنعش ٠٠ ونستمتع بحبنا ! »

« كم أنفقت من الوقت وأنا أخاطبها على هذا المنوال ؟٠٠ وماذا أيضا قلت لها ؟ لست أدرى ٠٠ كل ما أدريه انها حملقت فى والدهشة ، بل الذعر والفزع ، يطفران من عينيها !٠٠ ثم وجدت صوتها أخيرا لتقول لى : « اذن أنت لن تعطينى السم ؟ حسنا ، اذا كنت أنت خائفا ، فأنا لست كذلك ٠ سوف أموت بمفردى !٠٠ أما أن تستدرجنى هكذا الى هذا الشرك ٠٠؟

« ثم نهضت من الفراش فانتعلت حذاءها وارتدت ثوب الغرفة الابيض ، واتجهت ـ دون أن تنظر الى ـ نحو الباب ٠٠ فلما بلغته التفتت الى وصاحت فى ازدراء قاتل : « جبان !٠٠ جبان ! »

« وقبل أن أتنبه لنفسى كانت قد اختفت ٠٠!!

اللقاء الاخير ٠٠!

◆ « وخلال النهار حاولت مرة أو مرتين أن أكلمها ، لكنها أشاحت عنى بحركة وقورة لم أستطع معها أن انطق بحرف !

« وكتبت اليها ٠٠ فوجدت خطابى بعد حين على منضدتى ، قد أعيد الى دون أن يفض !

« واستقر رأيى على مغادرة القصر ٠٠ وفى الليلة السابقة لرحيلى كتبت اليها أسألها أن تسمح لى بلقاء أحدثها فيه حديثا أخيرا ٠٠!

◆ « وفى هذه المرة قبلت أن تلقانى ٠٠ فى حجرتها ! وحين ذهبت فى الموعد الذى حددته وجدتها واقفة فى وسط الحجرة ، مرتدية ثيابها الكاملة ٠٠ كانت الساعة الحادية عشرة ٠٠ وابتدرتنى فى برود ـ باللهجة التى تخاطب بها خادما من خدمها ! ـ قائلة انها لكى تقف على نواياى وتعرفنى على حقيقتى قد تسللت الى غرفتى فى غيابى فكسرت قفل الدولاب الذى أحتفظ فيه بمفكرتى الخاصة وقرأت ما دونته فيهاعن مراحل الخطة التى رسمتها لاغوائها ، مرحلة بعد مرحلة !٠٠ ثم أضافت انها بدافع من الغيظ والحقد اللذين تملكانها على الاثر ، كتبت الى أخيها الاكبر الكونت اندريه خطابا صارحته فيه بكل ما وقع لها !

« ثم أضافت وهى تمد يدها الى زر الجرس الكهربائى القريب من فراشها : « انى ما سمحت لك بلقائى كى أصغى الى ما تريد أن تقوله ، فانه لا يهمنى فى شىء ولست أريد أن أسمعه ٠٠ وانما قبلت ذلك كى أذكر لك ما ذكرته ٠٠ فما دمت حريصا على حياتك على النحو الذى رأيته منك فخير لك أن تغادر القصر قبل وصول أخى !٠٠ والآن ، أخرج ! »

« واذ رأت جمودى وتلكؤى أضافت : « لا تحاول أن تخطو خطوة واحدة

الى الامام أو تقترب منى ٠٠ والا استدعيت الخدم كى يطردوك خارجاكاللص٠٠!»

« فتمتمت متوسلا : « شارلوت ! »

« لكنها أجابتنى وهى تنظر الى ساعتها : « اذا انقضت دقيقة أخرى ولم تخرج فسأدق الجرس ! »

« وخرجت ٠٠ وفى الساعة السادسة من الصباح التالى كنت قد غادرت القصر ٠٠!

الفاجعة ٠٠ !

◆ « وأنت تعرف - يا أستاذى العزيز - بقية القصة : فانى لم أكد أبلغ بلدتى (كليرمون) حتى سمعت بنبأ انتحار شارلوت ٠٠ ثم ألقى القبض على عقب ذلك مباشرة ، بتهمة انى قتلتها !٠٠ ومن أسئلة قاضى التحقيق لى استنتجت تفصيلات انتحارها : لقد سرقت جرعة من قنينة السم حين كسرت دولابى للاطلاع على مفكرتى الخاصة ، وعلى أثر لقائنا الاخير فى مخدعها تناولت تلك الجرعة ثم ألقت بالزجاجة الصغيرة التى كانت قد احتفظت بها فيها من النافذة ٠٠ فعثر عليها البستانى فى الصباح ، واعتقد الجميع اننى دسست لها السم فى العقار المنوم الذى اعتادت أن تتناوله فى المدة الاخيرة لمغالبة الارق ، واننى سارعت بالفرار على أثر ذلك من القصر لهذا السبب !!

◆ « ومنذ القاء القبض على حرصت على التزام الصمت التام بشأن حقيقة الدافع للفتاة على « الانتحار » ، وسأظل ملتزما هذا الصمت الى النهاية ، محافظة على شرف ضحيتى وسمعتها ، ولو دفعت حياتى ثمنا لهذا الكتمان !٠٠ ان الشخص الوحيد الذى يعرف براءتى ويملك الدليل عليها هو غريمى الكونت اندريه ، فان تحت يده خطاب شقيقته الذى باحت فيه له بما أصابها وبعزمها على الانتحار تكفيرا عن سقطتها وسترا لعارها ٠٠ فاذا آثر الشقيق أن يلتزم الصمت مثلى ، ويتركنى أموت عقابا على جريمة لم أرتكبها ، تكون نذالته هذه معادلة لنذالتى مع أخته ٠٠ ولا يحق له أن يعتز بنسب أعرق من نسبى أو شرف أنبل من شرفى ٠٠ بل أكون أنا ، بصمتى الحالى - دفاعا عن شرف أخته - جديرا بأن أزهو عليه ٠٠ وأذله من أعماق قبرى !

◆ « والآن ، وقد كاشفتك يا سيدى بكل قصتى ٠٠ هل أطمع منك فى رسالة قصيرة تخفف بعض بلواى وتدخل الراحة على نفسى ؟

« قل لى أنى لست وحشا كاسرا ، ومخلوقا ذميما ، فان تأنيب ضميرى يكاد يزهق أنفاسى ، وانى لفى أشد الحاجة الى من يفهمنى ، ويعزينى ، ويضمد جراح نفسى ٠٠ فالى من غيرك ألجأ فى محنتى هذه ، يا طبيب النفوس العظيم ؟

« أكتب الى ولو كلمة قصيرة ترفه عنى وتواسينى ، تنل الى الابد بركة المخلص « روبير جريسلو »

٣ ـ العدالة تأخذ مجراها ٠٠!

◆ مضى شهر على اليوم الذى حملت فيـه والدة « روبير جريسلو » الى الفيلسوف « ادريان سيكست » فى صومعته هذا المخطوط العجيب ٠٠ الذى قرأه الرجل وأعاد قراءته المرة بعد المرة ، مأخوذا بصراحته الكاملة ، مذعورا فى الوقت نفسه لمجرد التفكير فى أن مجهود حياته ، فلسفته العلمية الحبيبة ، يمكن أن يكون لها شأن بمثل هذه الوقائع المشينة المرذولة ٠٠ !

أو يمكن حقا ان تكون فلسفتـه فى دراسـة العـواطف وتحليلها ، أو تشريحها ، مسئولة ـ أى قدر من المسئولية ـ عن هذا الانحراف الذى انزلق اليه الشاب ، والضلال الذى أمعن فيه ؟ ٠٠

كانت هذه الفكرة مصـدر هـم وقلق دائمين للمحلل النفسانى الشهير طيلة الاسابيع الاربعة التالية ٠٠ فلما اقترب يوم محاكمة المتهم ، اعتزم الفيلسوف أن يذهب الى « ريوم » ليحضر جلساتها ويتابع تطوراتها عن كثب ، حتى اذا ما أدين الشاب ووجده المحلفون «مذنبا» سارع هو الى تقديم المخطوط الى رئيس المحكمة قبل أن يصدر هذا حكمه بتحديد العقوبة !

وفى الوقت عينه أرسل «سيكست» خطابا ، بغير توقيع ، الى الكونت أندريه يسائله فيه عما اذا كان ضميره وشرفه يقبلان ان يدان متهم « برىء » ، ويعاقب على جريمة لم يرتكبها ؟! ٠٠ ثم يذكره فى نهاية الخطاب برسـالة شقيقته المنتحرة ، التى تثبت براءة الشاب من تهمة القتل ، والتى يطوى الشقيق عليها يده ـ وضميره ! ـ بغير وجه حق !

لكن هذا الخطاب الذى أرسله الفيلسـوف الى الـكونت

أندريه لم يسلم اليه ، حيث كان فى «ريوم» ، الا وقد اقتربت محاكمة الشاب « روبير جريسلو » من نهايتها ، واشتدت على أعصاب الشقيق « الصامت » وطأة صمته الآثم ٠٠ فوقع عليه الخطاب المفاجىء وقع الصاعقة ! ٠٠ كيف لا وهو يثبت أن هناك انسانا آخر ـ غير المتهم ـ يعرف الحقيقة الكاملة !

وكان الكونت أندريه قد عمد قبل ذلك الى احراق رسالة شقيقته الاخيرة ، وبات مصير المتهم مفروغا منه ـ بعد أن أبى هذا فى عناد وتصميم أن يدافع عن نفسه ! ـ ما لم يخرج الشقيق عن صمته ويتطوع بسرد محتويات الرسالة المفقودة ، بلسانه ٠٠ ولسانه وحده !

◆ لكن هذا الخطاب الغفل من التوقيع الذى وصله قد بدل كل شىء ، وقلب الموقف كله رأسا على عقب ! ٠٠ أو لا يحتمل أن يتقدم مرسل الخطاب الى المحكمة بما يفضح صمته المريب ، ويكشف سوء نيته ؟ ٠٠ وكيف يسمح هو ـ «أندريه دى جوسا راندون» ، العريق فى النسب والحسب ـ بأن يزرى بموقفه ويزهو عليه مثل هذا الافاق الحقير ، الذى يريد اليوم أن يظهر بمظهر الرجل الشجاع ٠٠ حتى الموت ؟!

◆ وانتهى الكونت من تفكيره الى اعتزام مواجهة الموقف ، كما ينبغى على مثله أن يواجهه ! ٠٠ فلما كان صباح اليوم التالى ، أخذ طريقه ـ يختال فى سترته العسكرية الرسمية ـ الى دار العدالة ، حيث فاجأ المحكمة بأن عنده أقوالا على أكبر جانب من الاهمية ، يريد أن يدلى بها أمامها ٠٠ !

ثم سرد الشاهد على هيئة المحكمة الموقرة ، القصة الحقيقية الكاملة لمأساة شقيقته شارلوت ! ٠٠٠ وكان بين الحاضرين من

النظارة ، المذهولين ، والدهما المركيز دى جوسا راندون ·· الذى لم يكد يسمع قصة عار ابنته ، حتى سقط من مقعده ·· فحملوه الى الخارج فاقد الوعى !

حكم القضاء ·· وحكم القدر !

◆ وحين أطلق سراح المتهم « روبير جريسلو » على الاثر، هرع من فوره الى الفندق الذى كانت تقيم فيه والدته وأستاذه الفيلسوف « أدريان سيكست » منذ وصولهما الى البلدة لحضور محاكمته ·· وعند باب الفندق أنبأه واحد من السقاة بأن الكابتن أندريه قد سأل عنه منذ فترة ·· فصاح الشاب بمحدثه:

ـ وأين هو ؟

وقبل أن يسمع جوابا اندفع الى الطريق حيث أشار له الساقى ·· متجاهلا صيحات أمه ونداءها المتكرر له بالعودة ·· !

وفى الجانب الآخر من الشارع وجد غريمه ، فسأله فى ترفع: « أعندك شىء تقوله لى ياسيدى ؟ انى طوع اشارتك !»

فأجابه الكونت أندريه : « كلا ياسيدى ·· فالمرء لا يبارز الاشخاص الذين من طرازك ·· وانما يعدمهم !»

ثم تناول مسدسه من جيبه ، والشاب يواجهه فى ثبات وهدوء ، وأفرغ رصاصة منه فى جبهته !!

واذ هرع الناس وتزاحموا من كل صوب منزعجين ، وجدوا الضابط ـ الذى كان قد ألقى سلاحه بعيدا ـ واقفا ينظر الى جثة غريمه ، وقد عقد ساعديه ·· فلما اقتادوه ، دون أدنى مقاومة ، اكتفى بأن قال فى هدوء ، وهو يلقى الى الجثة نظرة أخيرة :

ـ لقد أخذت العدالة مجراها !

الجريمة.. والعقاب



من قصص الجاسوسية

في الحرب والسلم

عزيزى القارىء ...

فى ٨ يناير سنة ١٩٤٩ انعقدت محكمة الجنايات الفرنسية الرابعة عشر، فى قصر العدالة بباريس، كى تصدر حكمها فى قضية امرأة تدعى «ميشلين كاريه»

كانت هذه المرأة ــ كما ظهر من المناقشات التى دارت أثناء محاكمتها ــ تلقب ب « القطة » .. وكانت حسناء رائعة الجمال ، رشيقة الجسم ، ذات شعر فاحم ، وعينين ساحرتين ، وأسنان لؤلؤية ناصعة .. وصفها الكولونيل « مارسيل آشار » ــ من قلم المخابرات الفرنسية ــ بأنها « من أعظم الجاسوسات الاوربيات فى التاريخ! » .. وشهد لها فى المحكمة بقوله :« ان مدام كاريه قد أدت خدمات جليلة للجيش الفرنسى، واستطاعت أن تسلم الى أيدينا الكثير من خطط الجيوش الالمانية ! »

لماذا اذن حوكمت هذه المرأة أمام محكمة الجنايات .. الفرنسية ؟ .. وما سر شخصيتها « المزدوجة » التى حيرت سلطات الحلفاء كما حيرها بعد ذلك « الدكتور كلاوس فوخس » حين أفشى أسرار القنبلة الذرية لروسيا !

ان قصتها تجمع بين كونها من قصص الجاسوسية ، وقصص المحاكمات الكبرى ، فى آن واحد !.. وهى قصة تفوق فى غرابتها قصة الجاسوسة المشهورة « ماتاهارى » .. بل تفوق قصة الجاسوسة الفلسطينية القديمة « دليلة » .. فدليلة قد وشت بشمشون واحد .. أما (القطة) فوشت بخمسة وثلاثين شمشون !



من روائع قصص الجاسوسية الواقعية خلال الحرب الأخيرة

القطة ..!

◆ فى سنة ١٩٣٩ ، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، كانت تعيش في قرية صغيرة بالقسم الجنوبى من بلاد (الجزائر) حسناء فرنسية تدعى « ميشلين كاريه » ، متزوجة من ضابط بالجيش الفرنسى المعسكر فى تلك البلاد ٠٠ وكان مرتب الزوج ضئيلا ، لا يكاد يكفى لسد مطالب المعيشة الضرورية ، فاضطرت الزوجة الى العمل كمدرسة باحدى المدارس الفرنسية هناك ٠٠

وكانت ميشلين موضع حسد جاراتها من نساء الطبقة المتوسطة والوضيعة اللواتى يعشن فى تلك القرية ، فقد وهبها الله جمالا يأسر القلوب : عينين عسليتين ترمقانك من تحت حاجبيهما الكثيفين ، وشفتين ممتلئتين تنشقان عن صفين من الاسنان اللؤلؤية الناصعة ، وشعرا كستنائيا جميلا تنسدل خصلات منه على جبينها الوضىء ٠٠ ثم ساقين «معبرتين» تنم عضلاتهما حين تعقدهما كلما جلست ، عن « شخصية » قوية تلفت النظر !٠٠ ورغم بساطة ثيابها التى تفرضها عليها ضآلة مواردها ، فانها كانت تبدو دائما ٠٠ أنيقة !

وكان اذا هبط القرية الضائعة رجل من «العالم الخارجى» ، لا تفلت مدام كاريه من اعجابه بأى حال ، ففى مثل ذلك المجتمع المحدود يكون جمال كجمالها أمرا ملحوظا ! ٠٠ ورغم ذلك فقد كان مسلكها على الدوام ٠٠ نموذجيا

◆ ثم نشبت الحرب ٠٠ واستدعى الزوج للسفر الى فرنسا ، كى يلحق بجيشها الرئيسى ٠٠ فرأت الزوجة ـ التى لم تكن سعيدة بحال في تلك البلاد النائية ـ ان فرصتها المنشودة للعودة

الى وطنها قد حانت ، فاعتزمت السفر الى باريس • وساعدتها الظروف على تحقيق أمنيتها ، فقد أعلنت السلطات الفرنسية عن حاجتها الى نساء يعملن كممرضات ، فسارعت مدام كاريه الى تقييد اسمها فى سجل المتطوعات • وفى اللحظة التى تسلمت فيها جوازالسفر وتذكرة الباخرة ، تنفست الصعداء•• أحست أن حياتها الحقيقية قد أوشكت أن تبدأ !

وقبيل رحيلها التقت بزوجها فى مدينة (الجزائر) ، وهو يتأهب للرحيل الى جبهة القتال ــ وكان ذلك فى الواقع لقاءهما الاخير ، فانه لم يلبث أن سقط قتيلا فى الميدان !

مغامرة فى بلاد الجزائر •••

◆ ويبدو أن الزوجة التى ضاقت بحياة القيود فى قريتها الضائعة ، قد تعجلت حريتها الموعودة •• فان مفكرتها الخاصة تحدثنا عن الليالى القليلة التى قضتها فى مدينة الجزائر فى انتظار موعد الرحيل ، حديثا عجبا : «**خرجت ذات ليلة مظلمة أجوب ضواحى المدينة •• ثم جلست على مقعد خشبى فى احدى الحدائق العامة بالحى العربى الخلاب ، فلم يلبث أن أقبل شاب فرنسى يافع ، يرتدى زى رجال فرقة المظلات ، وجلس**



بجانبى !٠٠ كان فتى جذابا ، استخفه الفرح بقـــرب رحيله الى بلاده فراح يثرثر معى دون كلفة ٠ وأدركت من حديثـــه أنه يحسبنى فتاة جزائرية ، فجاريته فى ظنه ، وتحـــدثت اليه بلهجة الجزائريات !٠٠ ويالرقة العبارات التى همس بها فى سمعى فى جلستنا تلك !٠٠ وبعد حين دعانى الى الـذهاب معه الى أحد المقـاهى ، فلما رآنى فى الضـــوء وأدرك الى أية امرأة قد وجه عباراته الجميلة وهمساته الرقيقة ، بدا عليـــه الارتباك الشديد ٠٠ لكنى بادرت الى ازالة ارتباكه بأن دعوته بدورى الى تناول الافطار معى فى الفندق فى صـباح اليـوم التالى٠ وكانت علاقتى معه أشبه بقصيدة رائعة من قصائد الشعر !»

باريس الخالدة !

◆ وأبحرت فرقة جنود المظلات على نفس الباخـــرة التى استقلتها ميشلين الى وطنها ٠٠ وقد علقت على ذلك فى مفكرتها بقولها : « ان ذلك الضابط الفرنسى اليـافع قد صاحبنى فى السفينة طيلة مدة الرحلة ٠ »

ولدى وصولها الى باريس ، استقرت المرأة فى فنـــدق يقع فى وسط المدينة ٠٠ وكتبت فى مفكرتها : « ياله من بلد ، ويالها من مدينة ! لست أستطيع تصـــور امكان غزو الالمان لباريس ٠٠ هذه المبانى التاريخية العظيمة ، ونهـــر السين الخالد ، وأرصـــفته الاثرية ، وكنيسة نوتردام ، والدوم ، والانفاليد ٠٠ انها كلها جزء منا نحن الفرنسيين ، ونحـــن جزء منها !٠٠ وهذه الشوارع الحافلة بالحياة ، والمقاهى الزاخرة بالناس ٠٠ أية مشاعر تثيرها فى نفسى ! لكم أنا سعيدة ٠٠

لكأنى فى الجنة !٠٠ ولســـوف أقوم بنصيبى من الواجب كى لاتنتصر جهنم على الجنة !»

الاحداث تتوالى سراعا ٠٠!

◆ وفى اليوم التالى قدمت ميشلين نفسها للسلطات المختصة ، ثم بدأت على الاثر تتلقى التدريب اللازم فى أحد مستشفيات باريس ، فوجدها رؤساؤها « مجتهدة ، يعتمد عليها ، تكرس نفسها للعناية بالجرحى ٠٠»

وعندما انهارت فرنسا ، صــدمت ميشيلين صدمة رهيبة ٠٠ وفرت من وجه الالمان الزاحفين كما فر نصف أهل فرنسا يومئذ !٠٠ ثم أقامت محطة اسعاف للصليب الاحمر فى جهة « بوفيه » ٠٠ ومنها انتقلت مع أفواج المهاجرين عبر وديان فرنسا حتى انتهى بها المطاف الى الاستقرار فى مدينة (تولوز) ٠٠ وهناك نظمت مرة أخرى من تلقاء نفسـها مركزا للعناية بالجرحى ٠ واقترحت على الضباط الفرنسيين أن ينشئوا معسكرا خاصـا لاستقبال الطوابير التى فصلت عن وحداتها الرئيسية ٠٠

◆ وفى غمرة نشاطها الخارق التقت ميشلين برجل بدا لها أكثر من سواه احتياجا الى معونتها ٠ كان بولنديا يعمـل كضابط اتصال بين جيش البولنديين الاحـرار والجيش الفرنسى ٠٠ وكان قد قاتل الالمان ، وأسر ، وفر من الاسر ٠٠ وبعد مغامرات قاسية لقى فيها الامرين من الجوع ، والتعب ، والمرض ، وقع بين يدى ميشلين كاريه ٠٠ فأنقذته من بؤسه ، وأطعمته ، وكسته ، ومرضته ، ثم أمدته بشجاعة جديدة !

كان اسمه « رومان سزرنياوسكى» ، فأطلقت عليه اسم «ارمان» وسماها هو « قطتى !» ، نظرا لنعومتها الخطرة !٠٠ وتوثقت الصلات بينهما ، حتى غدت أكثر من مجـرد علاقة حب !٠٠ فلقد أسر اليها ارمان بخطته بشـأن انشاء حـركة «مقاومة» فى فرنسا ، تهدف الى التجسس على الالمان ومحاربتهم بكل الطرق ، أينماوجدوا٠٠فوافقت القطة علىالفكرة مرحبة !

◆ وكان عليهما أن ينظما حركة اتصالات متشعبة مع عدد كبير من ضباط الجيش الفرنسى ، سواء فى المنطقة المحتـلة وغير المحتلة ٠ ولم يكن فى وسع الضابط البولنـدى أن يطأ بقدمه المنطقة المحتلة ، فأسند الى « القطة » مهمة القيـام بتلك الاتصالات ، فاضطلعت بها على خير وجه ، وبنشـاط خارق ٠٠ حتى صارت تلك المنظمة منأنشط منظمات المقاومة والتجسس الفرنسية ٠ ولم يلبث أن انضم اليها الكولونيل « مارسـيل أشار » ، أحد كبار رجال المخابرات الفرنسيين٠٠

هل يهاجم الالمان جبل طارق ؟

◆ فى تلك الفترة كان السؤال الهام الذى يشـغل أذهان الدول المتحالفة بشأن أعدائها الالمان هو هـذا : هـل يبقى الالمان على حدود اسبانيا ، أم أنهم قد تفاهموا سرا مع الجنرال فرانكو على أن يسمح لهم بعبور بلاده لمهاجمة جبلطارق ؟

وعهد الكولونيل «أشار» الى (القطة) باسـتطلاع نوايا الالمان فى هذا الصدد ، فسافرت الى (بيارتز) – قرب الحدود الاسبانية – حيث كانت تتجمع وحدات الدبابات والطـيران الالمانية بكثرة توحى بالتأهب لحملة ضخمة !٠٠ **وكان الضباط**

الالمان يترددون على مقهى فى تلك المدينة يطلق عليه (كافيه دى بارى) ٠٠ فتعرفت القطة الى واحد منهم يشغل مركزا هاما فى تموين سلاح الطيران الالمانى ، ثم كتبت فى مفكرتها : « وشربنا الشمبانيا ، فى المقهى أولا ، ثم فى مكان آخر ٠٠ وحرصت على أن لاأفقد وعيى وادراكى ، وفيماعداذلك لم أتحرج عن شيء !» ٠٠ وعن طريق مراقبة القطة لهذا الضابط عن كثب ، استطاعت أن تكون أول من توصل الى معرفة نبأ عدول الالمان عن فكرة الزحف على جبل طارق ٠٠ فنقلت هذا النبأ من فورها الى الكولونيل أشار !

◆ وحين كانت تعود الى مقر الجماعة ، والى أحضان حبيبها ارمان ، كانت سعادتها تستخفها حتى لتخرجها عن طورها : « لكم أحبه ! انى أدعوه « توتو الصغير » ، وأصيح به : أيها الجنرال ، أناطوع أمرك !٠٠ ولقد تعانقنا بالامس ورقصنا وقفزنا فى حجرتنا بالفندق ، فان الدنيا بأسرها والنصر على الدنيا بدا فى متناول يدنا فى تلك اللحظات ! ان الحياة معه أشبه بالتحليق فى الهواء ، وان لى فيه لثقة غير محدودة ٠٠»

◆ ونجحت المنظمة فى كثير من المهام الخطيرة ، حتى ذاع صيتها لدى السلطات الفرنسية والانجليزية على السواء ، واعترفت ادارة المخابرات البريطانية بخدماتها الهائلة ، ولاسيما فى تزويد جيش المقاومة بالاسلحة عن طريق الجو والبحر ، ثم فى تهريب الفارين من معسكرات الاعتقال الالمانية الى كل من اسبانيا وسويسرا ٠٠ وهكذا احتل اسم (القطة) مكانا مشرفا فى سجلات ادارات المخابرات بباريس ولندن ، وأشاد بخدماتها الكثيرون من رجال الحرب ٠٠!

« فيوليت » !

◆ وذات يوم ، قرر «ارمان» و «قطته » أن يبحثا عن امرأة أخرى تعاونهما فى المهام الاقل خطورة ، مثل التردد على المقاهى والملاهى ومجالسة الالمان بغرض جمع مايتيسر جمعه من المعلومات التى قد تكون نافعة ٠٠ وقد عثرت القطة على ضالتهـــا فى شخص امرأة تدعى «فيوليت» ، حرصت عند انتقائهـــا على أن تكون ذات طابع لايعجب ارمان !٠٠ لذلك كان حنقها شديدا حين اكتشفت ذات يوم أن هذه المرأة لم تسلم هى الاخـــرى من اعجابه !٠٠ ومنذ ذلك الحين لم تتوان القطة عن انتهـــاز كل فرصة لتحريض صاحبها على ارسال غريمتها فى مهـــام صغيرة «خارج» باريس ، معللة طلبهـــا بعدم الاطمئنان الى اخلاصها ، لكنه كان يجيبها فى كل مرة مداعبـا : «هل تغارين منها ؟ »

◆ **وقد صدق حدس القطة ـ أوصدقت غيرتها ! ـ فجلبت عليهما فيوليت كارثة الكوارث : كلفت يوما باستدراج ضابط ألمانى الى الافضاء ببعض المعلومات ، فراحت تستجوبه فى مكان عام ، غافلة عن شخص آخر كان ينصت الى حديثهما باهتمام من وراء صحيفة يتظاهر بقراءتها !٠٠ وحين نهضت تبعهـــا ذلك الشخص من بعيد ٠٠ ثم تعقبها أعوانه فى الايام التالية ، ورأوها مع ارمان والقطة فى أكثر من مناسبة ٠٠ فلما كانت الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤١ ألقى القبض على كل من ارمان وفيوليت بمعرفة ادارة مكافحة الجاسوسية التى يرأسها الثعلب الالمانى الاميرال «كاناريس» !**

وبعد ساعات معدودات قبض على القطة ، وأودعت أحـد

السجون الحربية ، حيث أرهق أعصابها سكون زنزانتها ، وجهلها بمصير ارمان وبقية زملائها ، ثم توقعها لصنوف التعذيب الرهيبة التى سوف تصيبها من الالمان !

الضابط ·· الرقيق !

◆ وأقبل الليل ، فأيقنت ميشلين فى ظلمة زنزانتها ان الموت مصيرها لامحالة ! وارتجفت من هول التفكير فى الوسيلة التى عساهم أن يستخدموها فى اعدامها !·· وفجأة أضىء النور من الخارج ، ثم فتح الباب ، ودخل منه ضابط ألمانى شاب ·· فحدجته القطة بنظرة مذعورة ، وهى جالسة على مقعدها المنخفض فى ركن الزنزانة · وخيل اليها من النظرة الاولى أن الرجل « أرق حاشية » من الالمان الذين عرفتهم أو سمعت عنهم !·· وقوى ظنها حين تلطف الضابط معها فى الحديث ·· حدثها عن حياتها السابقة فى الجزائر ، وعن باريس ·· وعن « تسريحة » شعرها التى تجعلها تشبه صورة « جان دارك » !·· وكتبت ميشلين فى مفكرتها : « كان الرجل الذى دخل زنزانتى انسانا ! » ·· وكم أدهشها أن وجدت نفسها تشتبك معه فى حديث لطيف منوع !·· ثم قال لها بصوته الرقيق الناعم : « أعتقد أن هذا المكان غير مريح ، فهل تحبين أن تذهبى الى مكان آخر ؟ »

وكانت « النكتة » قاسية ، فهزت السجينة كتفيها فى يأس وهى تنظر الى الارض ·· وحين رفعت عينيها بعد لحظات ·· كان الرجل قد اختفى !

◆ وبعد حين فتح الباب من جديد ، وأقبل حارس أشار

اليهـا أن تتبعه ٠٠ فمضت فى أثره من ممر الى ممر ، حتى انتهى بها الى حجرة ٠٠ وجدت فيها صاحبنا !٠٠ ولكن ، لشد مابدا متغيرا فى ثيابه المدنية الانيقة ، وقفازيه ، ورباط رقبته الفاخر ، والسيجارة فى فمه !٠٠ لكأنه فرنسى من باريس !

وقادها الشاب الى سيارة كبيرة استقلاها سويا ، بعد أن أسدل الستائر على نوافذها ٠٠ ثم انطلقت بهما تنهب الطريق الى احدى ضواحى باريس ، حيث توقفت أمام فيللا جميلة تحيط بها حديقة غناء ٠٠ عرفت فيها ميشلين من فورها فيللا الممثل الفرنسى الكبير « هارى بور » ، فسقط قلبها ! كانت تعلم أن السلطات الالمانية قداستولت على الفيللا المذكورة واتخذتها مقرا لادارة مكافحة الجاسوسية ٠٠ ولاشك أنهم لاينقلون اليها الاالجواسيس الخطرين الذين يريدون التنكيل بهم ! وخيل الى « القطة » أنها تقرأ على بوابة الفيللا عبارة دانتى الخالدة : «طلق الامل ، أيها الداخل الى هنا!»

باب ٠٠ يفضى الى مخدع !

◆ ولكن ، أهى حقا فى ادارة « مكافحة الجاسوسية » الالمانية ؟٠٠ ان كل شىء يجعلها تحس كأنها فى حلم : خدم مؤدبون ، وصالون أنيق ٠٠ تركت وحدها فيه !٠٠ وفجأة يفتح الباب فيقبل منه الضابط كى يقودها عبر الردهة الى حجرة أخرى فاخرة الرياش ، بها باب موارب ٠٠ يفضى الى مخدع !

ماذا حدث فى تلك الليلة ؟؟

ان مفكرة القطة لاتجيب على هذا السؤال ٠٠ وقد حاولت المحكمة فيما بعد أن تهتدى الى جوابه ، فسأل رئيسها المتهمة:

ـ اسردى القصة بأكملها، كماحدثت ٠٠منذدخلت الفيللا !

ـ لقد سردتها كما حدثت بالضبط ، لكننى لاأرى بأسا فى تكرارها : بعد أربعة عشر شهرا من الكفاح والجهد الشاق المتواصل من أجل حركة المقاومة ، القى القبض على وأخذت الى فيللا هارى بور ٠ كنت فى قبضة الالمان ٠٠ ولم يتركنى الضابط « هوجو بلايخر » بمفردى لحظة واحدة !٠٠

ـ أوكان هذا اسمه الحقيقى ؟

ـ من أين لى أن أعلم ؟

ـ حسنا ، لقد كنت سجينة « بلايخر » ، فهل غدوت خليلته منذ تلك الليلة الاولى ؟

ـ هلا وضعت نفسك مكانى ياسيدى القاضى ؟

ـ أجيبى على سؤالى : هل غدوت خليلته فى تلك الليلة الاولى ؟

ـ أويجب حقا أن أقص عليك تفصيلات الامر كله ياسيدى؟

ـ لماذا صرت خليلته ؟

ـ قال لى بلايخر : « اذا أطعتنى فسوف أطلق سراحك الليلة ٠٠٠ فأطعته !

ـ أولم يصدمك ، وأنت أرملة ضابط فرنسى ، أن تصبحى خليلة ألمانى من أعداء وطنك ؟

ـ بل ان ذلك صدمنى ياسيدى القاضى ٠٠ صدمنى جسمانيا ولاشك !

ـ وماذا أيضا حدث فى تلك الليلة ؟

لا جواب !

ـ أريد أن أعرف ماذا أيضا حدث فى تلك الليلة ؟

لا جواب !

– نحن جميعا نريد أن نعرف حقيقة ماحدث ليلتئذ !٠٠ فأنت قد قضيت أربعة عشر شهرا تعرضين نفسك لكافة صنوف الاخطار ، من أجل حركة المقاومة ٠٠ لكنك بعد ليلة واحدة مع هذا الضابط الالمانى نسيت كل ماضيك ، نسيت فرنسا ونسيت نفسك ! وخلال الثمانى ساعات التالية لتلك الليلة سلمت الى ذلك الـ « هوجو بلايخر » الخمسة والثلاثين عضوا الرئيسيين من أعضاء حركة المقاومة ٠٠ والآن : ماذا حدث فى تلك الليلة ؟

ثبت القاضى « درابييه » عينيه على المتهمة وحدق فيها بنظرة ثابتة ، لاكثر من دقيقة !

لكنها أبت الاجابة !

حركة اعتقالات ٠٠ بالجملة !

ولنعد الى الوراء مرة أخرى :

◆ فى الصباح التالى لتلك الليلة التى قضتها «القطة» فى مخدع «هوجو بلايخر» ، استقل الاثنان سيارة صغيرة تحمل فى مقدمتها ومؤخرتها أرقاما فرنسية ، وانطلقا بها عبر شوارع باريس الى حيث يقيم اثنان من أعضاء منظمة المقاومة ٠٠ وحين بلغا المنزل المقصود صعدت ميشلين وحدها فطرقت الباب طرقات خاصة ، فتحه الرجلان على أثرها ٠٠ فهمست لهما فى انزعاج : « ان ارمان قد اعتقل ، وينبغى أن نبادر بالفرار من هنا !» ثم تلت ذلك مناقشات ومشاورات استغرقت دقائق ، اقتنع الرجلان فى نهايتها بخطة «القطة» ٠٠ **ولكن فجأة سمع الثلاثة طرقا على الباب ، ففتحته المرأة ٠٠ واذا ثلة**

من الجنود الالمان يشهرون فى وجههم أسلحتهم ، ويأمرونهم بأن يتبعوهم الى السيارات التى تنتظرهم فى الشارع ..!

ثم اتبعت القطة نفس الخطة فى اعتقال بقية زملائها البارزين ، دون أن تظهر فى نظرهم بمظهر الخائنة !.. فلم تنقض ثمان ساعات حتى كان قد اعتقل من أفراد المنظمة ... خمسة وثلاثون !

◆ وظلت القطة شهرين تدور فى فلك « بلايخر » .. كانت تعرف من زملائها الباقين جميع الاسرار ، وتفضى بها اليه أولا بأول !.. وكان الوحيد من زملائها الكبار الذى نجا من الاعتقال : الكولونيل آشار ، رغم أن بلايخر كان يتحرق شوقا الى « رأسه » أكثر من سواه .. وقد شهد الكولونيل فى المحكمة بأن القطة : «كانت تعرف المكان الذى أختبىء فيه ، لكنها لم تدلهم عليه مع ذلك !» .. وقد اقتضاها ذلك أن تختلق الاعذار لبلايخر كلما طالبها بالارشاد عن مكانه ، زاعمة ومقسمة بأغلظ الايمان أنها تجهل ذلك المكان .. حتى صدقها فى نهاية الامر !.. لكنها وعدته بالايقاع بزميل آخر من زعماء المنظمة «المرموقين» ، يدعى « بيير فومكور » ، فى أول فرصة تسنح لذلك ..!

◆ وخلال هذا استمرت القطة فى تمثيل دورها أمام زملائها باتقان تام ، مدى شهرين كاملين ، دون أن يجول بخاطر واحد أو واحدة من أعضاء المنظمة أن زميلتهم الباسلة التى أعادت تنظيمهم بعد حركة الاعتقالات ، والتى كانت تمدهم فى كل مناسبة بشجاعة جديدة ، هى هى الخائنة الاثيمة التى وشت بزعمائهم الخمسة والثلاثين !

وفى كل ليلة كانت « القطة » تستقل سيارة تحملها خفية الى «فيللا هارى بور» ، حيث تفرغ مافى جعبتها من المعلومات والاسرار والخطط التى دبرت فى المنظمة خلال النهار !٠٠ وذات ليلة قال لها بلايخر مبتسما : « عندى مفاجأة لك ٠٠ عندما تعودين الى المنظمة سوف تجدين « فيوليت » هناك ! انها لـم تعتقل حقا طيلة فترة غيابها ، فانها تعمل لحسابنا ٠ ولا تخشى أن تشى لزملائك بقصة اشتغالك معنا ، فهى كتومة للغاية ! »

من يحفر حفرة لاخيه !

◆ وذات يوم أفضت القطة لصديقها بلايخر بأن المشـكلة الكبرى التى تواجه رجال المقاومة هى استئناف المخابرات مع زملائهم فى بريطانيـا ، بعد أن اعتقل جميع الوسطاء وضباط الاتصال ، فأوحى اليها بأن تقنع زملائها بارسال «بيير فومكور» الى انجلترا كى يقوم بمهمة ضابط الاتصال ، تمهيدا للايقاع به فى الطريق ! ٠٠ **فانتهزت الماكرة فرصة التقائها بالمذكور مع بعض زملائهما فى ملهى « بام بام » بالشانزليزيه ، وعـرضت الاقتراح ، فقبل على الفور ٠٠ ولم يبق الا تدبير وسيلة التسلل الى انجلترا ، بعد أن باتت جميع منافذ الخروج من فرنســا مراقبة من جانب الالمان ٠٠ !**

◆ لكى القطة عادت الى زملائها بعد أيام تقول انها اهتدت الى « مخرج » سرى من القارة ، وتطوعت بأن ترافق « فومكور » الى انجلترا كى تسهل مهمته ، بفضل شهرتها هناك لدى رجال ادارة المخابرات ! ٠٠ وكان بلايخر قد عدل الخطة على هـذا الاساس كى يستخدمها للتجسس عـلى الانجليز فى بلادهم ،



بمعاونة فومكور الساذج الذى لايرتاب فى شىء !

ووصل الاثنان – طبعا – فى سلام الى لندن ، حيث لبثت القطة تتجسس على وزارة الحرب البريطانية وترسل أسرارها الى بلايخر – عن طريق فيوليت – أكثر من تسعة أشهر كاملة !

◆ ثم حل اليوم الاسود الثانى فى حياة « ميشلين كاريه » ٠٠ فان ادارة «مكافحة الجاسوسية » الانجليزية أثبتت أنها أكثر تشككا من رجال المقاومة الفرنسية ٠٠ فتوصل ضباط « سكوتلانديارد » أخيرا الى كشف اللعبة ، فاعتقلوا القطة – فى يوليو سنة ١٩٤٢ – وأبقوها فى السجن حتى نهاية الحرب !

المحاكمة ٠٠ !

◆ وفى يناير سنة ١٩٤٩ مثلت « ميشلين كاريه » أمام قضاتها الفرنسيين ، هادئة ثابتة الجنان ، تتأمل بعينيها الحالمتين السقف الموشى بالذهب لقاعة المحكمة الباريسية ٠٠!

ووقف ممثل الاتهام يصب لعناته على رأسها : « **لقد لبثت شهرين كاملين تمارس أبشع أعمال الخيانة ٠٠ وانى اذ أترك هذه الآثمة لعدالتكم أذكركم بأن تضعوا نصب أعينكم ، كلما فكرتم فى أن ترأفوا بها : خبثها ، ودهاءها ، ومثابرتها على**

الشر ، كما تنكشف كلها لكم سواء من أعمالها أو من مذكراتها الشخصية التى تلوت على عدالتكم فقرات منها ، والتى تظهرها على حقيقتها تماما : عقـــلا بلاقلب !٠٠ فاذاتدبرتم ذلك كله ، لم تبق لكم غير عقوبة واحدة تحكمون بهاعليها : الموت !

◆ أما ممثل الدفاع فلم يجد فى جعبته غير أن يقول : « انى أقر بذنبها !٠٠ ولكن ينبغى قبل أن تصدروا حكمكم عليها أن تذكروا أن هذه المرأة قد أدت من أعمال البطولة والخـدمات الجليلة لحركة المقاومة الوطنية ما لا سبيل الى انكاره ٠٠ وانها قد عاشت أعواما معرضة حياتها - طائعة مختارة - لخطر الموت فى أية لحظة ، فهل تطاوعكم ضمائركم على أن تحكموا بالموت على انسانة مثلها زرعت فى البداية بذور الايمان ، ثم ضلت طريقها فى النهاية ؟! »

◆ وقبل أن تنطق المحكمة بالحكم فقدت القطة سيطرتهـا على أعصابها ، للمرة الاولى، فصاحت من قفص الاتهام : «**انى أنتظر الحكم دون خوف ٠٠ لكننى لاأملك الأن أذكر أنه بينمايطلب لى هنا حكم الاعدام ، يعيش هوجو بلايخر الآن حـــرا ٠٠ فى « هامبورج » !**

ونطق القاضى بالحكم : بمعـــاقبة ميشلين كاريه ٠٠ بالاعدام !

ولكن ٠٠قبيل تنفيذحكم الاعدام فى المتهمة ، أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية قرارا بتعديل الحكم الى الاشغال الشـاقة المؤبدة !

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

قبل أن أقدم لك اليوم هذه الفصول الجديدة من مأساة قلب « فيكتورهوجو » .. دعنى ألخص لك ، فيما يلى ، الفصول السابقة من هـذا الكتاب الممتع الذى وضعه « ليون دوديه » ، ابن الاديب المشهور « ألفونس دوديه » ، وزوج حفيدة فيكتور هوجو فى الوقت نفسه !

وبهذه المناسبة ، أجيبك على مسألتنى عنه فى بعض رسائلك ، عن سر اختيارى نشر هذا الكتاب مسلسلا ، مفصلا .. وعما اذا كانت فصوله التى أنشرها هى ترجمة كاملة للكتاب، أم تلخيص له ؟.. والجواب ان هذه الفصول تلخيص للكتاب - لا ترجمة - ولكنه تلخيص مطول ، اخترته له بدلا من التلخيص المركز لانه أكثر ملاءمة لطابع هـذا الكتاب الذى لا يسرد حوادث ووقائع بقدر ما يرسم « لوحات » فنية رائعة ، و « صورا » نفسية خلابة لا تطاوعنى نفسى على أن أحرمك منها أو أشوه جمالها بالايجاز المخل ..

والآن، اليك موجز الفصول السابقة :

كان « فيكتور هوجو » فى زهـرة شبابه ، وقمة مجده الادبى ، حـين اكتشف ذات يوم أن زوجته المحبوبة « أديل » ، التى تزوجته بعد علاقة حب دامت أعواما .. تخونه مع أعز صديق

(اقرأ البقية على صفحة ١٥٨)





ليون دوديه

مأساة قلب

قصة غراميات وفواجع ڤيكتور هوجو في حياته الخاصة

بقية المنشور على صفحة ١٥٦

له : الناقد المشهور ، القبيح الخلقة « سانت بوف » !٠٠ فلما كاشفها زوجها بالامر ، بعد تردد طويل ، اتهمته بأن خياناته المتكررة لها ، مع ممثلات المسرح وفتيات الحوانيت ، هى المسؤولة عن انصراف قلبها عنه!

وتكررت المواقف الموجعة بين الزوجين ، حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق !٠٠ وبدأت رائحة الفضيحة تفوح ، والناس يلوكون اسم الشاعر العظيم فى معرض الغمز واللمز ٠٠٠ حتى فكر هوجو فى الانتحـــار !

فى تلك الازمة النفسية القاسية ، التقى فيكتور هوجو يوم ٢ يناير سنة ١٨٣٢ ، فى ندوة من ندوات أهل الفن ، بالممثلة الشابة « جولييت درويبه » ، أجمل نساء باريس فى ذلك الوقت ! وكانت جولييت قد ملت ملذات الجسد العابرة فى أحضان عشاقها العـديدين من رجال الفن والمال ، واشتاقت أن تهب قلبها وعواطفها الملتهبة لرجل واحد !٠٠ وقد وجدت فى هوجو هذا الرجل ، ووجد هو فيها المرأة التى تتقن ألف طريقة وطريقة تمحو بها من رأسه الخيالات الفاضحة لزوجته الغادرة وصديقه النذل !٠٠ فتركهـــا تقوده ذات ليلة الى مسكنها الانيق فى « بوليفار سان دونى » !

ونجحت هذه المرأة الساحرة فى تطهير نفسها من أدران ماضيها الملوث ، ورسمت لنفسها « رسالة » أخذت على عاتقها أن تضطلع بها : هى تيسير الحياة وتوفير وسائل الراحة للعبقرى الذى نكب فى زواجه وفى شرفه ، فأعدت له حجرة من مسكنها كى يزاول فيها انتاجه الادبى

قاتل الله الغرور !

◆ وكما جفت دموع الام على ابنتها ، جفت دموع الاب ٠٠ فعاد الى المرأة التى أنقذه حبها من الانتحار ، والتى وجد عندها الآن سلواه عن حزنه على ابنته !٠٠ زعم لنفسه أن السيطرة على العواطف والغرائز انما هى من شيم عامة الناس ، أما العبقرى فهو فى حل من اطلاق العنان لها ، ومن حقه أن يستمتع بترف

الخالد .. وجعلت من نفسها خليلته وخادمته فى آن واحد .. ملكته وجاريته !.. فاستحوذت على جسمه وعقله معا .. حتى اغتسل فى حبها من تعاسته الزوجية ، ومن أساه على شرفه الجريح ..

وفى هذه الاثناء كان هوجو يتسلق سلم المجد ، الادبى والسياسى، درجة بعد درجة.. فانتخب على التوالى : عضوا فى الاكاديمية الفرنسية، فالمجلس الاعلى ، فالجمعية التأسيسية ، فالجمعية التشريعية ، فمجمع بوردو .. وأخيرا مجلس الشيوخ .

وذات يوم .. أصيب هوجو بفجيعته الثانية ، بعد فجيعته الاولى فى شرفه : فقد ابنته الكبرى « ليوبولدين » التى غرقت « عروسا » فى نهر السين ، مع زوجها ، ولم تكن قد انقضت على عرسهما أيام !

وعاش الاب المفجوع أشهرا ثلاثة فريسة لاقسى ألوان العذاب ، ووخز الضمير !.. أحس أن اهماله لبيته وأولاده ، وانغماسه فى صلته بعشيقته ، هما المسؤولان عن هذه « العقـوبة » التى نزلت به من السماء !.. فعاد الى بيته وأسرته المكلومة .. ونبذ عشيقته !.. ثم وضع همه فى التنفيس عن حزنه بكتابة الشعر الرقيق الباكى ، فأنتج مجموعة من أخلد القصائد التى تتغنى بها فرنسا والعالم حتى يومنا هـذا ..

ولكن ، شيئا فشيئا ، بدأ روتين الحياة فى بيت هوجو يعود سيرته الاولى ، مثل آلة قديمة تعاود دورانها بالتدريج .. وان ظلت صلوات الاطفال الثلاثة الاحياء ـ كل ليلة ـ تطلب السعادة فى السماء لاختهم الكبرى المتوفاة !.. وذات ليلة ، سألت « أديل الصغيرة » أخويها فى حيرة : لماذا كفت (ماما) عن البكاء ؟

الاستسلام لها ! .. وزاده ايمانا بهذه النظرية اطراء عشيقته لمواهبه، ونفخها فى غروره بلا انقطاع، بايهامه انه «نصف اله»!.. وقد يسهل على الانسان ـ فى الاحوال العادية ـ أن يعير الاطراء أو الملق أذنا صماء ، أما حين يصدر هذا الاطراء من المرأة التى تستقبله كل ليلة فى أحضانها المشتاقة .. فان الامر يصبح شيئا آخر ، تصعب مقاومته وتتضاعف خطورته !

لكن الشاعر لم يكد يسترد ثقته بسحره على النساء ـ بعد أن شفته جولييت من صدمة خيانة زوجته له، وأدخلت فى روعه أن جاذبيته لا تقاوم! ـ حتى بدأت تنتابه نوبات سأم من عشيقته نفسها ، وحنين الى مغامراته العابرة التقليدية ، التى لم يطلقها تماما فى أية مرحلة من مراحل حياته ! ٠٠ وفى نوبة من تلك النوبات التى كان يحس فيها بالحاجة الى «التغيير» ، تورط فى فضيحة «مدام بيار دونيه»، التى أثارت عليه سخرية باريس بأسرها !

◆ كانت مدام دونيه ـ أو «ليونى» كما كان أصدقاؤها يدعونها ـ حسناء فى الخامسة والعشرين ، ذات ابتسامة ساحرة ، ووجه فاتن ، وميل أدبي ملحوظ ٠٠ لكن هذا الميل كان غرورا وادعاء أكثر منه موهبة حقيقية ٠ وبقدر غرور المرأة كان غرور زوجها ، الذى بلغ من اعجابه بنفسه انه كان يضع على رأسه اكليلا من الشعر المستعار مزينا بالريش !٠٠

الفضيحة المدوية !



ولا يعرف أحد كيف بدأت قصة هوجو مع مدام دونيه ٠٠ وان عرف الباريسيون جميعا خاتمتها، حين دهم الزوج المخدوع ذات ليلة ـ وبصحبته أحد رجال البوليس ـ زوجته وعشيقها العظيم فى غرفة متواضعة فى «حارة» سان روش! ٠٠ على ان رجل البوليس لم يلبث أن تراجع مأخوذا أمام سيل العبارات التى فاجأه بها العشيق وهو فى ثياب النوم : « أنا الفيكونت

هوجو ، الحائز على لقب « فارس » وعضـــو مجلس شيـــوخ فرنسا!٠٠ انيمتمتع بالحصانة البرلمانية، وغير مسئول الا أمام المجلس الذى أتشرف بعضويته ! »

◆ وقد وجدت الزوجة متجردة من ثيـــابها تماما ، فألقى القبض عليها ـ باذن من زوجها ـ وأرسلت الى سجن البغايا فى « سان لازار » ٠٠ وسرعان ما بلغت الفضيحة مســـامع مدام هوجو ٠ أما جولييت فلم تعرف بأمرها الا بعد حين ، عندما أرسلت اليها «ليونى» الشريرة حزمة من رسائل هوجو اليها !

وأحدثت الفضيحة ضجة كبيرة فى الاوســـاط العليا ، فحاول «دوق باسكييه» ـ رئيس مجلس الشيوخ وقتئذ ـ أن يقنع الملك ـ لويس فيليب ـ بوجوب استقالة هوجو من المجلس ٠٠٠ لكن هذا رفض طلبه ضاحكا ، وعوض زوج مدام دونيـــه بشراء احدى لوحاته التى كان يرسمها ، مقابل أن يتنازل عـــن شكواه ضد زوجته وشريكها هوجو ٠٠!

◆ وأما هوجو فقد منح جواز سفر الى أسبانيا ، لكنه لـــم يذهب الى أبعد من شارع « سان أناستاز » حيث كانت تقطن جولييت فى ذلك الحين ، جاهلة بكل شىء !٠٠ **وهناك انزوى الشاعر بضعة أيام ، متعللا لها بحجـــة كاذبة ، مشفقا من أن يخرج الى الطريق فتتقاذفه من المارة عبارات الغمز واللمز!٠٠ بل انه كف عن قراءة الصحف ، خشية أن يقرأ فيها اشارة خبيثة الى فضيحته ، التى أحس منها بمذلة قاسية لم يجـــرب مثلها من قبل !**

وفى هذه الاثناء كان خصوم هوجو يتندرون بفضيحته شامتين ، فكتب « سانت بوف » الى صديق له يقول : « لا أحد هنا يتحدث فى غير فضيحة هوجو ٠٠ وفى وسعك أن تتصور مبلغ أسفى للامر كله٠٠ ولئن كنت أنا قد خنت صديقى هوجو، فانه يؤسفنى أعمق الاسف أن يخون هو مسيو بيار دونيه ، بل يؤلمنى من الامر كله انه سمح لنفسه ان يضبط متلبسا! »

فينوس المغمورة !

◆ على أن بقاء جولييت فى مواجهته ليل نهار، والحاحها عليه بالاسئلة والاستفسارات عن سر ملازمته البيت ، على غير عادته وطبعه ، لم تلبث كلها أن دفعته الى البحث لنفسه عن مخبأ آخر ·· وهكذا ، ذات يوم ، أخذ ورقه ومحبرته وأدوات زينته وثياب نومه ·· ومضى متنكرا الى حانة فى ضاحية «فونتنبلو»، حيث أخذ لنفسه غرفة باسم مستعار، وأقام هنـاك آمنا من مقابلة أى انسان يمكن أن يعرف شيئا عن شخصيته أو فضيحته!

وكانت فى الحانة خادم شقراء ـ تدعى بريجيت ـ ذات وجه فاتن وقوام رشيق ، غفل صاحب الحانة وزوجته عـن مواهبها الانثوية فاستغلاها فى الاعمال الشاقة حتى أرهقاها·· لكن شاعرا فنانا شغوفا بالنساء مثل هوجو لم يكن ليغفل عن اكتشاف هذه « الفينوس » المغمورة ، فنفح مخدوميها بمائة فرنك كي يوصياها بالسهر على راحته ·· !

◆ لكن بريجيت كانت تحب شابا من طبقتها ، فأبت أن تستجيب لمغازلات السيد الانيق ·· وحين يئس صاحبنا من استمالتها عكف على محبرته وأوراقه يخط عليها خـواطره وأشعاره التى أوحت اليه بها مغامرة « حارة سان روش » ·· وفيما هو يكتب راح يلهو برسم جسد « مدام دونيه » العارى وشعرها المنسدل على كتفيها ، كما بدا له فى اطار تلك الحجرة المتواضعة التى ضبطا فيها ··

فلما دخلت الخادم بريجيت مخدع الشاعر فى الصباح لتقوم بتنظيفه وترتيبه ، عثرت بذلك الرسم العارى على المنضدة ·· وأحدثت الغيرة أثرها فى نفسها ، ولكى تثبت « للسيد » أن جسمها وأنوثتها لا يقلان سحرا عن جسد « منافستها » ، منحت نفسها لهوجو فى مساء ذلك اليوم بعينه ·· !

عندما تنتقم المرأة !

◆ فى تلك الاثناء عمدت « اديل » ، زوجة الشاعر ، الى شفاء

غليلها من غريمتها « جولييت » ، فبذلت مساعيها حتى وفقت الى اطلاق سراح « ليونى » ـ أو مدام دونيه ـ من سجنها ، كى تفسح لها فرصة منازعة جولييت على قلب هوجو ـ كما يطلق الفأر قطا على خصمه الفأر ٠٠ أو جريا على سنة شمشون : « على وعلى أعدائى ! » ـ بل ان الزوجة لم تكتف بذلك وانما دعت المرأة الى زيارتها فى بيتها لتوطيد صداقتها معها !

ونجحت الخطة بالفعل٠٠ فاحتدمت بين جولييت وليونى منافسة حامية ، استغلها هوجو فى البداية لاشعال غيرة كل من المرأتين ! ٠٠ لكنه لم يلبث أن وجد نفسه مضطرا الى اختيار احداهما ٠٠ وبعد تردد طويل ، ومقارنات ، اختار جولييت٠٠ ونبذ ليونى ! ٠٠ ففكرت المرأة المنبوذة ـ التى كان غرورها قد أطمعها فى أن تشاركه مجده الادبى ! ـ فى أن تنتقم لكرامتها من العشيق الغادر بتأليف كتاب تسخر فيه من نقائصه وتروى مباذله !٠٠ وهنا يقتضى الانصاف تسجيل موقف نبيل لمدام هوجو ، فقد كان لها فضل منع مدام دونيه من تنفيذ فكرتها الانتقامية !

الشاعر ٠٠ وأسباب وحيه !

◆ وكان أول ما فعله هوجو بعد أن عادت المياه الى مجاريها بينه وبين جولييت ، انه أخذها الى حانة فونتنبلو ، كى يستعيد جو مغامرته السابقة مع تلك الفتاة «بريجيت» ، فقد كان مولعا على الدوام بمقارنة ذكريات الامس بمغامرات اليوم ٠٠ **حتى اذاما أستثير وجدانه تناول القلم فأودع الورق أبياتا من أرق الشعر وأجذله ، أو سطورا من أروع النثر وأجمله ٠٠ فقد كان أكثر أطوار هوجو استفزازا لملكاته الادبية وانتاجه الفنى طوران : طور استسلامه لذكرياته المرهفة ، المفرحة والمفجعة على السواء٠٠ ثم طور اشتعال رغباته الحسية وأشواقه الجنسية للنساء ٠٠** وفى كلا الحالتين ، كان انفعاله يفيض به على الورق فى قالب عبارات منمقة مصقولة لا تحتاج الى أدنى تعديل أو تهذيب!٠٠

وكانت سعادته اذ يمسك بالقلم بين أصابعه ، تماثل سعادته حين يأخذ المرأة بين ذراعيه٠٠ كلا النزعتين كانت عنده فى قوة الاخرى ، بل كانت مكملة ومنشطة للاخرى ٠٠ !

انقلاب فى الدولة ٠٠ وانقلاب فى حياته !

◆ فى تلك الاثناء كانت تختمر فى ذهن هوجو مطامع جديدة، وأحلام عريضة ٠٠ كان الشيطان دائب الهمس له ، من خلال شفتى جولييت العذبتين ، بأنه أنبل الرجال وأجملهم وأذكاهم ٠٠ وان الاقدار تدخره للاضطلاع بدور سياسى خطير ، غير عادى ـ أشبه بدور نابليون مثلا ! ـ يقود فيه شعبه ومواطنيه الى مستقبل أفضل ! ٠٠ وبتأثير هذا الطموح السياسى انضم هوجو الى الجماعة التى كانت تناوىء حزب «الطاغية» لويس نابليون ، وتنادى بمبادىء انسانية مثالية، هدفها تعميم الحرية والعدالة ٠٠

لكن مقاصد هوجو وجماعته لم تلبث أن جلبت عليهم الكوارث ، حين وقع فى فرنسا سنة ١٨٥١ ذلك الانقلاب السياسى الذى تولى الحكم على أثره غريمهم لويس نابليون » ونصب نفسه امبراطورا باسم « نابليون الثالث » ! ٠٠ وفشلت الثورة المضادة التى قام بها خصومه، وعلى رأسهم هوجو وجماعته ٠٠٠ فقتل عدد منهم ، **ووضعت الحكومة ثمنا لرأس هوجو ! ٠٠ فاضطر الشاعر الى الاختباء فى مسكن خفى أعدته له جولييت فى حى من أحياء باريس المتواضعة ٠٠**

◆ وهناك نجد هوجو جالسا فى مقعد مريح أمام المدفأة ، يفكر محنقا فى الثورة التى فشلت والزملاء الذين قتلوا٠٠ ويلوم نفسه على كونه قد نجا ـ دونهم ـ من الموت ! ٠ ٠

وانه لفى جلسته تلك ، واذا طرقات خفيفة «خاصة» على الباب ، توقظه من شروده ٠٠ فنهض ليفتح الباب لجولييت ، التى دخلت تحمل اليه سلة ملآى بالطعام والمؤن ٠٠ وبعد أن استفسر منها عن الانباء ، قال محزونا :



ـ لكم يعذبنى اننى كان ينبغى أن أعرض حياتى للخطر، فى صفوف الثائرين٠٠ أفلست أحد القلائل الذين دفعوا الجماهير الى هذه الثورة ؟

ـ اهدأ بالا يافكتور ٠٠ ان الجميع يقولون ان مكانك ليس فى الشوارع وخلف المتاريس، فان حياتك لا غنى عنها لقضية الشعب ، وموتك كفيل بأن يقضى على الحركة !

ـ وهل لديك أنباء من عائلتى ؟

ـ لقد كلفت أحدهم بأن يطمئن أسرتك على حياتك ٠٠ وقد توجه ضابط الى بيتك ليقبض عليك ، فلما علم باختفائك عهد الى نفر من أتباعه بتتبع خطى أولادك ، لعلهم يقودونهم الى مخبأك !

ـ ياللانذال !

ـ دعك من هذا الآن ، ولتتناول طعامك ٠٠ لقد أحضرت لك دجاجة مطهية وبعض الخبز والنبيذ ٠٠ فانك بادى الضعف

◆ وأعدت له المائدة ، واذ كانت تعلم بمدى شهية هوجو للطعام ، فانها لم تحتفظ لنفسها بغير شريحة صغيرة من صدر الدجاجة ، وجلسا يأكلان ، والنار تقرقع فى المدفأة ٠٠

وقالت جولييت بعد حين :

ـ لقد أحضرت لك جواز سفر ، ومبلغا من المال ٠٠ فانك ينبغى أن تغادر فرنسافورا الى بلجيكا !

فقطب هوجو جبينه :

ـ مبلغا من المال ٠٠ وكيف حصلت عليه ؟

ـ رهنت بعض حاجياتى ..

ـ لكنى كنت أعتقد أنه لم تبق لديك حلى .. ؟

ـ لقد اقتنيت بعضها، بعد ان سددت أنت جميع ديونى .. وادخرت مبلغا من مصروف البيت ..

◆ لكنها كانت كاذبة ! .. فهى لم تحصل على ذلك المال الا من بعض عشاقها القدامى ، الذين كانوا ما يزالون يحنون اليها ! .. كما انها اقترضت جزءا من المبلغ من مراب ماكر ، أصر على أن يقتضيها فائدة المبلغ المقترض « عينا » ، من حسنها الشهى ! .. لكن بشاعة تلك التجربة قد تبخرت الآن من وعيها، وهى جالسة تطعم حبيبها « توتو » !

واستنفد « توتو » طعامه ونبيذه .. واستردت وجنتاه توردهما .. فسأل جوليت :

ـ وجواز السفر .. كيف حصلت عليه ؟

ـ آه ، هذا هو نصرى الاكبر .. فان صديقة لى من المعجبات بك ، لها عشيق يعمل فى قلم الجوازات ، وقد أعد لك جواز السفر بعد أن اختلقنا لك اسما زائفا هو « لانفان » ، وان كنا قد احتفظنا لك فيه بسنك الحقيقية: تسعة وأربعين سنة.. والآن ، فى وسعك أن تغادر باريس فى أية لحظة !

ـ هذا كلام يقال بسهولة ، لكن واجبى يقتضينى البقاء هنا الى جانب زملائى ، ولا سيما « بودان » ..

فأجابت وهى تخفض رأسها : « آه ، حقا ! »

◆ وارتاب فى لهجتها ، فهتف منزعجا وقد غص حلقه ، وشلت يده التى كانت تحمل « رجل دجاجة » كانت فى طريقها الى فمه :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعنى أن بودان قد قتل . مات وهو يقاتل خلف المتاريس قتال الابطال ، بعد أن صاح بالجماهير الجامدة : « أنظروا كيف يموت الاحرار ! »

ـ بودان قتل ؟ بودان مات هكذا ؟ ياللفظاعة ! .. ياللمسكين !

وأعاد رجل الدجاجة الى الطبق ، واعتمد رأسه بين يديه .. ولمحت جولييت دموعه تنساب على خديه !

وحين هدأ انفعاله قليلا ، قالت جولييت تواسيه : « ان الثورة قد فشلت والانقلاب قد استقر ، وقبله الشعب .. فلم يبق أمامك غير مغادرة البلاد ، اذا أردت أن تتجنب السجن ، أو ما هو أسوأ منه ! .. فيكتور ، انك شاب وعبقرى ، فلا تيأس .. سوف يأتى اليوم الذى تنتقم فيه لمصرع بودان .. وتنتقم فرنسا لابنائها .. »

وصبت له قدحا من النبيذ ، وشرحت له بقية الدجاجة.. ثم أعانته على أن يأكل ، كما لو كان طفلها ! .. وحين فرغ من وجبته ذكرت له تفصيلات الخطة التى أعدتها لفراره : أنها سوف تحضر له سترة أحد العمال ، وقبعة عتيقة ، وسوف يستقل احدى مركبات الدرجة الثالثة الى بروكسل ، كى لا يرتاب أحد فى أمره أثناء الطريق .. أما هى فقد اعتزمت أن تسبقه الى بلجيكا لتعد له مسكنا .. الخ

◆ واذ فرغت جولييت من سرد تفصيلات خطتها ، استرد الشاعر شيئا من مرحه وانشراحه ، فاقترب منها وقد التمعت فى عينيه نظرة فهمت هى مغزاها .. فحاولت أن تدفعه عنها فى رقة وتخاذل.. لكنه اختطفها الى صدره، وأطبق على شفتيها بفمه ، وكأنه يريد أن يلتهمهما التهاما .. وفى ظل المخاطر المجهولة المحدقة بهما ، انتشى العاشقان بمتع لم يتذوقاها قط من قبل !

الفرار !

وفى الصباح الباكر تسلل هوجو ، فى زى عامل رقيق الحال ، الى « محطة الشمال » بباريس ، كى يستقل القطار الى بروكسل . كانت المحطة تموج بأفواج « الفارين » من العاصمة

التى تسودها القلاقل ٠٠ ووقف هوجو في «طابور» المتراصين أمام شباك تذاكر الدرجة الثالثة ، وقلبه يدق صدره بشدة ، خوفا من افتضاح أمره ٠٠ لكن « الازمة » مرت بسلام٠٠ فصعد الى مقعده فى القطار ، حيث انزوى فى أحد الاركان ، وأرخى قبعته على عينيه ٠٠ متظاهرا بالنوم ! ٠٠ وفى لفافة صغيرة الى جانبه كان قد وضع أدوات زينته ، وقطعة من الصابون ، ومنشفة ، وبعض مخطوطاته ٠٠ **وكان بينها الفصل الاول من قصته الجديدة « البؤساء » ، التى اعتزم ان يقدمها عند انتهائها الى ناشر بلجيكى - فيما لو صودرت مؤلفاته فى فرنسا ٠٠**

◆ ومضت أفكاره تنهب رأسه بسرعة القطار الذى ينهب به الطريق : انه سيكتب فصلا بعنوان « نابليون الصغير » يهاجم فيه الامبراطور الجديد ٠٠ وفجأة تطفر به أفكاره الى أسرته، وأولاده : ترى متى يراهم ثانية ؟

واقترب القطار من الحدود، الفاصلة بين فرنسا وبلجيكا، فأقبلت اللحظة الخطرة ، الحاسمة ! ٠٠ وصعد مفتشو الجمرك ليفحصوا أمتعة المسافرين : « افتح هذه اللفافة ! » وأطاع هوجو ٠٠ لكنهم لم يجدوا فيها شيئا يريب ٠٠ **وحين تناولوا منه جواز سفره ، غاص قلبه ٠٠ لكنهم ألقوا عليه نظرة ثم أعادوه اليه ٠٠ فتنفس الصعداء ٠٠ لقد نجا ! ٠٠ وبدا له المستقبل الآن أكثر اشراقا ، فبدأ يشارك المسافرين أحاديثهم وثرثرتهم ٠٠ حتى أبطأ القطار فى سيره ، ثم توقف فى محطة بروكسل ٠٠ وبعد لحظات كانت جولييت بين ذراعى فيكتور ، الذى هتف بها :**

- ان الكابوس الرهيب قد انقضى ٠٠ وغدوت حرا ٠٠ لكم أعبدك يا حبيبتى !

يهاجم الامبراطور !

◆ ولم يكد هوجو يستقر فىمسكنه الجديد بالعاصمة البلجيكية ، حتى أرسل الى أسرته ينبئها بوصوله سالما الى «جهة

آمنة» ·· ثم استأنف انتاجه الادبى بحماسته المعهودة · «شهر» قلمه ضد غريمه الطاغية « نابليون الصغير » وأعوانه من مدبرى الانقلاب وقامعى ثورة ٢ ديسمبر ، فأوسعهم تحقيرا وامتهانا، وطعنا وتجريحا ·· حتى لقد كانت جولييت تنتشى اعجابا وهى تقرأ كتاباته قبل أن تنسخها كعادتها ··

وكان اذا تعب من الكتابة ألقى بالقلم قائلا : « فلنأخذ قسطا من الراحة » وعندئذ كانت هى تهرع فرحة الى سترة من الفراء فترتديها ، ويرتدى هو معطفه ، ثم يستدعيان عربة كى تقلهما الى غابة « كامبر » ·· كانت هذه الغابة المهيبة من الاشجار الضخمة تقع على مسافة قريبة من بروكسل · وكانت تتخللها الجداول والغدران التى أقيمت فوقها قناطر خشبية تربط بين ضفتيها ·· وكان يكسوها الجليد فى الشتاء ، ويبللها الندى فى الربيع ، أما فى الصيف فكان العشاق يجدون فيها ملجأ لهم وملاذا ! ··· وهناك كان هوجو يخرج من جيبه مطواة يرسم بها على احدى الاشجار العتيقة قلبين يحملان الحرفين الاولين من اسميهما ، ويثقبهما سهم واحد ، ثم يكتب الى جوارهما رقم ١٩ ، اشارة الى انقضاء تسعة عشر عاما على بداية غرامهما ·· !

◆ وذات مرة رأيا بعض الغربان تحوم حولهما ، فقال هوجو : « ان الغربان تعمر طويلا ·· من يدرى ، لعل هذه قد شهدت معركة واترلو! » ·· فسألته جولييت : « متى سنذهب الى واترلوا ؟ » فأجابها : « تعنين الى غابة سوانى؟ فى الاسبوع المقبل ، فانى فى أمس الحاجة الى تغيير الهواء ·· »

فى واترلو ··!

◆ وذات صباح جميل ، مضى العاشقان الى الغابة التى شهدت هزيمة نابليون منذ ستة وثلاثين عاما ·· وهناك ترجلا من العربة وسارا على أقدامهما ، خلفها بمسافة قصيرة ·· ثم قاما بجولة حول بحيرة صغيرة تتوسطها ، فلما عادا من جولتهما

كانت آثار العربة قد اختفت ٠٠ ولمح حيرتهما كهل قوى البنية كان مارا ، فأرشدهما الى مكان العربة ٠٠ ومد هوجو يده الى جيبه لينفح الرجل ببعض المال ، ففاجأه هذا بقوله : « **كلاأيها المواطن هوجو ، أنا أعرفك ، وأشاطرك آراءك السياسية ٠٠ انى أعيش هنا فى بلجيكا ، لكنى فرنسى ، وقد كان أبى يعيش بالقرب من هذه الغابة أيام معركة واترلو ٠** »

وجاذبه هوجو أطراف الحديث ، فعلم أنه يشتغل بصناعة الزوارق فى « أنتويرب » ٠٠ وهنا أضاف الرجل معلقا :

ـ فى مسقط رأسى بفرنسا يصنعون الزوارق أيضا ، ولكن ليس بالاتقان الذى يصنعها به القوم فىأنتويرب ٠٠ وان كانوا قد أحرقوا «جان دارك » هناك !

ـ **من الذين أحرقوها ؟**

ـ الانجليز طبعا ٠٠ وهم الذين قضوا على نابليون أيضا٠

ـ **هل حدثك والدك عن معركة واترلو ؟**

ـ بل انه لم يكن ليتحدث الا عنها ٠٠ وأرجو أن لاتتكرر مأساة العم فى ابن أخيه !

ـ **بل انها ستتكرر !٠٠ ان انقلاب نوفمبر سنة ١٧٩٩ أدى الى واترلو ٠٠ فالى أين سيؤدى بنا انقلاب ديسمبر سنة ١٨٥١ ؟**

ـ هل تؤاخذنى أيها المواطن هوجو اذا ألقيت عليك سؤالا ؟

ـ **بل لك أن تسأل ماتشاء ٠٠**

ـ لماذا لم تقتل خلف المتاريس يوم ٢ ديسمبر ، مثل المواطن بودان ؟

فأجابته جولييت غاضبة :

ـ لان الزعيم ينبغى أن يصون نفسه كى يدبر الانتقام٠٠ ان نابليون لم يقتل فى واترلو !

وأردف هوجو وهو يبتسم فى مرارة :

ـ **لقد كان أصدقائى ، وفى مقدمتهم بودان نفسه ، هم**

الذين منعونى من القتال خلف المتاريس ·· وسوف تذاع هذه الحقيقة يوما على الملأ !

◆ ثم افترق هوجو وجولييت عن الكهل ·· لكن ذلك السؤال المحرج الذى بدر من الرجل ترك فى نفس هوجو أثرا موجعا !·· أدرك منه أن أعداءه قد استغلوا نجاته فأشاعوا فى كل مكان أنه كان مختبئا فى الوقت الذى قتل فيه زملاؤه !·· وفى الليالى التالية أصيب هوجو بكابوس متكرر كان يرى فيه نفسه خلف المتاريس ، وسط الرصاص المنهمر حواليه ، والى جواره جثث الضحايا وأشباح بودان ، ووالد الكهل ! ·· وفى اللحظة التى كان الكابوس يبلغ فيها غايته كان هوجو يستيقظ صارخا مذعورا ، ليجد جولييت تهدىء من روعه هامسة : «انه كابوس لاحقيقة ياحبيبى ، فلاترتجف ·· هأنذا معك ، أناجولييت التى تحبك ولن تتركك أبدا !»

فى فراش الامبراطور !

◆ وانقضى الشتاء ، لكن الاشجارلم تكن قد أورقت بعد·· وغام على الافق ضباب وردى حين مرقت عربة العاشقين من غابة «سوانى» واقتربت من البقعة المشهورة التى حلت فيها بنابليون كارثة واترلو ، والتى أقيم فيها فندق صغير جميل لاستقبال السائحين ·· واستقبلهما صاحب الفندق فخورا باستضافة الشاعر الذائع الصيت ، الذى رغم مهاجمته لنابليون الثالث جاء يحيى ذكرى عمه نابليون الاول !·· والواقع ان هوجو كان شديد الاعجاب بالاخير ، بحيث كان يقارنه بالاسكندر وقيصر ···

وأثناء الغداء تنبهت جولييت الى أن صاحب الفندق قد سلم الى هوجو رسالة من امرأة لم يذكر اسمها ، فدس هذا الرسالة فى جيبه الايسر دون أن ينبس بحرف !··ثم خرج العاشقان برفقة دليل الى مكان المعركة ، فتفقداه وأصغيا الى شرح الدليل لتفصيلات الكارثة ·· وأثناء عودتهم بدأ المطر

ينهمر ، فلجأوا الى بيت ريفي كان نابليون قد نام فيه ليلته السابقة لنشوب المعركة .. وهناك طلب هوجو غرفة يبدل فيهامع مرافقته ثيابهما المبللة .. وأدركت جولييت ماينتظرها منه ، فقد كانت أعرف الناس بشغفه الدائم باغراق انفعالاته الحادة فى كل مناسبة فى أحضانها الشائقة ..

◆ وبعد أن رفعا تقدمتهما الى آلهة الحب ، فى الفراش الذى قضى فيه الامبراطور ليلته الاخيرة القلقة قبيل أفول نجمه !.. انتهزت جولييت فرصة استغراق هوجو فى النعاس وتسللت على أطراف أصابعها الى حيث علق سترته ، فتناولت من جيبها الرسالة المريبة التى كان قد تلقاها أثناء تناول الطعام .. وقرأت فيها هذه العبارات :

« سيدى ومولاى الذى أعبده وان لم أعرفه ..

« قيل لى انك فى واترلو ، فجئت بمفردى الى هنا ، كى أضع وقتى تحت تصرفك .. ان زوجى بلجيكى يشتغل بالصناعة .. لكنى أنا فرنسية ، ومؤمنة بالمبادىء التى تدعو اليها . وانى لمعجبة بشجاعتك وأود أن أعرب لك عن اعجابى هذا فى خلوة تامة . سوف أنتظرك طيلة النهار والمساء فى فندق (ولنجتون هاوس) الذى لايبعد عن فندقك أكثر من خطوات .. فاستدر الى اليمين عند خروجك منه واسأل عن « مدام فورتين » وسوف يرشدك حارس الباب الى مكانى .. وأرسل لك برفقة هذا صورتى الفوتوغرافية .. »

« أديليد »

◆ وكانت الصورة المرفقة لحسناء فاحمة الشعر ترتدى ثوبا يكشف عن أعلى صدرها !.. واذ فرغت جولييت من تأملها أعادتها والرسالة الى مكانهما ثم عادت فاضطجعت بجانب فيكتور ، الذى كان شخير عال ينبعث من فمه !.. وبدأت تعد عدتها لضبط الواقعة ..!

اقرأ الجزء التالى من الكتاب فى كتابى القادم .

بريد كتابى

(بقية المنشور على صفحة ٥)

◆ ومع ذلك لم ينقطع ـ حتى كتابة هذه السطور ـ سيل الرسائل الكريمة التى يطالبنى أصحابها .. بالعدد الاول !.. وكلهم يحملنى مسؤولية نقص مجموعته من « كتابى » ، التى يعتز باستكمالها اعتزازا أكاد معه أن أخجل من نفسى ، لعجزى عن اجابة طلب قراء أعزاء هذا مبلغ اعجابهم بالكتاب ، وتحمسهم له ، والحاحهم فى طلبه ..!

ازاء ذلك أرانى مضطرا الى تحمل « المسؤولية » التى يأبى أصحاب تلك الرسائل المشكورة الا أن يحملونى اياها .. وعلى هذا فانى أعدهم جميعا باعادة طبع العدد الاول من (كتابى) قبل أن تكتمل أعداد المجلد الاول باذن الله ، حرصا منى على أن يستكمل مجموعته من الكتاب كل من ينقصه ذلك العدد ..

◆ والا فكيف أستطيع أن أرفض طلبا لقارىء كريم يقول :

« يعز على كثيرا أن أحرم من قراءة العدد الاول .. لذلك أتشرف بأن أرفق طيه اذن بريد رقم ٥٧١٧٨ بمبلغ عشرة قروش برجاء التكرم بارسال العدد الاول بأقرب فرصة . ولن ألتمس لكم أى عذر مهما حدث لانكم مكلفون بارضاء جمهوركم الحبيب .. فلكم أن تعيدوا طباعته .. تصرفوا .. المهم يصلنى الكتاب !

المخلص فايز يوسف ـ شركة اخوان سلوم «كبس» الاسكندرية

◆ .. أو كيف أضن بأية تضحية على القارىء العزيز الذى يقول فى ختام رسالة اطراء كريمة مستفيضة : « لذلك أرجو أن تتكرم فتقبل اشتراكى السنوى فى (كتابى) ، على أن يكون من العدد الاول ، حتى لا يفوتنى من هذه المجموعة الثمينة شىء .. واننى يا سيدى فى انتظار ردك الكريم لارسل لك المبلغ الذى تطلب للاشتراك السنوى بما فيه العدد الاول مهما بلغ الثمن ولو كان أضعاف الـ ٨٠ قرشا .

ملازم أول : **عادل البتانونى**

مساعد مدير ادارة الملاحة الجوية برئاسة السلاح الجوى الملكى

◆ وأنا أؤكد لك يا سيدى اننى لم أكن لاضن عليك بالعدد الاول لو كان موجودا ، واننى لا أطلب أو أقبل فيه أكثر من ثمنه المعتاد .. فأكرر اعتذارى وشكرى لك ، ولصاحب هذه الرسالة التالية التى بنفس المعنى : « أبعث اليك

برجاء أثق أنه سوف يجد طريقا الى قلبك ، فتبادر بتلبية طلبى هذا ، حبا منك فى أبناء وطنك وارضاء لضميرك ٠٠ ماذا تظن عساى أن أطلب وأرجو وأستعطف ؟٠٠ نسخة من العدد الاول - وانى أقسم لك بشرفى انى لن أتوانى لحظة عن ارسال أى مبلغ تطلبه ثمنا لها ، مهما ارتفع ٠٠ وان أردت أن أستبدل لك أوراق كتابى بأوراق نقدية فلن تجدنى ان شاء الله الا من الملبين لطلبك ٠٠ وانى لكم من الشاكرين

حسين حسن أغا - مخزنجى بسجن بنى سويف العمومى

◆ وفيما يلى ما يسمح المقام بنشره من آراء القراء الاعزاء الذين طوقوا عنقى بتحياتهم المشكورة لكتابى ، أنشرها حسب ترتيب وصولها ، مكتفيا من كل منها ببضع عبارات ، كى يتسع المقام لاكبر عدد منها ٠٠ وأعتذر سلفا لاصحاب الرسائل الباقية التى سأرجىء نشرها - مضطرا - الى العدد القادم ٠٠

◆ « لا أكتمك أن ظهور كتابى قد أدهش الناس ، وتركنا جميعا نتساءل : كيف هذا ؟ وهل هذا صحيح ؟ انك والحق يقال قد نلت بكتابك المكان الاسمى من نفوسنا ٠٠ »

محيى الدين برادة

سكرتير مكتب الخطوط الجوية السعودية بالقاهرة

◆ « عند ما قدمت لنا « كتابك » الاول كنا نعتقد ونتوقع أى احتمال الا أن يأتى « كتابى » بأبدع ما كتب الكتاب وأتقن ما أخرجت المطابع وأجمل ما جادت به أنامل الفنانين ! ٠٠ »

حامد محمود - كلية الحقوق جامعة فؤاد الاول

◆ « شاهدت وعاصرت مولد الكثير من الكتب والمجلات ، ولكن لم يخطر لى مرة واحدة أن أكتب تهنئة لكاتب ، ليس بخلا ولا انتقاصا لقدر أحد ٠٠ ولكنى لم أجد الدافع الكافى للكتابة ٠ وفى « كتابك » وجدت من الدوافع ما لا يقاوم لكى أقدم لك أجمل آيات التهنئة والتبريك ٠٠ فالى الامام

المخلص : **كمال ابراهيم** - شارع وادى السير - عمان

◆ « انك قد ضمنت كتابك قطعا منتقاة من الادب الرفيع ، غير مبال بما يقال من أن هذا اللون من الادب لا يروج ، فجاء الكتاب مفيدا ومسليا فى وقت واحد ، بحيث يربى الذوق الادبى وينمى الثقافة الفنية فى الجمهور ٠٠ دمت للادب والفن ذخرا »

صلاح الدين كامل - أمين الشهر العقارى بسوهاج

◆ « لقد نال كتابى من اعجاب القراء حد الاعجاز .. وقد قرأته عدة مرات ولا زلت أستعيد قراءته لا أمله .. انه انتاج جبار يجمع بين القـوة والاناقة وعمق الفكرة .. فشكرا ، وشكرا جزيلا ، والى الامام .. والله معك ومحبى فنك من القراء .. »

اسماعيل القاضى ـ مستشفى «مدلسكس» ـ لندن

◆ « .. ان كتابى قد شق طريقه متخطيا كل الصعاب والعقبات ، واحتل مكانه اللائق به فى العالم الادبى ، وانى لاسعد الناس اذ أراه يتقـدم بخطى واثقة نحو المجد والكمال .. وانى اذ أهنئكم أرجو أن لا تسمحوا للقصص العالمية بأن تنال القسط الاكبر من عنايتكم ، فإن مقدرتكم فى القصة المصرية مقدرة لا تتاح ولم تتح الا لعدد بالغ القلة فى أدبنا الحديث .. »

دكتور أحمد بدران ـ العمرانية

◆ « ان مشروع (كتابى) ـ فى نظرى ـ هو امتحان للعقلية الادبيـة والنهضة الفكرية فى هذا البلد ، فان نجح فالبلد بخير من هذه الناحية ، والا فقد ظهر قبل أوانه أو بعث لغير أهله .. »

حليم رزق الله ـ ٣٥ شارع خلاط بشبرا ـ مصر

◆ « حاولت أن أستنتج الدافع لكم على بذل كل هذا المجهود ، فلم أهتد الى غير جواب واحد : هو انك « أديب » يحب أن يزيد من ثقافة قراء العربية ، مهما صرف من مال ومهما تكلف من مشقة .. »

زكريا محمد عيسى ـ الاسكندرية

◆ لقد أشرق علينا سنا مشروعكم الجليل الغالى ، المشكور الجبار .. ولعل أقل وصف له انه مشروع ثقافى انسانى .. »

أحمد الحاج عبد الكاظم الكروى ـ بغداد

◆ « ان مشروعكم الكريم لم يولد طفلا يحبو ، وانما بدأ عملاقا يتحدى فى قوة ويشمخ فى اعتداد .. وحسبك أن غرسك الذى تعهدته مخلصا قد أينع وازدهر ، وأصبح حديث الناس فى كل مكان ..! »

محمد رشدى حميدة ـ دمنهور

◆ « كنت أحد الذين انتظروا كتابك الجديد بفروغ صبر ، فقلمك ليس بجديد على ، وروحك المرهفة الحساسة لها عندى قدر كبير .. فلما ظهر (كتابى) وجدت فيه كل ما توقعته لشخصك الجرىء ، فهو نموذج جميل لكتب الثقافة الطازجة الحية ... »

أديب توفيق حنا ـ كلية الهندسة

◆ قرأت لك (عندما تحب المرأة) و (قلوب تحترق) ، فأعجبت بهما .. فلما قرأت (كتابى) ملأنى العجب ، بودى أن أشد على يديكم مهنئا .. »

يحيى حسين ـ موازين اسكندرية

◆ « دعنى أشد على يدك بعنف وأقول اننى من زمن بعيد أتمنى شيئا مثل (كتابى) ينقل الينا ثمار الفكر الاجنبى والثقافة الرفيعة كما تسميها .. فلك منى تحية ، وعندى لك دعاء ، للفكرة أن تستمر ، وللعزيمة أن تزداد ، وللايمان أن يقوى أبدا ودائما . »

مراد عزيز ـ بكالويوس هندسة ـ شبرا مصر

◆ « دعنى أهتف لكم ـ كما هتف كل من قرأ كتابى ـ الى الامام ، والله الموفـــق . »

القارىء الدائم : **فؤاد فاضل** ـ حلب ، سوريا

◆ « أهنئكم لنجاحكم الباهر فى هذا المشروع الجليل ، ولا يسعنى الا أن أمتدح ذوقكم الرفيع فى اخراج هذا الكتاب الفريد فى نوعه . »

دكتور **محمد عبد المنعم توفيق** ـ الروضة ، القاهرة

◆ « لم أعجب بمشروع ثقافى ظهر كما أعجبت بمشروع (كتابى) ، الذى يمتاز بميزات جليلة ذات فائدة ثقافية محققة ... »

فتحى محمد القران ـ المحامى

محتويات الكتاب



بيبسي كولا
PEPSI-COLA
بيبسي كولا
رمضان كريم
لذيذة
فوارة
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش.م.م
SPMO

كتابي

الرابع

محتويات الكتاب

آخر قطار الى السعادة : قصة مصرية للمحرر • سلاح المرأة : كوميديا من روائع المسرح العالمي ، للأديب اليوناني الخالد "أريستوفان" • اميل زولا : قصة حياته وكفاحه في سبيل الأدب والعدالة – من قصص العظماء .. في غير السياسة • عندما يضل الشباب (أو "التلميذ") : من روائع القصص العالمي ، للروائي الفرنسي الكبير بول بورجيه • حواء الجديدة : مرشد الفتاة العصرية المستنيرة إلى مستقبلها ، بين العمل والزواج ، للباحث النفساني والاجتماعي الدكتور "كورتني بيل" • "اميل" (دستور التربية) : تحفة جان جاك روسو الخالدة – من كنوز الكتب القديمة • القطة : الجاسوسة الفرنسية التي تفوقت على "دليلة" و"ماتاهاري" – من قصص الجاسوسية في الحرب الأخيرة • مأساة قلب : من قصص العباقرة في حياتهم الخاصة